دراسات
ادبية عباسية

الدكتور

يونس احمد السامرائي

دار الشؤون الثقافية العامة

من كتب
مثنى محمود الجبوري

دراسات ادبية عباسية

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد ٢٠٠٠

دراسات
أدبية عباسيّة

تأليف

د . يونس احمد السامرائي

الطبعة الاولى - بغداد - ٢٠٠٠

٨١٠,٥٠٧
س ٢٨٤ السامرائي ، يوسف احمد
دراسات أدبية عباسية / تاليف
يوسف احمد السامرائي .. بغداد : دار
الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠٠

٢٧٦ ص ؛ ٢٤ سم
١ ـ الادب العربي ـ تاريخ
عصر العباسي ـ دراسات أ. العنوان

م . و
٢٠٠٠/٢١٥

المكتبة الوطنية (الفهرسة اثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢١٥) لسنة ٢٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمـة

هذه أبحاث مكتملة تتناول موضوعات طريفة ، بل لعلها من أطرف ما يتصل بالشعر والشعراء ؛ لجدتها من جهة ؛ ولاحاطتها بالموضوع المطروق من جهة أخرى .

يتناول الأول منها (الألوان في شعر ابن المعتز) الذي أنهيت الحديث عنه بالقول : (ان شعر ابن المعتز يكاد يكون معرضاً للألوان على اختلاف أنواعها ، أو انه لوحة كبيرة تزخر بصنوف الألوان المعروفة ، أو التي مزجت مع سواها فكانت ألواناً جديدة مبتكرة ، تصف الى حد كبير ما كانت عليه بيئته وبيئة عصره المتطورة والمتجددة ، ومنها حب الألوان والإبتكار منها في كل شيء) .

ويتحدث الثاني عن (وصايا الشعراء) وما تركوه لأبنائهم وبناتهم وأصدقائهم من وصايا خالدة يشيع فيها التعليل لما يوصى به من الأخذ ببعض الأمور أو تركها والابتعاد عنها ، وهذا دليل على التفكير الدقيق والتعليل العميق للموصي ..

ويتناول الثالث منها : (ولاية الشعراء حتى نهاية العصر العباسي بالمشرق)،الذي نريد بها كل عمل تولاه الشعراء من أعمال الدولة الكثيرة المتشعبة الممتدة في نواحيها وأقاليمها . وهذا أمر كان يسعى اليه الشعراء ويطلبونه ، ويبذلون ما في وسعهم وطاقاتهم لينجحوا في مسعاهم ويبرزوا فيه .

ويتحدث الرابع عن (رسائل الشعراء في العصر العباسي بالمشرق) ، وهو أوسع البحوث وأكثرها طرافة ، لغزارة تلك الرسائل من ناحية وبلاغتها من ناحية أخرى ، ولانها تدل على ان الادب بفنيه (الشعر والنثر) ، قد لا يكون وقفاً على أحد ، وإنما هو أمر شائع لدى الكثيرين ، وان روح الشاعرية تبدو في تضاعيف الكثير من تلك الرسائل ، وهذا دليل على ان الشاعر لا يمكنه الإفلات من طاقته الشعرية المرزوقة التي تأبى إلا ان تظهر وتبرز في عمله من أي نوع كان .

أما البحث الخامس فيتصل بـ (إمارة الشعر والشعراء حتى نهاية العصر العباسي) ، وهو بحث توصل من خلال النصوص حول إمارة الشعر والشعراء الى ان أحداً من النقاد والادباء والشعراء لم يعترض على ذلك ، وكأنهم يعترفون بصحة الأحكام وصوابها .

وإرتأيت تسمية الكتاب (دراسات أدبية عباسية) لما بين هذه الأبحاث من وشائج الصلة والأهداف .

آمل ان يكون للكتاب قيمة أدبية وعلمية يفيد منها القارئون والدارسون ، ويكون منطلقاً لمَنْ يبغي التوسع ومدّ ما فيه الى أبعد مما جاء فيه من أبحاث .

ومن الله التوفيق .

المؤلِّف

الألوان في شعر ابن المعتز

جاء في اللسان :

(اللون : هيئة كالسواد والحمرة ... ولون كل شيء ما فَصَلَ بينه وبين غيره والجمع ألوان) .

وفي المعجم الوسيط : (اللون : صفة الجسم من السواد والبياض والحمرة وما في هذا الباب) .

ويظهر ان الألوان الأصلية في الطبيعة كثيرة ، أهمها شيوعاً الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأخضر والأزرق[1] ، وان هذه الألوان

---

(١) للزميل الدكتور نوري القيسي بحث طريف في (الالوان وإحساس الشاعر الجاهلي بها) ، منشور في مجلة الاقلام ، الجزء الحادي عشر ، السنة الخامسة ، ١٣٥٩هـ - ١٩٦٩ ، وقد أحصى الموضوعات التي قيل فيها اللون الابيض ، فكان عددها (٢٨) موضوعاً ، شارك ابن المعتز في خمسة موضوعات منها ، وفارقها في (٤٩) موضوعاً لم يتطرق إليها الشاعر الجاهلي ، وكذلك اللون الاسود ، فقد ذكر الدكتور القيسي واحداً وثلاثين موضوعاً لهذا اللون ، شارك ابن المعتز في ثمانية موضوعات منها وفارق في (٣٩) موضوعاً ، وكذلك اللون الاحمر ، فقد ذكر القيسي ثلاثين موضوعاً لهذا اللون وافق ابن المعتز فيها بخمسة موضوعات ، وفارق في (٤٢) موضوعاً ، ومثل هذا ينطبق على الالوان الاخرى : كالاصفر والاخضر ، والازرق ، وعلى الالوان المختلطة (المتداخلة) ، وكل هذا كان نتيجة اختلاف الحياة الاجتماعية اختلافاً كبيراً ، أو نظرة الشاعر المتصلة بثقافته وشاعريته ومدى قربه من هذه الالوان وتذوقه لها . وكان لالوان الزهور والورد والعطور والاحجار الكريمة التي شاعت في عصر ابن المعتز حصة كبيرة جداً في هذا !

كانت ظاهرة للعيان ، يراها الإنسان دائماً في جنسه وفي النبات والحيوان ومظاهر الطبيعة الاخرى . ولا شك في انه كان يرى في بعضها ما ترتاح إليه نفسه وينشرح صدره ، وفي بعضها الآخر ما لم يره في النوع الآخر من بهجة وانشراح وتفاعل .

ولا ندري كيف أطلق الإنسان الاسماء على هذه الالوان ، فسمّى الابيض أبيض والاسود أسود ، والاخضر أخضر ... ولكنه تعامل مع هذه الالوان بمسمياتها المعروفة منذ القدم ، فجاءت في أشعار الشعراء وكتابة الكتّاب على ما وُضعت له .

ولكن الإنسان استعان بمواد أخرى للدلالة على هذه الالوان الاصيلة : كالازهار والورد والعطور والاحجار الكريمة وغيرها .

ولعل من نافلة القول ان هذه الالوان تكثر وتزدهر بازدهار حضارة الإنسان وتقدمه في مجالات الحياة المختلفة . فالحضارة تحتاج الى إشاعة هذه الالوان والإكثار منها للتعبير عما يطرأ عليها من انفتاح وسعة في ضروب غير محددة من أمور التقدم والمدنية . ولهذا فان المدنية التي يكثر فيها ما لم يكثر في غيرها من معالم الحضارة تكون أكثر حاجة الى الالوان التي تشكّل ركناً أساسياً في هيئة الاجسام وصفاتها ، كالعمارة وصناعة الثياب وانتشار الرياض وشيوع استخدام الاحجار الكريمة . ولعل الشاعر كان أكثر حاجة من سواه في استخدام الالوان والتفاعل معها .

ومعلوم ان الحضارة العباسية قطعت شوطاً بعيداً في مضامير الحياة المختلفة ، وانها تعد أرقى الحضارات القديمة وأدلّ على بلوغها ما لم تبلغه حضارة سابقة لها من حيث : المظاهر العمرانية والاجتماعية والفنية[٢] .

---

(٢) أنظر : الحضارة الإسلامية لآدم ميتز .

ولا شك في ان بيئة الخلفاء والأمراء ورجال الدولة امتازت عن سواها أيضاً بنعومة الحياة وترف العيش ، ووفرة صنوف الحضارة الراقية ووسائلها ، ولعل استغاثة ابن الرومي في حكاية مَنْ ألمح الى تقصيره في الوصف عن وصف ابن المعتز للهلال ـ إذا صحّت ـ أفضل دليل على هذا[٣] .

فالشاعر العباسي عامة قد أدخل في شعره ضروباً من الألوان التي استقى الكثير منها مما حفظه من الشعر الذي تقدم عصره ، ولكنه ـ بلا ريب ـ استعان أيضاً في إشاعة الألوان مما وقعت عليه عينه في بيئته الجديدة .

ويبدو لنا انِ من أكثر شعراء العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ـ إن لم يكن أكثرهم استخداماً للألوان والتفاعل معها وإشاعتها في عموم فنون شعره هو ابن المعتز ، ولعل من أسباب ذلك ، كثرة هذه الألوان في بيئته الخاصة وحبّه لها حد الاندماج بها ، وبراعته في الوصف ، واشتهاره بفن التشبيه الذي يكاد يختص به دون سائر شعراء العصر .

والألوان عنصر مهم وركن أساسي في إقامة هذا الفن ، وتقريب الصور الفنية فيه خاصة وفنون الشعر الأخرى عامة .

إن شيوع الألوان بانواعها انتشر في قصائده ومقطوعاته وكانت تتباعد أحياناً أو تزدحم متتالية أحياناً أخرى ، ولعلّي لا أبالغ إذا ما ذهبت الى انه لم يترك لوناً قديماً أوحديثاً ، إلا استعان به في تقريب تشبيه أو توضيح صورة شعرية . ومن خلال تصفح ديوانه وقراءته قراءة متانية ظهر لي انه استعمل مفردة (اللون) وجمعها أكثر من مرة كقوله :

---

(٣) أنظر : شعر ابن المعتز ، القسم الثاني ، ٢٩١ ـ ٢٩٤ .

في قبـــــاء فـــــاختي (اللـ
ـون) من لبس الجـــــديـــــد[٤]

وقوله :

يـــــرى في وجهـــــه الجهم
لـــوجـــه المـــوت (ألـــوان)[٥]

إن الألوان التي شاعت في شعر ابن المعتز وكثرت هي : الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأخضر والأزرق والأسمر . وكثرت ألوان أخرى يمكن أن نطلق عليها اسم (ألوان شتى أو ألوان مختلطة) . وهذه الألوان جاءت باللفظ الذي عُرفت به أصلًا ، كما جاءت بما يدل عليها من أمور أخرى .

فمن هذه الألوان : الأبيض الذي جاء بألفاظ شتى : كالأبيض والبيض والبياض، وأطلق على أمور متعددة منها :

بياض التقى[٦] ، والفجر والأصيل[٧] ، والنساء والمحبوب والخدود[٨] ، وجسم الفرس[٩] ، ومنخره[١٠] ، وقوائمه[١١] ، والشيب[١٢] ،

---

(٤) شعر ابن المعتز ٤٣٢/١ . وانظر مثل هذا : ٩٤/١ ، ١٤١ ، ٢٣٥ ، ٢٩٢ ، ٣٤/٢ ، ٤٢ ، ٨٤ ، ١١٤ ، ١٦٥ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ٢١١ ، ٢٦٥ ، ٢٨٧ ، ٢٣٠ ، ٣٣٥ ، ٣٥٧ ، ٥٨٩ ، ٦٠٨ ، ٦٣٦ ، ٩١/٣ ، ١٢٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٦٨ ، ٣٣٢ .

(٥) نفسه : ١٧٩/١ . وانظر : ٢٥١/٢ ، ٥٨٩ ، ٣٣٦/٣ .

(٦) نفسه : ٦٥/١ .

(٧) نفسه : ١٠٨/١ ، ٢٦٢ ، ٤٦٧ .

(٨) نفسه : ٢٩٣/١ ، ٢٩٨ ، ٣٢٦ ، ٣٥٦ ، ٧٠١ ، ٧٠٥ ، ٦٠٤/٢ .

(٩) نفسه : ٥٠٦/١ .

(١٠) نفسه : ٤٣/١ .

(١١) شعر ابن المعتز : ٣٤٦/٢ .

(١٢) نفسه : ٦/١ ، ٣٠ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٧٩ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ١٠٦ ، ←

والخمر[١٣] ، والروض[١٤] ، والعين (المآقي والجفون)[١٥] ، والورد[١٦] ، والسيوف[١٧] ، والدراهم[١٨] ، والبازي[١٩] ، والثياب[٢٠] ، ونوائب أباريق الخمر[٢١] ، وكؤوس الخمر[٢٢] ، وخمار الخمرة[٢٣] ، ونوائب الدهر[٢٤] ، والطير[٢٥] ، والنرجس[٢٦] ، والبصل[٢٧] ، والدرع[٢٨] ، والحجة[٢٩] ،

← ١٠٧ ، ١٣٦ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٨ ، ٣٣٣ ، ٣٧٦ ، ٦١٥ ، ٦٥٣ ، ٦٩٩ ، ١٥/٢ ، ٣٤ ، ٨٢ ، ١١١ ، ١٣٥ ، ١٥٧ ، ٢٦٧ ، ٢٧٧ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٥٤٣ ، ٦٥٤ ، ٩١/٣ ، ١١٨ ، ١٤٧ .

(١٣) نفسه : ٩١/٢ ، ١١٩ ، ٢٥٢/٢ ، ٣٢٨ ، ٣٨٧/٣ .

(١٤) نفسه : ٤٩٢/٢ .

(١٥) نفسه : ٥٥٨/٢ ، ١٣١ .

(١٦) نفسه : ١٥/٢ ، ٤٤١ ، ٥٦٥ ، ٥٧٥ ، ٦٢٤ .

(١٧) نفسه : ٤٠/١ ، ٧٣ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٩٢ ، ٣٩٥ ، ٤١٢ ، ٤٣٠ ، ٤٣٧ ، ٤٩٠ ، ٥٠٣ ، ٦١٦ ، ٣٠٤/٢ .

(١٨) نفسه : ٤٣٥/١ .

(١٩) نفسه : ٥٧٤/١ ، ١٥٦/٣ .

(٢٠) نفسه : ٦/٢ ، ٢٨٩ ، ٢٢٦ ، ٣٥٥/٢ ، ٣٥٢/٣ ، ٦٠٤ .

(٢١) نفسه : ٢٢٧/٢ .

(٢٢) نفسه : ٩١/٢ ، ١١٩ ، ٢٥٢/٢ ، ٣٢٨ ، ٣٨٧/٣ .

(٢٣) نفسه : ١٢٢/٢ .

(٢٤) نفسه : ١٧١/٣ .

(٢٥) نفسه : ٤٤٦/٢ .

(٢٦) نفسه : ٥٨٨/٢ .

(٢٧) نفسه : ٢٧٨/٣ .

(٢٨) نفسه : ٨٧/٣ .

(٢٩) نفسه : ١٩٣/١ ، ٣٩٦ .

والعطية[٣٠] ، والدرة[٣١] ، والليلة[٣٢] ، والجلدة[٣٣] ، والدار[٣٤] ، والبياض عامة[٣٥] .

كما استعمل الشاعر ألفاظاً أُخر تدل على هذا اللون الابيض أيضاً مثل :

١ ــ الشمس التي أراد بها الدلالة على :

الشمس المعروفة[٣٦] ، والخمر[٣٧] ، والمرأة[٣٨] ، والعداوة[٣٩] .

٢ ــ والقمر (البدر) وأراد به :

القمر المعروف[٤٠] ، والغلام[٤١] ، والممدوح[٤٢] ، والمرأة[٤٣] ، والساقي[٤٤] ، والروضة[٤٥] ، والليلة[٤٦] ، والبازي[٤٧] .

---

(٣٠) نفسه : ٤٢٥/١ .

(٣١) نفسه : ١٨/٢ .

(٣٢) نفسه : ١٦٣/٢ .

(٣٣) نفسه : ٢٨٣/٢ ، ٤٠٧ .

(٣٤) شعر ابن المعتز : ٦٤٨/٢ .

(٣٥) نفسه : ٤٤٨/١ ، ٦٠٩/٢ .

(٣٦) نفسه : ٥٢/١ ، ١١١ ، ٢١٤ ، ٢٠٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٨ ، ٤١٩ ، ٢٠٠/٢ ، ٤٩٩ ..

(٣٧) نفسه : ٤٤/١ ، ٨٢/٢ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ٢١١ ، ٤٩٩ .

(٣٨) نفسه : ٢٢١/١ ، ٢٥٨ .

(٣٩) نفسه : ١٧٨/١ .

(٤٠) نفسه : ١٢/١ ، ٥٦٨/٢ .

(٤١) نفسه : ٣٤/١ ، ٣٢٦ .

(٤٢) نفسه : ٤٠٠/١ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠ .

(٤٣) نفسه : ٥٤/١ ، ٦٤ ، ٣٠٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٤ ، ١٠٣/٢ .

(٤٤) نفسه : ١١٨/١ .

(٤٥) نفسه : ١٢٨/٢ .

(٤٦) نفسه : ١٦٣/٢ .

(٤٧) نفسه : ٤٤٢/٢ .

٣ — والشهاب[٤٨] .

٤ — والنُور : وأطلقه على :

النور المعروف[٤٩] ، والمرأة[٥٠] ، وجبين الناقة[٥١] ، والممدوح[٥٢] ، والخمر[٥٣] .

٥ — الصباح والصبح والإصباح وأطلقها على معانٍ شتى أمثال :

الضوء المعروف[٥٤] ، وعين الاشهل[٥٥] ، والشيب[٥٦] ، والحصان[٥٧] ، والفَرْق (فرق الشعر)[٥٨] .

٦ — الفضة : وأراد بها الدلالة على معانٍ كثيرة مثل :

المعدن المعروف[٥٩] ، وجسم المرأة وأصابعها[٦٠] ، والخمر[٦١] ،

---

(٤٨) نفسه : ٣٣٨/٢ .

(٤٩) نفسه : ١٩٦/١ ، ٦٦/٢ ، ٧٧ .

(٥٠) نفسه : ١٢٤/١ ، ٣٠٥ ، ٣١٣ ، ٣٣٤ ، ١١٧/٢ .

(٥١) نفسه : ١٦٦/١ .

(٥٢) نفسه : ٤٣٠/١ .

(٥٣) نفسه : ٤٤/١ ، ٦٨ ، ١١٩ ، ٢٣٦ .

(٥٤) شعر ابن المعتز : ٣١/١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٨١ ، ٨٣ ، ١٦١ ، ٢١٦ ، ٢٣٩ ، ٣٣١ ، ٤٨٠ ، ٤٢/٢ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٣٦٣ .

(٥٥) نفسه : ١٦٥/١ .

(٥٦) نفسه : ٤٩٧/١ ، ٤٢/٢ .

(٥٧) نفسه : ٢٠٨/٢ .

(٥٨) نفسه : ٣٦٣/٢ .

(٥٩) نفسه : ٤٠٤/١ ، ٥٧٤ .

(٦٠) نفسه : ٢٤٢/١ (في الجسم) ، ٦٠/٢ ، ٣٦٩ (في الاصابع) .

(٦١) نفسه : ٢٢/٢ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٥٠ ، ٩٨ ، ١٢٠ ، ١٤٢ ، ٢٣٤/٣ .

والليلة[٦٢] ، والشيب[٦٣] ، والثريا[٦٤] ، والماء[٦٥] ، والبازي[٦٦] ، والهلال[٦٧] ، والنرجس[٦٨] ، والبرق[٦٩] .

٧ ــ اللجين : ونعت به أموراً كثيرة مثل :

الترس[٧٠] ، وماء السحاب[٧١] ، والأكاليل[٧٢] ، والطلع[٧٣] ، والورد[٧٤] .

٨ ــ الدر (اللؤلؤ) : ووصف به وشبّه موضوعات كثيرة مثل : اللؤلؤ المعروف[٧٥] ، والجآذر[٧٦] ، والدموع[٧٧] ، والخمر[٧٨] ، وساق

---

(٦٢) نفسه : ٩٦/٢ .
(٦٣) نفسه : ١٥٧/٢ ، ٢٦٢ ، ١٨٥/٣ .
(٦٤) نفسه : ١٦٨/٢ .
(٦٥) نفسه : ٣٧٥/٢ .
(٦٦) نفسه : ٣٧٥/٢ .
(٦٧) نفسه : ٥٩١/٢ ، ٦٠٦ .
(٦٨) نفسه : ٥٩٢/٢ .
(٦٩) نفسه : ٤٣/٣ .
(٧٠) نفسه : ٢/١ .
(٧١) نفسه : ١٢٨/٢ .
(٧٢) نفسه : ٢٥٢/٢ .
(٧٣) نفسه : ٣٦٣/٣ .
(٧٤) نفسه : ٤٠٥/٣ .
(٧٥) شعر ابن المعتز : ٢٩٨/١ ، ٣٤/٢ .
(٧٦) نفسه : ٨٧/١ .
(٧٧) نفسه : ٣١٩/١ ، ٥٩٨/٢ .
(٧٨) نفسه : ٣١/٢ ، ٣٥ (في موضعين) ٣٩ ، ٧٨ ، ٩٨ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٧٨ ، ٢٣٦ ، ٢٥٥ ، ٢٣٤/٣

المرأة[٧٩] ، والأسنان[٨٠] ، وعناقيد العنب[٨١] ، والاصابع[٨٢] ، والشيب[٨٣] ، والنجوم[٨٤] .

٩ ــ الجمان (اللؤلؤ) ووصف به الخمر[٨٥] .

١٠ ــ الغُرّة : وأراد بها :

جبهة الفرس[٨٦] ، ووجه الممدوح[٨٧] ، والساقي[٨٨] ، والصباح[٨٩] .

١١ ــ العاج : ووصف به :

الوجه عامة[٩٠] ، ووجه الساقي[٩١] ، والهلال[٩٢] ، والأكف[٩٣] ، والشيب[٩٤] .

١٢ ــ الرخام : ونعت به : جؤجؤ البازي[٩٥] ، والكرّز (أحد

---

(٧٩) نفسه : ١٧٧/٢ ، ٢١٥ .

(٨٠) نفسه : ٢٥٢/١ ، ٣٣٢ ، ٥٧٦/٢ .

(٨١) نفسه : ٥٦٧/٢ .

(٨٢) نفسه : ٦٢٢/٢ .

(٨٣) نفسه : ٩١/٣ .

(٨٤) نفسه : ٢٧١/٣ .

(٨٥) نفسه : ٢٥٥/٢ .

(٨٦) نفسه : ٤٧/١ ، ١٧٩ ، ٥٠٦ ، ٦٣١/٢ .

(٨٧) نفسه : ٤٩٩/١ .

(٨٨) نفسه : ١١٨/٢ .

(٨٩) نفسه : ٣٤٦/٢ ، ٣٧٠ ، ٣٨٠ .

(٩٠) نفسه : ٢٣٧/١ .

(٩١) نفسه : ٢٤٥/٢ ، ٢٤٩ .

(٩٢) نفسه : ٢٩٤/٢ .

(٩٣) نفسه : ٢٩٧/٢ .

(٩٤) نفسه : ٣٠٤/٣ .

(٩٥) نفسه : ٤٣٨/٢ .

الطيور الجارحة)[٩٦] .

١٣ ــ الدينار : ووصف به :

عين الزرّق (من الطيور الجارحة)[٩٧] ، والشمس[٩٨] .

١٤ ــ البيض[٩٩] .

١٥ ــ الزجاج[١٠٠] .

١٦ ــ البلور[١٠١] .

١٧ ــ البرص[١٠٢] : ونعت به القمر[١٠٣] .

١٨ ــ الكافور[١٠٤] ، ووصف به :

الحيطان[١٠٥] ، والخمر[١٠٦] ، والمجلس[١٠٧] ، والنرجس[١٠٨] .

١٩ ــ العنبر[١٠٩] : ونعت به :

---

(٩٦) نفسه : ٣١١/٣ .

(٩٧) شعر ابن المعتز :٤٨٤/٢ .

(٩٨) نفسه : ٤٩٩/٢ .

(٩٩) نفسه : ٢٨٣/٢ .

(١٠٠) نفسه : ٢٥٢/٢ .

(١٠١) نفسه : ٣٢٨/٢ .

(١٠٢) البرص : داء معروف ، وهو بياض يظهر في ظاهر البدن (التاج) .

(١٠٣) نفسه : ٦٠٨/٢ .

(١٠٤) الكافور : وخشبه أبيض هش ويوجد في أجوافه الكافور ، وهو أنواع ولونها أحمر ، وإنما يبيض بالتصعيد (التاج) .

(١٠٥) نفسه : ٤٠٦/١ .

(١٠٦) نفسه : ٢٩٩/٣ .

(١٠٧) نفسه : ١٣٧/٢ .

(١٠٨) نفسه : ٢٧٤/٣ .

(١٠٩) العنبر : (أجوده الابيض، وما قارب البياض ولا رغبة في أسوده) .

الطيب[١١٠] ، والساقي[١١١] ، ووجه البطل[١١٢] .

٢٠ ـ النَّوْر[١١٣] : وأراد به :

الزهر المعروف[١١٤] ، ونجوم الثريا[١١٥] ، والحية[١١٦] ، والبقاع[١١٧] ، والخد[١١٨] ، والكتابة[١١٩] ، والخمر[١٢٠] ، والشيب[١٢١] ، والساقي[١٢٢] ، والجوزاء[١٢٣] ، والاسنان[١٢٤] .

٢١ ـ السوسن[١٢٥] :

٢٢ ـ النسرين[١٢٦] : ونعت به :

---

(١١٠) نفسه : ٢/٥٩١ .

(١١١) نفسه : ٢/١٧٧ .

(١١٢) نفسه : ٣/٣٠٢ .

(١١٣) النور : الزهر الابيض .

(١١٤) شعر ابن المعتز : ١/٢٦ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ١٧٢ ، ٢٣٥ ، ٤٦٦ ، ٢/٥٨ ، ٦٣ ، ٣٢٣ ، ٣٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٦٧ ، ٥٦٤ ، ٥٧٢ .

(١١٥) نفسه : ١/٧٢ ، ٢/١١٤ ، ١٦٨ .

(١١٦) نفسه : ١/١٤١ .

(١١٧) نفسه : ١/١٩٥ .

(١١٨) نفسه : ٢/٢٢٣ ، ٢/٩٣ .

(١١٩) نفسه : ١/٤٩٣ .

(١٢٠) نفسه : ١/٤٥٤ .

(١٢١) ١/٦٣٠ ، ٢/٣٤٦ ، ٤١١ ، ٣/١٦٠ .

(١٢٢) نفسه : ٢/٢٤٣ .

(١٢٣) نفسه : ٢/٤٦٥ . الجوزراء : (برج من أبراج السماء) .

(١٢٤) نفسه : ٢/٤٧٨ .

(١٢٥) ٢/٥٤٢ . السوسن : جنس نباتات من الفصيلة السوسنية تنتهي بزهرة أو عدة زهور جذابة تخرج كل منها من غُلف حرشفية ، يختلف لونها باختلاف النوع ، فمنه الابيض والازرق والاصفر والاحمر .

(١٢٦) النسرين : ورد أبيض عطري قوي الرائحة . (المعجم الوسيط) .

العذار[١٢٧] ، والخمر[١٢٨] .

٢٣ ـ الزهر[١٢٩] : وأراد به :

الزهر المعروف[١٣٠] ، وكلبة الصيد[١٣١] ، والخمر[١٣٢] .

٢٤ ـ الاقاحي[١٣٣] : ووصف بها :

الأسنان[١٣٤] ، والشيب[١٣٥] ، والخمر[١٣٦] ، والنجوم[١٣٧] ، والزهر المعروف[١٣٨] .

٢٥ ـ الكتان[١٣٩] :

٢٦ ـ الشيب : واستعمل ألفاظ : الشيب والمشيب وشاب

---

(١٢٧) نفسه : ٢/٢٤٥ .

(١٢٨) نفسه : ٢/٣٨٧ .

(١٢٩) الزهر : نَور النباتات والشجر ، والازهر ، كل لون أبيضٍ صاف مشرق مضيء (المعجم الوسيط) .

(١٣٠) نفسه : ١/١١٤ ، ٤٣٦ ، ٢/١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٦٤ ، ٢٥٨ .

(١٣١) نفسه : ٢/٤٢٢ .

(١٣٢) نفسه : ٢ ٤٤٢ .

(١٣٣) الاقحوان : (نبت زهرة أصفر أو أبيض ، ورقة مؤلل كاسنان المنشار ، ومنه البابونج ، وكثر في الادب العربي تشبيه الاسنان بالابيض المؤلل منه ، والجمع : أقاحٍ وأقاحيّ (المعجم الوسيط) . وفي جميع ما أشرنا به يُراد به الابيض .

(١٣٤) شعر ابن المعتز : ١/١٢ ، ٢/٨٠ (في موضعين) ، ١٤٦ ، ٥٤٤ .

(١٣٥) نفسه : ١/١٣٦ ، ٢٥٠ .

(١٣٦) نفسه : ٢/٢٥٥ ، ٤٥٤ .

(١٣٧) نفسه : ٢/٥٣٤ ، ٦٥٥ .

(١٣٨) نفسه : ٢/٥٩٠ .

(١٣٩) نفسه : ٢/٤١٥ .

وشيَّب ويشيِّب[١٤٠] .

ومثل اللون الأبيض جاء اللون الأسود كذلك . وقد ذكر هذا اللون بالاسم أو اللفظ الذي عُرِف به : كالأسود والسود ويسوّد وتسويد ، وشمل ذلك أموراً كثيرة توزعت في ثنايا شعره ، مثال :

١ ـــ اسوداد الشمس[١٤١] .

٢ ـــ وجوه الموت[١٤٢] .

٣ ـــ والشعر[١٤٣] ، وشمل ذلك :

الهامة[١٤٤] ، والعارض[١٤٥] ، والزرافين[١٤٦] ، واللحية[١٤٧] ، والعثانين[١٤٨] .

---

(١٤٠) ١/٢٦ ، ٣٠ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٧٩ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٣٦ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٣٣٣ ، ٣٧٦ ، ٦١٥ ، ٦٥٣ ، ٦٩٩ ، ٢/١٥ ، ٣٤ ، ٨٢ ، ١١١ ، ١٣٥ ، ١٥٧ ، ٢٦٧ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٥٤٣ ، ٦٥٤ ، ٣/٩١ ، ١١٨ ، ١٤٧ .

(١٤١) نفسه : ١/١١٥ .

(١٤٢) نفسه : ١/١٢٤ ، ٤٣٢ .

(١٤٣) نفسه : ٣/١٥٩ .

(١٤٤) نفسه : ١/٢٥٠ ، ٦٨١ .
٢/٢٨٧ (الهامة : الرأس) .

(١٤٥) نفسه : ١/٣٠٨ .
العارض جانب الوجه وهما عارضان .

(١٤٦) نفسه : ٢/٢٤٥ .
الزرافين : في الأصل حلقات الباب وتُطلق على الشعر الذي يعمل كحلقات الباب .

(١٤٧) نفسه : ٢/٥٣٨ ، ٣/١٢٨ ، ١٨٠ .

(١٤٨) نفسه : ٢/١١٠ .
العثانين : جمع عثنون : ما نبت على الذقن وتحته سفلًا .

٤ ـ الحداد[١٤٩] .

٥ ـ العمامة[١٥٠]

٦ ـ الطرة[١٥١] .

٧ ـ البشرة[١٥٢] . ٨ ـ عناقيد العنب[١٥٣] .

٩ ـ الخمر[١٥٤] . ١٠ ـ مُدَّة القلم[١٥٥] . ١١ ـ صروف الدهر[١٥٦] .

١٢ ـ أسنان المشط[١٥٧] . ١٣ ـ الوجه[١٥٨] .

١٤ ـ الحُبُك[١٥٩] . ١٥ ـ النجم[١٦٠] . ١٦ ـ المزمار[١٦١] .

١٧ ـ الرايات[١٦٢] . ١٨ ـ الملابس وشملت : المدارع[١٦٣]

---

(١٤٩) نفسه : ١/٤١٣ ، ٥٥٤ ، ٢/٥٤٧ ، ٣/١٥٩ .

(١٥٠) نفسه : ١/٤٢٧ .

(١٥١) نفسه : ٢/٣٥٦ .

الطرة : ما تطره المرأة منّ الشعر الموفي على جبهتها وتصففه وهي التُّصّة .

(١٥٢) شعر ابن المعتز : ١/٧٣٣ .

(١٥٣) نفسه : ٢/٧ .

(١٥٤) نفسه : ٢/٩١ ، ١٤٤ ، ٤٣٧ ، ٥٧٧ .

(١٥٥) نفسه : ٢/٤٠٦ ، ٤١٠ .

(١٥٦) نفسه : ٣/١٧١ .

(١٥٧) نفسه : ١/١٨١ .

(١٥٨) نفسه : ٢/٦٤٨ .

(١٥٩) نفسه : ٢/٥٢٠ .

الحبك : تكسّر كل شيء كالرملة إذا مرت عليها الريح الساكنة والماء القائم إذا مرّت به الريح . والدرع من الحديد لها حُبُك أيضاً .

(١٦٠) نفسه : ٢/٥٤٧ .

(١٦١) نفسه : ١/٥٨٧ .

(١٦٢) نفسه : ١/٨١ .

(١٦٣) نفسه : ٢/٢٤٥ .

والقباء[١٦٤] . والغلائل[١٦٥] . وحلل الرهبان[١٦٦] . ١٩ ـ الفهد[١٦٧] . ٢٠ ـ قلب الكافر[١٦٨] . ٢١ ـ السماء[١٦٩] . ٢٢ ـ الغراب[١٧٠] .

واستعمل ألفاظاً تدل على السواد مثل :

١ ـ الليل : الذي استخدمه مذكراً ومؤنثاً ، مفرداً وجمعاً للدلالة على أمور كثيرة متعددة منها :

ليلة قر[١٧١] ، وليل القار (وجنح ليل كالقار)[١٧٢] ، وتردد الليل[١٧٣] ، وزجر الليل[١٧٤] ، ورقة الليل[١٧٥] ، ودهمة الليل[١٧٦] ، والليل البهيم[١٧٧] ، وشطر الليلة[١٧٨] ، والليل الذي لاح نجمه[١٧٩] ، وامتزاج الليل بالصباح[١٨٠] ، والليل الضرير النجم[١٨١] ، وارخاء الليل ستر

---

(١٦٤) نفسه : ٤٢٥/٢ ، ٦٠٩ .

(١٦٥) نفسه : ٥٦٦/٢ .

(١٦٦) نفسه : ٥٤٧/٢ .

(١٦٧) نفسه : ٥٥٢/٢ .

(١٦٨) نفسه : ٥٨٦/٢ .

(١٦٩) نفسه : ٥٨٦/٢ .

(١٧٠) نفسه : ١٨٥/٣ .

(١٧١) شعر ابن المعتز : ٢٨/١ .

(١٧٢) نفسه : ٣١/٢ ، ٥٧٧ .

(١٧٣) نفسه : ٣٤/١ .

(١٧٤) نفسه : ٣٦/١ .

(١٧٥) نفسه : ٤٢/١ .

(١٧٦) نفسه : ٤٢/١ .

(١٧٧) نفسه : ٤٤/١ .

(١٧٨) نفسه : ٤٩/١ .

(١٧٩) نفسه : ٦٤/١ .

(١٨٠) نفسه : ٦٧/١ .

(١٨١) نفسه : ٧١/١ .

ظلامه[١٨٢] ، والليل الحادي بنجمه[١٨٣] ، وجليد الليل[١٨٤] ، والليل الغمر[١٨٥] ، والليل الطويل[١٨٦] ، والليلة ذات التهتان[١٨٧] ، وليل الصدود[١٨٨] ، وليلة العيد[١٨٩] ، وذر الليل ظلمته[١٩٠] ، وليل الشباب[١٩١] ، وليلات لهو[١٩٢] ، وغلالة الليل المطرز بالصباح[١٩٣] ، وقميص الليل[١٩٤] ، وحلل الليل[١٩٥] ، والليل الذي كحل الورى بالرقاد[١٩٦] ، والليلة البيضاء[١٩٧] ، وأديم الليل المظلم[١٩٨] ، وجلد الليل[١٩٩] ، وحث الليل جناحه[٢٠٠] ، والليل المفتضح الأكناف[٢٠١] ،

---

(١٨٢) نفسه : ١/١٠١ ، ٢٧٥ .
(١٨٣) نفسه : ١/١١١ .
(١٨٤) نفسه : ١/١١٥ .
(١٨٥) نفسه : ١/١٢٠ .
(١٨٦) نفسه : ١/١٧١ ، ١٩٥ ، ٢٧٥ ، ٣٨٢ ، ٤١٦ .
(١٨٧) نفسه : ١/١٨٤ .
(١٨٨) نفسه : ١/٢٥٨ .
(١٨٩) نفسه : ١/٢٦١ .
(١٩٠) نفسه : ١/٢٧٤ .
(١٩١) نفسه : ١/٤٩٧ ، ٢/٤٢ .
(١٩٢) نفسه : ١/٥٠٥ ، ٥٠٧ .
(١٩٣) نفسه : ٢/٧٤ .
(١٩٤) نفسه : ٢/٧٤ .
(١٩٥) نفسه : ٢/٢٤٥ ، ٦٤٣ .
(١٩٦) نفسه : ٢/٩٠ .
(١٩٧) نفسه : ٢/٩٦ .
(١٩٨) نفسه : ٢/٢٤٠ .
(١٩٩) نفسه : ٢/٢٨٢ .
(٢٠٠) نفسه : ٢/٢٤٨ .
(٢٠١) نفسه : ٢/٣٦٣ .

وليلة حبشية ، أو الليل الحبشي[٢٠٢] ، وطرة الليل المسفر[٢٠٣] ، وشيب الليل[٢٠٤] ، والليل الحالك الجلباب[٢٠٥] ، والليل الذي يشبه جلباب الشباب[٢٠٦] ، وجلباب الليل كالقار[٢٠٧] ، وليل القار[٢٠٨] ، والليل فقط[٢٠٩] .

٢ ــ والظلام والظلمة والظلم والظلماء والظلامية للدلالة على أمور متعددة كذلك منها :

ستر الظلمة[٢١٠] ، وذر الظلمة[٢١١] ، والظلام السرمدي[٢١٢] ، وظلام الشعر[٢١٣] ، وظلامية الأجسام . في الخمرة[٢١٤] ، وظلام جسم الفرس[٢١٥] ، وظلمة القلوب[٢١٦] ، وثوب الظلام[٢١٧] ، والظلام عامة[٢١٨] .

---

(٢٠٢) نفسه : ٢/٣٧٠ ، ٤١٣ .

(٢٠٣) نفسه : ٢/٤٤٠ .

(٢٠٤) شعر بن المعتز :

(٢٠٥) نفسه : ٢/٤٢٢ .

(٢٠٦) نفسه : ٢/٤٣٧ .

(٢٠٧) ~~نفسه : ٢/٤٣٧ .~~

(٢٠٨) نفسه : ١/٣١ .

(٢٠٩) نفسه : ١/٦٣ ، ٦٦ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١٠٦ ، ١٥٤ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ٢٣٩ ، ٢٥١ ، ٢٧٤ ، ٣٢٧ ، ٣٤٩ ، ٣٧٧ ، ٤٠٠ ، ٤٤٢ ، ٥٠٥ ، ٢/٢٠٩ .

(٢١٠) نفسه : ١/١٠١ .

(٢١١) نفسه : ١/٢٧٤ .

(٢١٢) نفسه : ١/٢٧٩ .

(٢١٣) نفسه : ٢/١١٧ .

(٢١٤) نفسه : ٢/٢٣٦ .

(٢١٥) نفسه : ٢/٦٤٣ .

(٢١٦) نفسه : ٢/٤١١ .

(٢١٧) نفسه : ٢/٦١٩ .

(٢١٨) نفسه : ١/٥٦ ، ١٧١ ، ٣٢٦ ، ٤٦١ ، ٢/٢٣٩ ، ٢٦٨ ، ٢٨٣ ، ←

٣ ـ الدجى الذي استخدمه للدلالة على معانٍ متعددة منها : ظلم الدجى[٢١٩] ، ودجى الليل[٢٢٠] ، وحلة الدجى[٢٢١] ، وثوب الدجى[٢٢٢] ، ودجى الشعر[٢٢٣] ، والدجى عامة[٢٢٤] .

ومن الألفاظ التي استعملها للدلالة على السواد أيضاً :

١ - الدكنة[٢٢٥] ، ٢ - والغسق[٢٢٦] ، ٣ - والسفع الذي وصف به الأثافي[٢٢٧] ، ٤ - والغالية[٢٢٨] ، ٥ - والغربيب[٢٢٩] ٦ - والمكفهر[٢٣٠] ، ٧ - والمداد[٢٣١] ، ٨ - والفحم والفاحم[٢٣٢] ، ٩ - والسدفة[٢٣٣] ، ١٠ - والملاحف[٢٣٤] ، ١١ - والرباب الجون

←٦١٩.

(٢١٩) نفسه : ١/٣٠.

(٢٢٠) نفسه : ١/١٨٤ ، ٣٨٩.

(٢٢١) نفسه : ١/١٠٦ ، ٢/١٠٦.

(٢٢٢) نفسه : ١/١٤٢ ، ٢/٢٢١.

(٢٢٣) نفسه : ١/٢٥٤.

(٢٢٤) نفسه : ١/٦٤ ، ٦٩ ، ١٠٤ ، ١٥٧ ، ١٨٢ ، ٢١٦ ، ٣٧٧ ، ٤٨٢ ، ٤٨٢ ، ٥٠٦ ، ٢/٤٠ ، ٨٠ ، ١٧٨ ، ٢٨٧.

(٢٢٥) نفسه : ١/١٧٥ ، ٢/٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٣/٣٨٥.

(٢٢٦) نفسه : ١/٣٠٥.

(٢٢٧) نفسه : ١/٥١.

(٢٢٨) نفسه : ٢/٦٢٠. الغالية : نوع من الطيب.

(٢٢٩) نفسه : ٢/٤١١.

(٢٣٠) شعر ابن المعتز ١/١٨٦ . المكفهر : السحاب الغليظ الاسود وكل متراكب.

(٢٣١) نفسه : ٢/٢٢٩.

(٢٣٢) نفسه : ٢/٢٣٣ ، ويُراد به الفحم المعروف ١/٢٥٦ في وصف الشَعر.

(٢٣٣) نفسه : ١/٣٣ ، ٦٢ ، ٢٤٢ ، ٢/٣٨٤.

(٢٣٤) نفسه : ٣/٢٦٨.

واستعمل لمعنيين : السحاب[٢٣٥] ، ووصف الحصان[٢٣٦] ، ١٢ - والخال وأراد به : الشامة المعروفة[٢٣٧] ، ووصف جارية[٢٣٨] ، ١٣ - والدخان[٢٣٩] ، ١٤ - والجلد ونعت به : جلد الكلبة[٢٤٠] ، وجلد النوبي[٢٤١] ، ١٦ - والابنوس ، ووصف به جارية : سوداء[٢٤٢] والشعر[٢٤٣] ، ١٧ - وثياب الرهبان[٢٤٤] ، ١٨ - والمسك ووصف به : الخمر[٢٤٥] ، والمرأة[٢٤٦] ، ١٩ - والفهد[٢٤٧] ، ٢٠ - والقار ووصف به الخمر[٢٤٨] ، ٢١ - والكحل واستعمله في عدة موضوعات : في العين[٢٤٩] ، والخمرة[٢٥٠] والورد كالزهرة والبنفسج والنرجس[٢٥١] .

---

(٢٣٥) نفسه : ١٠٨/١ ، ١١٤ .

(٢٣٦) نفسه : ١١٦/١ ، ٢٨٦/٣ .

(٢٣٧) نفسه : ٢٣٥/١ ، ٢١٠ ، ٢٢٩ ، ١٣٠/٣ .

(٢٣٨) نفسه : ٥٧٧/٢ .

(٢٣٩) نفسه : ٥٥/١ ، ٩٢ ، ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٧٢ ، ٢٥٢/٢٠ ، ٤٢٧ ، ٦٨/٣ .

(٢٤٠) نفسه : ٤٣٥/٢ .

(٢٤١) نفسه : ٤٣٧ .

(٢٤٢) نفسه : ٥٧٧/٢ .

(٢٤٣) نفسه : ١٥٧/٢ ، ٣٠٤/٣ .

(٢٤٤) نفسه : ١٨٤/١ ، ٥٤٧/٢ .

(٢٤٥) نفسه : ٥١/٢ ، ١٩٣ .

(٢٤٦) نفسه : ٢٤٩/٢ ، ٥٧٧ .

(٢٤٧) نفسه : ٣٤٠/٣.

(٢٤٨) نفسه : ١٤٤/٢ ، ٥٧٧ .

(٢٤٩) نفسه : ١٢/١ ، ٤١ ، ١٦٦ ، ٢٦١ ، ٣٤٠ ، ٤٠٥ ، ٤٨٩ ، ٤٩٨ ، ٩٠/٢ ، ١٢٨ ، ٢٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٦٢ ، ٦٤٤ .

(٢٥٠) نفسه : ٥١/٢ .

(٢٥١) نفسه : ١٦٤/٢ ، ٥٢٧ ، ٦١٩ .

٢٢ - الحَمَم (السواد) : واستعمله في موضوعات فوصف به : الغيث[٢٥٢] ، والرشا[٢٥٣] ، وحواشي الدجى[٢٥٤] .

٢٣ - الدهمة : واستعمله في وصف : الصبح[٢٥٥] ، والفرس[٢٥٦] ، والسحاب[٢٥٧] . ٢٤ - المداد (الحبر) واستعمله في نعت : الخمر[٢٥٨] ، والشعر[٢٥٩] ، وصدر الطير[٢٦٠] . ٢٥ - الحبشي (والحبشية)[٢٦١] .

٢٦ - الزنجية في نعت السفينة[٢٦٢] . ٢٧ - السبج : واستعمله في وصف موضوعات شتى أمثال : الشعر[٢٦٣] ، وعين حيوان الصيد[٢٦٤] ، والبازي[٢٦٥] ، والمرأة[٢٦٦] ، والظلام[٢٦٧] .

٢٨ - والغراب : الذي أراد به الدلالة على معاني السواد :

---

(٢٥٢) شعر ابن المعتز : ٥٢/١ .

(٢٥٣) نفسه : ٦٣٢/١ .

(٢٥٤) نفسه : ٥٦٦/٢ .

(٢٥٥) نفسه : ١٦٢/٢ .

(٢٥٦) نفسه : ٤٣/١ ، ٢٤٠/٢ ، ٣٤٦ ، ٦٤٣ ، ٦٣٨ ، ٦٤٤ .

(٢٥٧) نفسه : ٥٦٣/٢ .

(٢٥٨) نفسه : ٥١/٢ ، ٨٧ ، ٩١ ، ٢٢٩ .

(٢٥٩) نفسه : ٣٠٣/٢ .

(٢٦٠) نفسه : ٤٨٤/٢ .

(٢٦١) نفسه : ٢٩/١ ، ٩٨/٢ .

(٢٦٢) نفسه : ٦١٦/٢ .

(٢٦٣) نفسه : ٢٣٦/١ ، ٢٣٧ ، ١٠/٢ ، ١٢٨ ، ٢٦١ ، ٢٢٧/٣ .

(٢٦٤) نفسه : ٤٠٥/١ .

(٢٦٥) نفسه : ٤٢٨/٢ .

(٢٦٦) نفسه : ٥٣٠/٢ .

(٢٦٧) نفسه : ٥٣١/٢ .

كالليل[٢٦٨] ، والطرق[٢٦٩] ، والشعر[٢٧٠] ، واللحية[٢٧١] ، والدجى[٢٧٢] ، والدار[٢٧٣] .

٢٩ — وحلة الشباب ، وجلبابه : وهو من الألوان الطريفة التي يُراد بها السواد[٢٧٤] .

ومن الألفاظ التي استعملها الشاعر وأراد بها الدلالة على اللون الأسود : (الخضاب) أو الوسمة[٢٧٥] . وأشار الى ما خضب به من : الشعر[٢٧٦] والشارب[٢٧٧] واللحية[٢٧٨] والليل[٢٧٩] . وهو من طرائف مبتكرات الشاعر للألوان .

ومن الألوان التي أكثر من استعمالها اللون الأحمر ، واستعماله له كاستعماله للونين الأبيض والأسود ، إذ ذكر في استعماله اللون بحروفه الموضوعة له مثل : أحمر وحمراء وحمر ... وجاء ذلك موزعاً على

---

(٢٦٨) نفسه : ١/٣٧ ، ٢/٤١٩ ، ٤٢٢ ، ٤٦٨ .

(٢٦٩) نفسه : ٢/١١٨ .

(٢٧٠) نفسه : ١/٦٩٩ ، ٣/١٢٣ ، ١٣٢ .

(٢٧١) نفسه : ٢/١٢٨ .

(٢٧٢) نفسه : ٢/٢٤٩ .

(٢٧٣) نفسه : ١/٣٩ .

(٢٧٤) نفسه : ١/٥٢ ، ٢/٤٠٢ ، ٤٢٢ .

(٢٧٥) جاء في اللسان : (الوسمة : شجرة ورقها خضاب .. وهي نبت وقيل شجر باليمن يختضب بورقه الشعرُ أسودُ) .

(٢٧٦) شعر ابن المعتز : ١/٣٥ ، ١٠٧ ، ٢١٨ ، ٦١٥ ، ٢/٢٤ ، ٢٦٧ ، ٣٩٨ ، ٣/١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٥ (في موضعين) ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٧٥ ، ٣١٧ (في موضعين) .

(٢٧٧) نفسه : ١/٥٤١ .

(٢٧٨) نفسه : ٣/١٨٠ .

(٢٧٩) نفسه : ٢/٤١٩ .

موضوعات عدة مختلفة منها :

١ ــ الثياب أو الحلل في مجال الغزل أو الحرب أو سوى ذلك[٢٨٠] . ومما جاء في مجال الحرب : الذوائب[٢٨١] ، والمخالب[٢٨٢] ، والأديم أو الجلد[٢٨٣] ، وكعوب الرماح[٢٨٤] ، والراية[٢٨٥] ، واليوم[٢٨٦] ، والبحر والبر[٢٨٧] ، ووجوه الموت[٢٨٨] ، والدموع الجارية على النصل[٢٨٩] ، والداهية[٢٩٠] ، والسيوف[٢٩١] ، والقنا[٢٩٢] ، والأنياب والمخالب[٢٩٣] ، وأطراف السيوف[٢٩٤] .

ومنها ما جاء في غير الحرب والقتال أمثال :

الوجنة في باب الغزل[٢٩٥] ، والنقرة (القفا)[٢٩٦] ، والخمر[٢٩٧] ،

(٢٨٠) نفسه : ٣١/١ ، ٤٨ ، ٤٣٧ ، ٤٢٦/٢ ، ٦٠٤ .
(٢٨١) نفسه : ٥٧/١ .
(٢٨٢) نفسه : ٥٨/١ .
(٢٨٣) نفسه : ٧٢/١ ، ٨٣ .
(٢٨٤) نفسه : ٨٢/١ ، ٨٣ .
(٢٨٥) نفسه : ١٠٤/١ .
(٢٨٦) نفسه : ١٣٢/١ .
(٢٨٧) نفسه : ١١٥/١ .
(٢٨٨) نفسه : ١٢٢/١ .
(٢٨٩) نفسه : ١٥٢/١ .
(٢٩٠) نفسه : ٤٢٥/١ ، ٤٥١ .
(٢٩١) نفسه : ٥٧٠/١ .
(٢٩٢) نفسه : ٢٢٨/٢ .
(٢٩٣) نفسه : ٢٨٤/٢ .
(٢٩٤) نفسه : ٥٣٤/٢ ، ١٥٠/٣ .
(٢٩٥) شعر ابن المعتز : ١٤٢/١ ، ٣٣٣ .
(٢٩٦) نفسه : ٥٥٨/١ .
(٢٩٧) نفسه : ٤٠/٢ ، ١١٤ ، ١٦٦ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ٢٢٧ ، ٢٣١/٣ ، ٢٥٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ .

وأباريق الخمر[٢٩٨] ، والفرس[٢٩٩] ، والشفق[٣٠٠] ، وشدة الحر[٣٠١] ، والدستبان[٣٠٢] ، والنارنج [٣٠٣] ، وأرجل الطير[٣٠٤] ، وحمرة الصباح[٣٠٥] ، والعينان[٣٠٦] ، والخد (في باب الغزل)[٣٠٧] ، والتفاح[٣٠٨] ، والمشهيات[٣٠٩] .

والدم : جاءت لفظة الدم كثيراً في غضون شعره وأراد بها الدلالة على معانٍ أيضاً ، منها :

الغزل : فقد شبّه خدود حبيبته به ، كما ذكر ما خالط دموعه عند وداعه أو فراقه[٣١٠] .

والمديح : وجاء ذلك عند امتداحه الآخرين من خلفاء وأمراء

---

(٢٩٨) نفسه : ٢٢٧/٢ .
(٢٩٩) نفسه : ١٣٨/٢ .
(٣٠٠) نفسه : ٢٧٣/٢ .
(٣٠١) نفسه : ٣٢٦/٢ .
(٣٠٢) نفسه : ٤٤٣/٢ .
الدستبان : الجلد الذي يدخل في اليد .
(٣٠٣) نفسه : ٥١٠/٢ .
(٣٠٤) نفسه : ٥٢٠/٢ .
(٣٠٥) نفسه : ٥٤٧/٢ .
(٣٠٦) نفسه : ٥٥٦/٢ .
(٣٠٧) نفسه : ٦٢/٢ ، ١٠٥ ، ١١٤ ، ١٤٦ ، ٥١٠ ، ٦٥٠ ، ٢٩٢/٣ (في موضعين) .
(٣٠٨) نفسه : ٣٢٥/٣٠ (في موضعين) .
(٣٠٩) نفسه : ٢٧٨/٣ .
(٣١٠) نفسه : ٨٧/١ ، ٢٣٧ ، ٣٤٤ ، ٣٥٠ ، ٤٨٢ (في موضعين) ، ٥٠٥ ، ٥٣/٢ ، ٢١٥ ، ٢٧٩ ، ٢٩٧ ، ٣٧٢ ، ٣٧٦ .

ووزراء[٣١١] .

والفخر : وهو - وإن كان يندرج ضمن المديح ، إلا انه يفترق عنه في كونه موجهاً الى نفسه أو أهله . وفخره هذا يشمل أيضاً معاركه ومعارك أهله ضد أخصامهم ، وسيلان دم الأعداء في ساحات المعارك ، أو على متون السيوف[٣١٢] .

والخمر : فقد نعتها أيضاً وشبهها بالدم أو شبّه نزف ما يسيل من دماء الزقاق عند بزلها[٣١٣] ، والرثاء[٣١٤] ، والحرب أو كتائبها[٣١٥] ، والشكوى[٣١٦] ، والهجاء[٣١٧] ، والاعتذار[٣١٨] ، والعتاب[٣١٩] ، ووصف حيوان الطرد[٣٢٠] ، وأظافير الجمل[٣٢١] ، والبازي[٣٢٢] ، والطير[٣٢٣] .

ومن هذه الألفاظ التي استعملها للدلالة على الحمرة :

الورد : الذي ورد كثيراً في شعره ، وأكثره كان يُراد به الأحمر الذي

---

(٣١١) نفسه : ٣٩٦/١ ، ٤١٥ ، ٤٤٣ ، ٤٤٨ ، ٤٥١ ، ٤٦٥ ، ٤٨٠ ، ٥٠٣ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥٩٤ ، ٨٢/٣ .

(٣١٢) شعر ابن المعتز : ١٣١/١ ، ١٧٩ ، ٢٧٦/٢ ، ٢٧٩ .

(٣١٣) نفسه : ٢٨/٢ ، ٣٣ ، ٩١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٥٢٢ .

(٣١٤) نفسه : ٦٧/١ ، ٤١٢ (في موضعين) ، ٩٥/٣ .

(٣١٥) نفسه : ١٢٨/١ ، ٤٦/٣ .

(٣١٦) نفسه : ٥٣٤/١ .

(٣١٧) نفسه : ١٦٦/١ .

(٣١٨) نفسه : ٤٠٩/١ .

(٣١٩) نفسه : ١٧٣/١ ، ٣٨٥ .

(٣٢٠) شعر ابن المعتز : ٤٠٥/١ .

(٣٢١) نفسه : ٣٢٧/٢ .

(٣٢٢) نفسه : ٤٣١/٢ ، ٤٦١ .

(٢٢٣) نفسه : ٥٢٠/٢ .

شبّه به الخدود في حالات تفتحها أو خجلها أو ريّها[٣٢٤] ، كما جاء ليدل على الورد عامة دون تحديد للون معيّن[٣٢٥] ، وأشار الى الورد الأبيض في حالات قليلة[٣٢٦] ، كما وصف به الفرس وهو قليل أيضاً[٣٢٧] ، ونعت به الخمر[٣٢٨] ، كما وصف به جرح البطل في ساحة المعركة[٣٢٩] ، كما ذكر نوعاً من الورد لا يخلو من اللطف والغرابة ، وهو ورد المنى[٣٣٠] ، ومنها : الخزامى[٣٣١] ، والشقائق[٣٣٢] ، والياسمين[٣٣٣] ، والجلنار[٣٣٤] .

---

(٣٢٤) نفسه : ١/٢٣٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٣٣٢ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٧٦ ، ٤٣١ ، ٢/١٥ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١١٧ ، ١٤٥ ، ١٦٥ ، ٢١٠ ، ٢١٨ ، ٢٢٧ ، ٢٥٨ ، ٣٠٩ ، ٥٧٤ ، ٣/٢٧١ ، ٣١٦ ، ٣٥٨ .

(٣٢٥) نفسه : ١/١١٢ ، ٢٩٤ ، ٣٧٣ ، ٦٤٠ ، ٢/٩ ، ٥٧ ، ٩٤ ، ١٠٥ ، ١٣٧ ، ٢٤٥ ، ٢٥٧ ، ٥٤٠ ، ٣/٤٠٣ .

(٣٢٦) نفسه : ٢/٥٦٥ ، ٥٧٥ .

(٣٢٧) نفسه : ٢/٣٠٩ ، ٣١٣ .

(٣٢٨) نفسه : ٢/٢٢٧ .

(٣٢٩) نفسه : ١/٥٩٤ .

(٣٣٠) نفسه : ١/٦٤٠ .

(٣٣١) شعر ابن المعتز : ٢/٦٩ .

(الخزامى : نبت طيب الرائحة ، عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهرة ، طيبة الريح لها نور كنور البنفسج) ـ (اللسان) .

(٣٣٢) نفسه : ٢/٥٤٠ ، ٦٢١ ، ٣/٣٣٢ .

(شقائق النعمان : وهو نبات أحمر الزهر مبقّع بنقط سود) ـ (المعجم الوسيط) .

(٣٣٣) نفسه : ٢/٤٧ ، ٥٤١ ، ٥٥٢ ، ٥٤٤ ، ٣/٢٩١ ، ٣٨٧ .

(٣٣٤) نفسه : ١/٣٦٠ ، ٢/٩٣ ، ٥٤٤ ، ٣/٢٩١ ، ٣٨٧ .

(الجلنار : زهر الرمان) .

ومنهـا الاحجار الكـريمة أمثـال : العقيق[٣٣٥] ، والياقـوت[٣٣٦] ، والفصوص[٣٣٧] . ومنها الفواكه المشتهرة بهذا اللون مثل : التفاح[٣٣٨] ، والخوخ[٣٣٩] . ومنها ثمر الأشجار المعروفة بصفة الاحمرار أمثال : العناب[٣٤٠] ، والأرجوان[٣٤١] . أو بعض الألـوان الاخرى مثـل : الأشقر[٣٤٢] ، والشفق[٣٤٣] .

ومما استعمله من الألفاظ الدالة على الحمرة : الخضاب

---

(٣٣٥) نفسه : ١٢/١ ، ٣١٩ ، ١٨/٢ ، ١١٧ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ٢٥٢ ، ٣٦٩ ، ٥٢١ ، ٥٤١ ، ٦١٩ ، ٦٢٢ ، ٢٣١/٣ .

(العقيق : حجر كريم يُعمل منه الفصوص) - (المعجم الوسيط) .

(٣٣٦) نفسه : ٤٤/٢ ، ٥١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٩٨ ، ١٧٨ ، ٢٢٨ ، ٢٣٩ ، ٥٢١ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٩٨ ، ٣٠٦/٣ ، ٣٠٧ .

(الياقوت : حجر من الاحجار الكريمة ، وهو أكثر المعادن صلابة بعد الماس ، لونه في الغالب شفاف مشرب بالحُمرة أو الزُرقة أو الصُفرة) - (المعجم الوسيط) .

(٣٣٧) نفسه : ١٦٦/٢ .

(٣٣٨) نفسه : ٢٥٦/١ ، ٣٢٧ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٦٣٠ ، ١٢/٢ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ١٤٦ ، ٢٢٧/٣ ، ٤٠٣ .

(٣٣٩) نفسه : ٢٨٨/٣ .

(٣٤٠) نفسه : ٣١/١ ، ٣٥ .

(العناب : شجر شائك .. وهو أحمر حلو لذيذ الطعم على شكل ثمرة النبق) - (المعجم الوسيط) .

(٣٤١) نفسه : ٨١/٣ .

(الأرجوان : شجر زهره شديد الحمرة حسن المنظر وليس له رائحة) - (المعجم الوسيط) .

(٣٤٢) نفسه : ١٢٨/٢ ، ٤٤٠ ، ٦٣٣ ، ٢٨٦/٣ .

(شقر : أشرب بياضه حمرة) .

(٣٤٣) نفسه : ٦٢٤/٢ .

والخضب[×] ومشتقاتهما ، ووزع هذه الالفاظ على موضوعات شتى مثل :

الغـــزل[٣٤٤] ، والسيف[٣٤٥] ، والقلم[٣٤٦] ، وحمـار الـــوحش والطريد[٣٤٧] ، والاكف (في الحرب)[٣٤٨] ، وأظافر الناقة المجهدة[٣٤٩] ، ومخلب الزرّق[٣٥٠] ، والخيل (في الحرب)[٣٥١] ، والشبك وقصب الدبّق والفخ المنصوب[٣٥٢] ، و[illegible] نسر [illegible][٣٥٣] ، والقتيـل[٣٥٤] ، وقاطف العنب[٣٥٥] ، والساقي[٣٥٦] ، والرمح[٣٥٧] ، والسلاح[٣٥٨] .

(×) جاء في تاج العروس : (الحِنّاء : معروف وهو الذي أعده الناس للخضاب . قال السمعاني : نبت يخضب به الأطراف) . وفي المعجم الوسيط : (الحِنّاء : شجر ورقه كورق الرمان وعيدانه كعيدانه ، له زهر أبيض كالعناقيد ، ويُتخذ خضاب أحمر الواحدة حِنّاءة) . وتقدم ان الخضاب يُراد به اللون الاسود كذلك .

(٣٤٤) شعر ابن المعتز: ١/٣٤٤ ، ٢/١١٥ ، ٢٥٤ ، ٢٦٧ ، ٢/٢٣١ .

(٣٤٥) نفسه : ١/٤٤ ، ١٢٤ ، ٤١٥ ، ٤٢٣ ، ٤٧٤ ، ٥٣٥ ، ٢/٣٠٤ .

(٣٤٦) نفسه : ١/٤١٥ .

(٣٤٧) نفسه : ١/١٧٩ .

(٣٤٨) نفسه : ١/٣٨٥ .

(٣٤٩) نفسه : ٢/٣١٧ .

(٣٥٠) نفسه : ٢/٤١٣ .

(٣٥١) نفسه : ٣/٦٨ .

(٣٥٢) نفسه : ٢/٤٢٣ .

(٣٥٣) نفسه : ٣/٨٠ .

(٣٥٤) نفسه : ٣/٨٢ .

(٣٥٥) نفسه : ٢/٨ .

(٣٥٦) نفسه : ٢/١١٥ .

(٣٥٧) نفسه : ١/٣٧ ، ١٢٤ ، ٥٣٥ ، ٢/٣٠٤ .

(٣٥٨) نفسه : ٢/٥٣٤ .

واستعمل الشاعر لفظة الذهب للدلالة على لونين هما : الاحمر والأصفر ، والذي يعنينا هنا هو اللون الاول الذي وزعه على موضوعات عدة ، منها :

النار : وهي أكثرها وروداً في شعره من الموضوعات الاخرى[٣٥٩] ، والخمر[٣٦٠] ، والحرب[٣٦١] ، والبـرق[٣٦٢] ، وحيطان المجلس[٣٦٣] ، والشجر[٣٦٤] ، والدجاج[٣٦٥] ، كما استعمل هذه اللفظة دون دلالة على أحد اللونين[٣٦٦] .

ومن الألوان التي وردت في شعره كثيراً أيضاً اللون الاصفر ، وهو اللون الذي أشار بعض الباحثين الى انتشاره في المجتمع العباسي ، وألمح الى انه ربما كان له صلة في تحديد درجة الذوق في الرقي ، وعلاقته بانتشار الخلاعة ، ودلالته على مقدار ما وصلت إليه الأمة من حضارة ، وقد وقفت عند هذه الملاحظة وجهدت في تتبع أوصاف الشاعر

---

(٣٥٩) شعر ابن المعتز : ٤٩/١ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ٢٩٠ ، ٤٤٠ ، ٤٥٦ ، ٤٩٦ ، ٦٠٧ ، ٦٩٠ ، ٦٨/٢ ، ٨٤ ، ٩١ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ٤٩٦ ، ٥٠١ ، ٥٢٨ ، ٢٢٧/٣ ، ٣١٠ .

(٣٦٠) نفسه : ٦٤/١ ، ١٦/٢ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٨٥ ، ١٤٢ ، ١٥٧ ، ٢٧٨ ، ٥٣١ ، ٢٣٤/٣ .

(٣٦١) نفسه : ٣٧/١ .

(٣٦٢) نفسه : ٤٢/١ .

(٣٦٣) نفسه : ٤٠٦/١ .

(٣٦٤) نفسه : ٥١٠/٢ .

(٣٦٥) نفسه : ٥٠٧/٢ .

(٣٦٦) نفسه : ٤٠٤/١ ، ٣٤/٢ ، ٥٠ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ، ٢٦١ ، ٤٩٦ ، ٢٥٠/٣ ، ٢٧٠ .

في دراستي لحياته وشعره[٣٦٧] .

لقد استعمل الشاعر لفظة أصفر وصفراء واصفرّ ... في شعره الذي توزع على موضوعات عدة منها :

الخمر[٣٦٨] ، والورد[٣٦٩] ، والغزل[٣٧٠] ، والثياب[٣٧١] ، وعيون النرجس[٣٧٢] ، والزرع[٣٧٣] ، والدينار[٣٧٤] ، والاواني[٣٧٥] ، والتفاح[٣٧٦] ، والفراش[٣٧٧] ، والشَعْر[٣٧٨] ، وعين البازي[٣٧٩] ، والشمعة[٣٨٠] ،

---

(٣٦٧) أنظر : شعر ابن المعتز ، القسم الثاني ٣٢١ - ٣٢٦ . ومن الطريف انني سألت عدداً من الفنانين التشكيليين الرسامين عن علاقة هذا اللون بالأمور الخلاعية أو الجنسية فلم أحظَ لديهم بجواب . وكان الكثير من الطلبة من الجنسين يضعون كتبهم وحقائبهم في ساعات فراغهم على سيارتي التي كانت من لونين : أسود وأصفر ، وحين كنت أسألهم عن سبب اختيارهم لها من بين السيارات الاخر ، كان جوابهم انها (حلوة) .

(٣٦٨) شعر ابن المعتز : ٤٩٨/١ ، ٩/٢ ، ١٢ ، ٢١ ، ٣٨ ، ٥١ ، ٩١ ، ٩٥ ، ١١١ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٤٤ (في موضعين) ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٨٤ ، ٢١١ ، ٢٣٦ ، ٢٩٦/٣ .

(٣٦٩) نفسه : ١٣٩/٢ ، ٤٤١ ، ٤٩٢ ، ٥٤٠ ، ٥٨١ ، ٢٨١/٣ .

(٣٧٠) نفسه : ٣٦٦/١ ، ٥١٠/٢ ، ٩٦/٣ .

(٣٧١) نفسه : ٣٣٩/١ ، ٦٠٤/٢ .

(٣٧٢) نفسه : ١٣١/٢ ، ٥٨٨ ، ٢٧٤/٣ .

(٣٧٣) نفسه : ٤٧٠/١ ، ٣٢٦/٢ .

(٣٧٤) نفسه : ٤٣٥/١ .

(٣٧٥) نفسه : ٤٧١/١ .

(٣٧٦) نفسه : ٢٣٥/٣ ، ٢٩٢ .

(٣٧٧) نفسه : ١٣٨/٢ .

(٣٧٨) نفسه : ٣٦٢/٢ .

(٣٧٩) نفسه : ٤٣٨/٢ .

(٣٨٠) نفسه : ٣٠٣/٣ .

والوَتَر[٣٨١] ، والزلم (القدح)[٣٨٢] ، والنارنج[٣٨٣] ، والياقوت[٣٨٤] ، والطعام[٣٨٥] .

واستعمل الى جانب هذا ألفاظاً تدل على اللون الأصفر ، منها :

الزعفران : ووصف به :

الأصيل[٣٨٦] ، وعيون النرجس[٣٨٧] ، والقميص[٣٨٨] ، والشعر[٣٨٩] ، والخمر[٣٩٠] ، والذهب الأصفر وشمل :

الخمر[٣٩١] ، وعين حيوان الطـرد (البازي والكلب)[٣٩٢] ، والمداهن[٣٩٣] ، والجوشن (الدرع)[٣٩٤] ، والليمون[٣٩٥] ، والموز[٣٩٦] ،

---

(٣٨١) نفسه : ٤٤٥/٢ .

(٣٨٢) نفسه : ٤٤٩/٢ .

(٣٨٣) نفسه : ٥١٠/٢ .

(٣٨٤) نفسه : ٣٠٦/٣ - ٣٠٧ .

(٣٨٥) نفسه : ٢٧٨/٣ .

(٣٨٦) نفسه : ٣٣٩/١ .

(٣٨٧) نفسه : ٢٧٤/٣ .

(٣٨٨) نفسه : ٩١/٢ ، ٤٥٥ .

(٣٨٩) نفسه : ٢٥٤/٢ .

(٣٩٠) نفسه : ٢٥٥/٢ ، ٢٩٩/٣ .

(٣٩١) شعر ابن المعتز : ٤٩٨/١ ، ٩/٢ ، ٢١ ، ٣٩ ، ٥٤ ، ١٤٥ ، ٢٦٥ ، ٢٣١/٣ .

(٣٩٢) نفسه : ٤٠٥/١ ، ٤١٥/٢ ، ٢٨٨/٣ .

(٣٩٣) نفسه : ٣٧٥/١ ، ٣٩٩/٣ .

(٣٩٤) نفسه : ٥١٠/٢ .

(٣٩٥) نفسه : ٥١١/٢ .

(٣٩٦) نفسه : ٢٩١/٣ .

والنارنج[٣٩٧] ، والآذريون[٣٩٨] . والورس[×] : ووصف به : الأصيل[٣٩٩] ، ووجه الميت[٤٠٠] ، والخمر[٤٠١] . والجساد[××] : ووصف به : الشعاع[٤٠٢] ، والثوب[٤٠٣] ، والخمر[٤٠٤] ، والنرجس[×××] : ونعت به : العينين[٤٠٥] ، وأرض المجلس[٤٠٦] ، والورد[٤٠٧] ، والنارنج[٤٠٨] ، والاترج[٤٠٩] . والخزم[××××] ونعت به : الخد[٤١٠] ، ورأس

---

(٣٩٧) نفسه : ١٦٤/٢ .

(٣٩٨) نفسه : ٣٧٣/١ ، ١٩٣/٢ ، ٣٣٦/٣ ، ٣٩٩ .
(الآذريون : زهر أصفر في وسطه خمل أسود) .

(×) الورس : شيء أصفر مثل اللطخ إذا أصاب الثوب لوّنه (التاج) .

(٣٩٩) نفسه : ٢٥٣/١ ، ١٤٥/٢٢ .

(٤٠٠) نفسه : ٤٠٦/١ .

(٤٠١) نفسه : ٤٤٢/٢ .

(××) الجساد : (الدم اليابس والزعفران والعصفر ونحوهما من كل صبغ شديد الحُمرة أو الصُفرة) ، (المعجم الوسيط) .

(٤٠٢) نفسه : ١٦٥/٢ .

(٤٠٣) نفسه : ١٠٣/٢ .

(٤٠٤) نفسه : ٩٨/٢ .

(×××) النرجس : أنظر : شفاء الغليل ، ٢٦١ ، في نعت أبي نواس له بالصُفرة .

(٤٠٥) نفسه : ٣٦٦/١ ، ٤٦٦ ، ٦١٩ ، ٣٠٥/٣ ، ٤٠٣ .

(٤٠٦) نفسه : ٤٠٦/١ .

(٤٠٧) نفسه : ٥٧/٢ ، ٦٩ ، ١٣٠ ، ١٦٤ ، ٥٩٢ ، ٦٦٤ ، ٢٧٤/٣ .

(٤٠٨) نفسه : ٣١٠/٣ .

(٤٠٩) نفسه : ٢٣٢/١ .

(××××) الخزم : نبت يشبه الشبث ، وهو ذو زهر أصفر يقال له سراج القطرب .(المعجم الوسيط) .

(٤١٠) نفسه : ٧٣١/١ .

الطاووس[٤١١] ، والبهار[٤١٢] : ونعت به الزهر[٤١٣] ، والمنثور[٤١٤] ، والكبريت[٤١٥] ، واللهب[٤١٦] ، والعصفر[٤١٧] .

ومما زيّن به شعره من الألوان اللون الأخضر ، وهو اللون الذي يرتاح إليه البصر وينشرح له الصدر في العادة ، ولأنه دليل الخير وعلامة الحياة . وجرى فيه الشاعر ، كما في سواه مما تقدم من الألوان ، فقد استعمل اللفظة التي وضعت له أصلًا : كالأخضر والخضراء والخضر والخضرة والإخضرار والمخضرة ... وتوزع هذا اللون على معانٍ كثيرة ، وأغلبها يُراد به الدلالة على الأمور الحسنة الخيّرة ، منها :

الغصن[٤١٨] ، والعود (عود المنابر)[٤١٩] ، والورق[٤٢٠] ، وأوراق

---

(٤١١) نفسه : ٥٤٠/٢ .

(٤١٢) البهار : (نبت طيب الريح .. وهو نبت جعد ، له فقّاحة صفراء ينبت أيام الربيع) . (التاج) .

(٤١٣) شعر ابن المعتز : ١٦٢/٢ ، ٤٧٢/٣ .

(٤١٤) نفسه : ١٣٧/٢ .

(المنثور : جنس زهر نو رائحة ذكية ..) . (المعجم الوسيط) .

(٤١٥) نفسه : ٥٢٨/٢ .

(٤١٦) نفسه : ٢٦/٢ .

(٤١٧) نفسه : ٢٥٣/١ .

(العصفر : نبات صيفي .. يُستعمل زهره تابلًا ويُستخرج منه صبغ أحمر يُصبغ به الحرير ونحوه) . (المعجم الوسيط) . غير ان ابن المعتز استعمله للدلالة على الاصفر والاحمر في قوله :

ويظــــل صبـــاغ الحيـــاء بخـــده
تعبـــاً يعصفـــر تـــارة ويـــورد

(٤١٨) نفسه : ١٢٥/١ ، ١٧٥ .

(٤١٩) نفسه : ٣٤٠/١ .

(٤٢٠) نفسه : ٥٧١/٢ .

الورد[٤٢١] ، والعشب[٤٢٢] ، والروضة[٤٢٣] ، والنعيم[٤٢٤] ، والماء[٤٢٥] ، والخد[٤٢٦] ، والشارب[٤٢٧] ، والعذار[٤٢٨] ، والسلام[٤٢٩] ، والثياب[٤٣٠] ، والستائر[٤٣١] ، والدنيا[٤٣٢] ، والطير[٤٣٣] ، والجو[٤٣٤] ، والرمح[٤٣٥] ، والسيف[٤٣٦] ، والأرض[٤٣٧] ، والتفـاح[٤٣٨] ، والكـرم[٤٣٩] ، وبطن الحية[٤٤٠] .

---

(٤٢١) نفسه : ٢/ ٥٩٠ ، ٣/ ٢٩٤ .
(٤٢٢) نفسه : ١/ ٤٣ (ثوباً أخضر من العشب) . ١١٣ . (أثواب قيمانه خُضر) ، ٤١٩ ، ٢/ ٥٧ ، ١٩٨ ، ٣٢٦ ، ٤٠٨ ، ٤٩٢ ، ٥٦٣ ، ٥٨١ ، ٦٥٤ ، ٣/ ٢٨١ .
(٤٢٣) نفسه : ٢/ ٤١٠ .
(٤٢٤) نفسه : ١/ ٤٣٥ ، ٤٨٣ ، ٢/ ٧ ، ١٠٥ .
(٤٢٥) نفسه : ٢/ ٢٩٥ .
(٤٢٦) نفسه : ١/ ٢٢٣ ، ٣٧٥ .
(٤٢٧) نفسه : ١/ ٢٥٢ .
(٤٢٨) نفسه : ١/ ٢٩٨ ، ٣/ ٢٩٢ .
(٤٢٩) نفسه : ١/ ٣٩٨ .
(٤٣٠) نفسه : ٢/ ١١٢ ، ١٣٠ ، ٦٠٤ .
(٤٣١) نفسه : ٢/ ١٦٠ .
(٤٣٢) نفسه : ٢/ ٣٩٦ .
(٤٣٣) نفسه : ٢/ ٤٣٩ .
(٤٣٤) نفسه : ٢/ ٤٤١ .
(٤٣٥) نفسه : ٢/ ٢٧٦ .
(٤٣٦) شعر ابن المعتز : ٣/ ٨٧ .
(٤٣٧) نفسه : ٢/ ٨٠ .
(٤٣٨) نفسه : ٢/ ٢٣٥ .
(٤٣٩) نفسه : ١/ ٢٥ . (وأكفهم خُضر لدى الجدب) .
(٤٤٠) نفسه : ٢/ ٤٠٨ .

واستعمل الى جانب ذلك ألفاظاً لها دلالتها على هذا اللون : كالنبات والورد والأحجار الكريمة ، منها :

الآس الذي أراد به هذا النبات المعروف[٤٤١] ، وحمائل السيف[٤٤٢] . والسندس : الذي أطلقه على : الثياب[٤٤٣] ، والورد المعروف[٤٤٤] . والريحان وأراد به النبات المعروف[٤٤٥] .

ومن الأحجار الكريمة الزبرجد (الزمرد)[٤٤٦] ، الذي وصف به : الخد[٤٤٧] ، والسماء[٤٤٨] ، والشفاه[٤٤٩] ، والقوام (الجسم)[٤٥٠] .

ومن الألوان التي استهوت الشاعر اللون الأزرق ، وهو لون يُستعمل في الأكثر للأمور الحسنة الجميلة ذات المنفعة والخير ، وقد يُراد به الدلالة أحياناً على غير ما تقدم . فمما وصف به من الاشياء التي وقعت عينه عليها : السماء[٤٥١] ، والشمس[٤٥٢] ، والعيون[٤٥٣] ، والمياه[٤٥٤] ،

---

(٤٤١) نفسه : ٢٥٢/٢ ، ٢٥٧ .

(٤٤٢) نفسه : ٣٠٥/٣ .

(٤٤٣) نفسه : ١٨٩/٢ ، ٣٠٣/٣ .

(٤٤٤) نفسه : ٣٦٠/٢ ، ٤٩٤ .

(٤٤٥) نفسه : ١٨٩/٢ ، ٢٨١ ، ٦٨/٣ .

(٤٤٦) الزبرجد : (الزمرد : وهو حجر كريم شفاف شديد الخُضرة ، وأشده خُضرة أجوده وأصفاه جوهراً) .

(٤٤٧) نفسه : ١٠/٢ .

(٤٤٨) نفسه : ٥٦٦/٢ .

(٤٤٩) نفسه : ٢٥٢/١ .

(٤٥٠) نفسه : ٢٦٨/٣ .

(٤٥١) نفسه : ٣١٣/٣ .

(٤٥٢) نفسه : ٨٧/١ .

(٤٥٣) نفسه : ١٤/١ ، ١٨٥ ، ٦٤٤/٢ .

(٤٥٤) شعر ابن المعتز : ١٦٤/١ ، ٢٦٠/٢ .

والأسنّة[٤٥٥] ، والزجاج[٤٥٦] ، والديباجة[٤٥٧] . والياقوت[٤٥٨] : ووصف به : الحجر الكريم المعروف[٤٥٩] ، والسماء[٤٦٠] ، والعدو[٤٦١] ، وحافر الفرس[٤٦٢] .

وهناك لون يتداخل مع هذا اللون ، وهو اللون البنفسجي[٤٦٣] ، ولعله من الألوان الجديدة التي لم تُعرف إلا في هذا العصر ، ووصف به : الورد[٤٦٤] ، والثياب[٤٦٥] .

ومن ألوانه التي أشاعها في ثنايا شعره أيضاً اللون الاسمر ، وهو قليل بالقياس الى الألوان السابقة ، ووصف به :

الرماح[٤٦٦] ، والقمر[٤٦٧] ، والركاب[٤٦٨] ، والعقرب[٤٦٩] ، والموائد .

---

(٤٥٥) نفسه : ١/١٤ ، ١٨٥ ، ٢/٦٤٤ .

(٤٥٦) نفسه : ١/٤٨٧ .

(٤٥٧) نفسه : ٢/١٩ .

(٤٥٨) نفسه : (الياقوت : من الجواهر ، وهو أقسام كثيرة ، وأجوده الاحمر الرماني) . غير ان ابن المعتز استعمله للدلالة على الزرقة في قوله : (... على زُرق اليواقيت) ، ٢/٥٢٨ .

(٤٥٩) نفسه : ٢/٥٢٨ .

(٤٦٠) نفسه : ٣/٢٧١ .

(٤٦١) نفسه : ٣/١٨٥ .

(٤٦٢) نفسه : ٢/٤٢٦ .

(٤٦٣) البنفسج : (نبات زهري .. يُزرع للزينة ولزهوره عطر الرائحة) . (المعجم الوسيط) .

(٤٦٤) نفسه : ٢/٥٢٦ ، ٥٣٤ .

(٤٦٥) نفسه : ٣/٢٢٣ .

(٤٦٦) نفسه : ١/١١٦ ، ٤١٢ ، ٤٣٧ ، ٤٩٩ ، ٢/٢٨١ .

(٤٦٧) نفسه : ٢/٥٢٦ .

(٤٦٨) نفسه : ١/٣٩٣ .

(٤٦٩) نفسه : ٢/٤٠٦ .

كما استعمل لفظة الأدمة للدلالة على السمرة التي وصف بها الظباء[٤٧٠] .

والى جانب هذه الألوان جاءت في غضون شعره ألوان لم تكن خالصة ، وإنما جاءت مختلطة أو شتى . وهي مزيج من الألوان السابقة مع ألوان أخرى ، منها :

الشمط[٤٧١] ، الذي أطلقه على موضوعات مختلفة ، مثل : ذوائب الظلماء[٤٧٢] ، أي اختلاط الضوء بالظلماء ، والشعر[٤٧٣] (حين يسري في سواده الشيب ـ (البياض) ، والعثنون[٤٧٤] ، والدروع[٤٧٥] . والبلق[٤٧٦] ، ووصف به : الشعر[٤٧٧] ، والبرق[٤٧٨] ، والحصان[٤٧٩] . واليقق[٤٨٠] مع السواد ، ووصف به : الخد[٤٨١] الأبيض الذي ألبس بالشعر الاسود ، والخمر[٤٨٢] التي شبهها بأهداب البحر الابيض المحتجب تحته ثور أسود .

---

(٤٧٠) نفسه : ٥٧٠/٢ .

(٤٧١) الشمط : اختلاط بياض الشعر بسواده .

(٤٧٢) شعر ابن المعتز : ٤٠٦/٢ .

(٤٧٣) نفسه : ٣٥/١ ، ٤٦ ، ١٠٤ ، ٤٠٨ ، ٤٥٧ ، ١٨١/٣ .

(٤٧٤) نفسه : ٢٤٥/٢ .
(العثنون : ما نبت على الذقن وتحته سفلًا) .

(٤٧٥) نفسه : ١٠٤/١ .

(٤٧٦) البلق : سواد وبياض في اللون .

(٤٧٧) نفسه : ٣٠٨/١ .

(٤٧٨) نفسه : ٤٢/١ .

(٤٧٩) نفسه : ٢٨٧/٢ .

(٤٨٠) اليقق : البياض .

(٤٨١) نفسه : ٦٢/٢ .

(٤٨٢) نفسه : ٤٥/١ .

والشهبة[٤٨٣] : ووصف بها : المشيب[٤٨٤] ، والحصان[٤٨٥] . والرُقطة[٤٨٦] : ووصف بها :

الحية[٤٨٧] ، والأرضة[٤٨٨] ، والعقعق[٤٨٩] . والشيح[٤٩٠] : ووصف به شعر المرأة النصف[٤٩١] . والجوهر : ويُراد به الأبيض وسواه ، وجاء هذا في أوصاف :

الأسنان[٤٩٢] ، والحجر الكريم[٤٩٣] ، والزهر[٤٩٤] . وبطن الحية الذي وصف ببياضه : البرق[٤٩٥] ، والكلب[٤٩٦] . والسراب الذي نعت به الشيء الأبيض[٤٩٧] . ومن الألوان الطريفة لون مداك الطيب[٤٩٨] . ومن هذه

---

(٤٨٣) الشهبة : البياض المختلط بالسواد .
(٤٨٤) نفسه : ٣/١٤٧ .
(٤٨٥) نفسه : ٢/٦٤٤ .
(٤٨٦) الرقطة : لون مؤلف من بياض وسواد .
(٤٨٧) نفسه : ٢/٣٤٢ ، ٤٠٨ ، ٦٣٣ .
(٤٨٨) نفسه : ٢/٦٣٦ .
(٤٨٩) نفسه : ٣/١٨٥ .
(٤٩٠) الشيح : نبت سهلي رائحته طيبة قوية ، وهو كثير الانواع ، ترعاه الماشية
(٤٩١) نفسه : ٢/٥٤٣ .
وامرأة نصف:كهلة .
(٤٩٢) شعر ابن المعتز : ٢/١٤٢ ، ٤٧٨ .
(٤٩٣) نفسه : ٢/٣٦٠ ، ٣/٤٤ .
(٤٩٤) نفسه : ٢/٤٤٠ ، ٥٤٣ .
(٤٩٥) نفسه : ١/٤١ ، ٣/٤٣ .
(٤٩٦) نفسه : ٢/٤٨ .
(٤٩٧) نفسه : ١/٦٨ ، ١١١ ، ٢/٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٨٣ ، ٣/٣٠٣ .
(٤٩٨) نفسه : ٢/٤١٧ .

الالـوان : الحوّة[٤٩٩] ، ونعت بـه : الحصان[٥٠٠] ، والطـرف[٥٠١] ، والبقاع[٥٠٢] ، والدن[٥٠٣] . والكُمتة[٥٠٤] ونعت بها : الحصان[٥٠٥] ، والخمر[٥٠٦] ، والشعر[٥٠٧] ، والسجين[٥٠٨] . والرقشة[٥٠٩] : ووصف بها الحية[٥١٠] ، والكلأ البعيد[٥١١] .

والفخت[٥١٢] ، ولعله من الالوان الجديدة . ووصف به : القباء[٥١٣] ، واليوم الغائم[٥١٤] . والكلفة[٥١٥] : ونعت بها الاثافي[٥١٦] . والبَرَش[٥١٧] :

---

(٤٩٩) الحوّة : لون تخالطه الكمتة مثل صدأ الحديد . والاحوى الذي يخالط سواده خُضرة .

(٥٠٠) نفسه : ٨٩/١ .

(٥٠١) نفسه : ١٩٢/١ .

(٥٠٢) نفسه : ١٩٣/١ ، ٤٠٨/٢ .

(٥٠٣) نفسه : ٢٤٢/٢ .

(٥٠٤) الكُمتة : لون أسود يخالطه حُمرة .

(٥٠٥) نفسه : ٢٩/١ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ٣٤/٢ .

(٥٠٦) نفسه : ٧٩/٢ .

(٥٠٧) نفسه : ١٤٣/٣ .

(٥٠٨) نفسه : ٥٥٩/١ .

(٥٠٩) الرقشة : لون فيه نقوش أو اختلاط الالوان من كدرة وسواد ونحوهما .

(٥١٠) نفسه : ٤٠٨/٢ .

(٥١١) نفسه : ٤٠٨/٢ .

(٥١٢) الفخت : ضوء القمر أول ما يبدو . والفاختة : ضرب من الحمام المطوّق .

(٥١٣) نفسه : ٤٣٢/١ .

(٥١٤) نفسه : ٦٣/٢ ، ٢٠٩ .

(٥١٥) الكلفة : لون بين السواد والحُمرة .

(٥١٦) شعر ابن المعتز : ٧٥٧/٢ .

(٥١٧) البرش : في شعر الفرس : نكت صغار تخالف سائر لونه ، وقيل : هو من اللون نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء ، أو نحو نلك . (التاج) .

ونعت به البازي(٥١٨) . والكدرة على السواد : ووصف بها الجرز(٥١٩) . والخضرة مع الصفرة ووصف بها الملابس(٥٢٠) . واللهب : (الصفرة مع الحمرة) ووصف به : الجيش(٥٢١) ، والنارنج(٥٢٢) . والصهبة(٥٢٣) ، ووصف بها النقع(٥٢٤) . والشهلة(٥٢٥) ،ونعت بها :الصبح(٥٢٦) ، وأذن الكلب(٥٢٧) . والقُمرة(٥٢٨) (ولعلها هي الفخت) ونعت بها البازي(٥٢٩) . والتحبير(٥٣٠) : ووصف به : الرداء(٥٣١) ، والجؤجؤ(٥٣٢) . والديزج(٥٣٣) : ووصف به البازي(٥٣٤) . والفيّ أو الظل : وأراد بهما : ظل الكناس(٥٣٥)

---

(٥١٨) نفسه : ٢/٤٢٨ ، ٤٥١ ، ٣/٣١١ .

(٥١٩) نفسه : ٢/٥٦٨ .

(٥٢٠) نفسه : ٢/٦٠٤ .

(٥٢١) نفسه : ١/٣٧ .

(٥٢٢) نفسه : ٢/٥١٠ .

(٥٢٣) الصهبة : صُفرة تضرب الى الحُمرة والبياض .

(٥٢٤) نفسه : ١/٣٧ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ٢/٥٠٥ .

(٥٢٥) الشهلة : أقل من الزرق في الحدقة وأحسن منه أو تشرب الحدقة حُمرة وليست خطوطاً كالشكلة ولكنها قلّة سواد الحدقة حتى كانه يضرب الى الحُمرة .

(٥٢٦) نفسه : ١/١٦٥ .

(٥٢٧) نفسه : ٢/٤٠٧ .

(٥٢٨) القمرة : لون الى الخضرة أو بياض فيه كدرة .

(٥٢٩) نفسه : ١/٤٥٢ ، ٣/٢٨٨ .

(٥٣٠) التحبير : التزيين والتحسين .

(٥٣١) نفسه : ١/٤٥٢ .

(٥٣٢) نفسه : ٢/٤٤٢ . (الجؤجؤ : مجمع رؤوس عظام الصدر) .

(٥٣٣) الديزج من الخيل : وهو لون بين لونين غير خالص .

(٥٣٤) نفسه : ٢/٤٢٨ .

(٥٣٥) نفسه : ١/١٧ ـ ١٨ .

والأصيل[٥٣٦] . والجمر : ووصف به :

الفجر[٥٣٧] ، وطلوع الليـل[٥٣٨] ، والكأس[٥٣٩] ، والـزهر[٥٤٠] ، والخيل[٥٤١] . الحريق : ووصف به : الغاب[٥٤٢]، والسحـاب[٥٤٣] ، والوجنة[٥٤٤] ، والصبح[٥٤٥] . والزبرجد :[٥٤٦] ونعت به : بياض الوجه وإعذاره[٥٤٧] ، والسرو[٥٤٨] ، وقصب الزهور[٥٤٩] . الشحوب :[٥٥٠] ووصف بـه : الأثـافي[٥٥١] ، والـدليـل[٥٥٢] ، والحبيب ، والممـدوح[٥٥٣] .

---

(٥٣٦) نفسه : ٢/٢٨٤ .

(٥٣٧) شعر ابن المعتز : ١/١١٤ .

(٥٣٨) نفسه : ١/٢٧٤ .

(٥٣٩) نفسه : ٢/٦٩ .

(٥٤٠) نفسه : ٢/٥٦٤ .

(٥٤١) نفسه : ٣/٦٨ .

(٥٤٢) نفسه : ١/١٤ .

(٥٤٣) نفسه : ١/١١٤ .

(٥٤٤) نفسه : ١/١٤٢ .

(٥٤٥) نفسه : ٢/٦٠٩ .

(٥٤٦) الزبرجد : (حجر كريم يشبه الزمرد ، وهو ذو ألوان كثيرة أشهرها الأخضر والأصفر) .

(٥٤٧) نفسه : ١/٢٩٨ .

(٥٤٨) نفسه : ٢/٥٤١ .

(٥٤٩) نفسه : ٣/٤٠٥ .

(٥٥٠) شحب جسمه : تغير وهزل ; واللون تغيَّر ونحل ، فهو شاحب .

(٥٥١) نفسه : ١/٥١ .

(٥٥٢) نفسه : ١/١٦٥ .

(٥٥٣) نفسه : ١/٧٠٢ .

والصندل :[٥٥٤] ونعت به الثياب[٥٥٥] ، وأغلفة الطلع[٥٥٦] ، والفجر[٥٥٧] . والديباج :[٥٥٨] ونعت به : الجمل[٥٥٩] ، والفرس[٥٦٠] ، والخبز[٥٦١] ، والتـوشية :[٥٦٢] وأراد بهـا وصف : الزهـور[٥٦٣] ، والثيـاب[٥٦٤] ، والربيع[٥٦٥] ، والربوة[٥٦٦] (الهضبة) ، والدجى[٥٦٧] ، والنهر[٥٦٨] ، والزّرق[٥٦٩] ، والصقر[٥٧٠] ، والمحبوب[٥٧١] ، والطيور الهدى :[٥٧٢] .

---

(٥٥٤) نفسه : ٣/١٢ . الصندل : شجر خشب طيب الرائحة ... ولخشبه ألوان مختلفة : حُمر وبيض وصُفر .

(٥٥٥) نفسه :

(٥٥٦) نفسه : ٣/٣٤٠ .

(٥٥٧) نفسه : ٣/٣٦٣ .

(٥٥٨) الديباج : وهي الثياب المتخذة من الابريسيم (الحرير) ، وهو ضرب من المنسوج ألواناً .

(٥٥٩) شعر ابن المعتز : ٢/٢٩٣ .

(٥٦٠) نفسه : ٢/٥٠٧ .

(٥٦١) نفسه : ٢/٣٠٣ .

(٥٦٢) الوشي : نقش الثوب ويكون من كل لون .

(٥٦٣) نفسه : ٢/٤٤٠ ، ٤٩٤ ، ٥٨٨ .

(٥٦٤) نفسه : ٣/٤٤ ، ٥٥١ ، ٥ ، ٢/٤٧٨ ،

(٥٦٥) نفسه : ١/١٧٢ ، ٣٧٤ .

(٥٦٦) نفسه : ١/٤٨٣ ، ٣/٣٤٦ .

(٥٦٧) نفسه : ١/٥٠٦ .

(٥٦٨) نفسه : ٢/١٣٩ .

(٥٦٩) نفسه : ٢/٤١٤ ، ٤٨٤ .

(٥٧٠) نفسه : ٢/٤٦٨ .

(٥٧١) نفسه : ٢/٤٧٨ .

(٥٧٢) نفسه : ٢/٥١٢ .

والعَصْب[٥٧٣] : وأراد به وصف : الثياب[٥٧٤] ، والزهور[٥٧٥] ، والإبل[٥٧٦] . والربيع[٥٧٧] . والرياض ونعت بها : الطيور السابحة[٥٧٨] ، والزهور[٥٧٩] ، والنجوم[٥٨٠] ، وصنوف الثياب والحرير والطيلسان[٥٨١] . الاتقاد : واستعمله ابن المعتز مع مشتقاته للدلالة على معانٍ كثيرة موزعة على النحـو الآتـي : الأسنّـة[٥٨٢] ، والسيف[٥٨٣] ، والبـرق[٥٨٤] ، والوجنة[٥٨٥] ، والجود[٥٨٦] ، والفجر[٥٨٧] ، والنـار[٥٨٨] ، والنَوْر[٥٨٩]

---

(٥٧٣) العَصْب : ضرب من البرود اليمنية يعصب غزله ، أي يدرج ثم يُحاك . وقيل : هي برود مخططة .

(٥٧٤) نفسه : ١/٤٨٩ .

(٥٧٥) نفسه : ٢/٤٤٠ .

(٥٧٦) نفسه : ١/٥٠٣ .

(٥٧٧) نفسه : ١/١٧٢ ، ٤٨٣ ، ٢/١٣٥ ، ٢٥٨ ، ٣٧٤ ، ٥٩٢ .

(٥٧٨) نفسه : ٢/٥٩ ، ٢٥٦ .

(٥٧٩) نفسه : ٢/٦٩ ، ١٢٨ ، ١٣٩ .

(٥٨٠) نفسه : ٢/١٦٤ .

(٥٨١) الطيلسان : ضرب من الانسجة يُلبس على الكتف ويحيط بالبدن ، خالٍ عن التفصيل والخياطة .

٢/٥٠٨ ، ٣/٢٩٣ ، ٤٢٨ .

(٥٨٢) شعر ابن المعتز : ١/٧٣ ، ١٨٥ .

(٥٨٣) نفسه : ١/٨٤ .

(٥٨٤) نفسه : ١/١٠٨ .

(٥٨٥) ١/١٤٢ .

(٥٨٦) نفسه : ١/١٨٤ .

(٥٨٧) نفسه : ١/٤٤٢ .

(٥٨٨) نفسه : ١/٤٥٦ ، ٢/٩٤ .

(٥٨٩) نفسه : ١/٤٦٦ .

(الزهر) ، والنُور[٥٩٠] ، وشعلة الجمر[٥٩١] ، والكأس[٥٩٢] ، والخمر[٥٩٣] ، والمريخ[٥٩٤] ، والهلال[٥٩٥] .

* * *

يتضح مما تقدم ان ابن المعتز لم يترك لوناً من الالوان التي شاعت في عصره عامة وبيئته الخاصة خاصة إلا التقطه ولوّن به شيئاً من الاشياء ، وان هذه الالوان كانت عنصراً لا غنى له في إقامة صور شعره وتشبيهاته التي عُرف بها . ومعلوم ان الصور الشعرية والتشبيهات تتكوّن - فيما تتكوّن منه - من عنصري الشكل واللون ، وانه كان يتفاعل مع هذه الالوان تفاعلًا كبيراً ، حتى ليبدو عاشقاً لها ، هائماً بها .

كما يظهر لنا انه بزَّ شعراء عصره في هذا الاتجاه ، وهو لم يقتصر على استعمال هذه الألوان ، كما وضعت أصلًا ، وإنما حاول أن يمدّها لتشمل كل ما وقعت عليه عينه من صنوف هذه الالوان ، وهي كثيرة جداً في بيئته : كألوان الزهور والورد والأحجار الكريمة وغيرها . كما يظهر انه استعمل بعض الألوان الجديدة التي لم تكن معروفة قبل عصره ، كاللون الفاختي مثلًا .

إن الألوان التي خلعها على موصوفاته وتشبيهاته كانت من الدقة والبراعة ، بحيث جسّمت هذه الموضوعات وأكسبتها ميزة بديعة متحركة . ولعلنا لا نبالغ إذا ما ذهبنا الى انه انفرد من بين شعراء العصر

---

(٥٩٠) نفسه : ٦٨/٢ .
(٥٩١) نفسه : ٨٥/٢ .
(٥٩٢) نفسه : ٩١/٢ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٣ .
(٥٩٣) نفسه : ١٦٤/٢ .
(٥٩٤) نفسه : ٢٣٣/٢ ، ٤٣٥ .
(٥٩٥) نفسه : ٢٧١/٣ .

في هذه الناحية من استعمال الألوان كثرةً ودقةً وتفاعلًا .

إن اللون كان بالقياس إليه أمر جوهري ، فهو يطلبه ويلح في طلبه ، ويهيىء له الصورة التي تلائمه والمكان الذي يستحقه ، ومن أجل هذا فليس هناك في استعماله للألوان ما يؤاخذ عليه أو يُطعن فيه .

ومما تقدم يظهر لنا أيضاً انه على الرغم من كثرة استعماله للألوان الأصلية في الطبيعة ، كان قديراً على ابتداع الألوان المختلطة أو المؤلفة من ألوان شتى . واستعمال مثل هذه الألوان يحتاج الى شاعرية قديرة وتصوّر بارع ، وملاحظة دقيقة ، لكي لا تخل هذه الألوان بجمال الصورة أو التشبيه . ومعروف ان الألوان هي التي تبرز معالم الصورة والتشبيه ، بما تضفي عليها من تجسيم وتحديد وجمال .

وقد نهج الشاعر في استعمال الألوان على نهج شعراء العربية السابقين له ، ولكنه أضفى عليها من ذوقه السليم ، ومبتدعات عصره الكثير ، مما جعل الكثير منها يبدو وكأنه منفرد به دون سواه .

ويمكننا من خلال تتبعنا الدقيق للألوان التي بثها الشاعر في غضون ديوانه أن نطلق عليه بشيء من عدم المبالغة الى جانب ما أُطلق عليه شاعر التشبيه والصور الشعرية ، شاعر الالوان في العصر العباسي الى نهاية القرن الثالث الهجري .

إن هذه الالوان وأصنافها كان منتشراً انتشاراً كبيراً في رياض قصور أجداده وأبيه ، وهي من الكثرة والفخامة والريازة ، بحيث لا يماثلها أو يقاربها قصور أخرى في زمانها أو قبلها أو بعدها[٥٩٦] . وانها الى جانب ذلك كانت تزخر بأعداد كبيرة جداً من الجواري الحسان من أجناس مختلفة ، وهن يتزين بأصناف الحلي والجواهر المختلفة ،

---

(٥٩٦) انظر : سامراء في أدب القرن الثالث عشر الهجري . والبحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل (الفهارس) .

ويرتدين أنواع الملابس المزركشة والملونة بصنوف الالوان ، مما ابتدعته أفكار الفنانين والمزركشين ، وأنتجته المصانع المنتشرة في أرجاء الدولة المترامية الاطراف .

إن هذه كلها كانت منبعاً ثراً لهذه الالوان التي استقى منه الشاعر ولوّن صوره وتشبيهاته ، حيث ولد في أحضانها ونشأ في ربوعها ، وامتلأت عينه مما رآه فيها ، وهو ما لم يتيسر لكثير من شعراء العصر

ومما يسترعي الانتباه ، ويلفت النظر ان الشاعر كان يمزج بين الالوان المختلفة فيكوّن منها لوناً أو لونين أو ألواناً متنوعة . ونظرة عجلى على ما ذكرناه يبيّن بوضوح ما ذهبنا إليه . وهذه من السمات القديرة على تمكن الشاعر من هذا الامر من جهة ، وعلى شغفه الكبير للون وابتداعه وخلطه مع سواه ، والخروج بلون جديد من جهة أخرى .

إن شعر ابن المعتز يكاد يكون معرضاً للألوان على اختلاف أنواعها ، أو انه لوحة كبيرة تزخر بصنوف الألوان المعروفة ، أو التي مزجت مع سواها فكانت ألواناً جديدة مبتكرة ، تصف الى حد كبير ما كانت عليه بيئته وبيئة عصره المتطورة والمتجددة ، ومنها حب الالوان والإكثار منها في كل شيء .

المصادر والمراجع

- الاقلام ، الجزء الحادي عشر ، السنة الخامسة ، ١٣٥٩هـ - ١٩٦٩م .
- البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل : يونس أحمد السامرائي ، بغداد ، ١٩٧٠م .
- البحتري في سامراء بعد عصر المتوكل : يونس أحمد السامرائي ، بغداد ، ١٩٧١م .
- تاج العروس ، طبعة الكويت .
- الحضارة الإسلامية لآدم متز ، ترجمة أبو ريدة ، ط (٣) ، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م ، القاهرة .
- شعر ابن المعتز : د . يونس أحمد السامرائي ، بغداد ، ١٩٧٨ .
- اللسان ، مصور طبعة بولاق .
- المعجم الوسيط ، القاهرة ، ط (٢) ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

وصـايـا الشـعراء

من الفنون الادبية الموروثة في أدبنا العربي الوصايا ، وهي تمثل جانباً مهماً من جوانب التراث ، ومكانة مرموقة بين الفنون الادبية التي عنى بها العربي منذ القدم . وجلبت انتباه مدوِّني الادب ، فافسحوا لها في تصانيفهم مجالًا يكاد لا يقل عن مجالات الفنون الأدبية الاخرى ؛ لما انطوت عليه من تسجيل دقيق لقيم أبناء الامة وأفكارها ، واستقطاب مكثف لخلاصة تجاربها العميقة في مضامير الحياة وميادينها المتشعبة من جهة ؛ ولاشتمال بعض منها على الظرافة من جهة أخرى .

ومَنْ يتصفح الكثير من كتب التراث لا يعدم الوقوف على جملة من هذه الوصايا مجتمعة تارة ، ومبثوثة في تضاعيفها تارة أخرى .

وعلى الرغم من أهمية هذا الفن في الادب وصلته الوثيقة بالحياة ، وأثره في العلائق بين أبناء الاسر أو القبيلة أو الامة ، فاننا لم نقف على تعريف أدبي للوصية ، وإنما هناك تعريف لغوي جاء في غضون المعجمات ، ففي اللسان :

(أوصى الرجلَ ووصّاه : عهد إليه . وأوصيت له بشيء وأوصيت إليه : إذا جعلته وصيَّك ، وأوصيته ووصّيته أيضاً وتوصية : بمعنى . والوَصيّة : ما أوصيت به ، وسُميت وَصيَّة : لاتصالها بأمر الميت) .

وفي المعجم الوسيط :

(وصّىٰ فلاناً وإليه : جعله وصيّه ، يتصرف في أمره وماله وعياله بعد موته . (و) الوصيَّة : ما يُوصى به) .

والوصيَّة بمعناها الاصطلاحي أو الادبي ـ كما نرى ـ هي كلام مستخلص من تجارب الحياة وسبر أغوارها ، يقوله مَنْ عُرف بين الناس

بحكمته الدقيقة ، ونظرته الثاقبة ، وتقديره السديد للأمور التي مارسها ووقف على كنهها وأسرارها ، ليهتدي بها مَنْ يعقبه ويتخذها دليلًا في مسار حياته ، وليتجنب الوقوع في المآزق والاخطاء . وكثيراً ما تكون هذه الوصيّة في حالة قرب الإنسان من النهاية وفي ساعة الاحتضار ، وقرب الاجل .

وتقرب (النصيحة) التي عُرفت في المعجم الوسيط بانها : (قول فيه دعاء الى صلاح ونهى عن فساد) ، كثيراً من مدلول الوصية ؛ لما بينهما من ترابط وشائج المعنى والهدف .

ولما كانت الوصية على هذا النحو من الأهميَة ، وهذه الدرجة من العمق في المنحى والبلاغة في المبنى ، فقد اقتضت الاقتصار على مَنْ رزق القدرة الفائقة للاضطلاع بها من خِلفاء وملوك وأمراء وقادة وزعماء آخرين ، ومن بين هؤلاء الشعراء الذين سنقصر هذا البحث على ما أثر لهم من وصايا تناقلتها المصنفات ورددتها الأجيال عبر العصور الأدبية العربية[1] .

وقبل البدء في الحديث عن هذه الوصايا الخاصة ، نرى أن نشير الى بعض الأمور :

١ ــ قلّة هذه الوصايا بالقياس الى أمثالها المأثورة عن سوى الشعراء ، ويبدو ان هذه القلّة وليدة عدة أسباب ، منها : ثقافة الشاعر الادبية أو الحيوية . ومنها : قدرته العقلية وخصب قريحته . ومنها : عمق تجريته والإفادة مما اعترضه من مشكلات في مسير حياته .

٢ ــ أكثر هذه الوصايا كانت تُقال عند الاحتضار ، وكان بعضها يقال في غير هذا الوقت .

---

(١) سنقصر الحديث على هذه الوصايا الى العصر العباسي الثاني .

٣ ـ كانت توجه الى الابن أو البنت أو الابناء أو الاخوة أو أبناء القبيلة أو الشعراء .

٤ ـ كثرة الوصايا لدى الشعراء في العصور الإسلامية التي سبقت العصر العباسي .

٥ ـ الاختلاف في رواية نصوص بعضها ، وفي نسبتها الى أصحابها .

٦ ـ تشابه معاني أكثر الوصايا والاهداف التي ترمي إليها .

إن هذه الوصايا التي نحن في صدد الحديث عنها تنقسم ثلاثة أقسام :

١ ـ وصايا اقتصرت على النثر

٢ ـ وصايا مقصورة على الشعر

٣ ـ وصايا جمعت بين الفنين : (النثر والشعر) .

وسنحاول التحدث عن هذه الوصايا بحسب التسلسل الزمني لاصحابها ، لكي نتبين ما بينها من تقارب في المنحى والغاية ، وما تنطوي عليه من تطور وامتداد في معانيها وأساليبها وأهدافها .

ولعل أقدم وصية نثرية وصلت إلينا هي المنسوبة الى عمرو بن كلثوم[٢] التي وجهها لبنيه عندما حضرته الوفاة ، وبلغ من العمر (١٥٠) سنة ، كما يقال . وقد انطوت الوصية على أمور كثيرة ذات أهمية عظيمة ، قد لا نجد لها نظيراً في الكثير من الوصايا اللاحقة . فقد قدَّم لها بأن كل إنسان مصيره الفناء ، ولهذا طلب من أولاده الذين سيرثون كل شيء له من مال ومجد ورياسة وقيادة : أن لا يعيّروا غيرهم ، حقاً كان أو باطلًا ؛ لانهم قد يُعيَّرون بمثل ما عيَّروا به سواهم ، وان لا يسبّوا أحداً ،

---

(٢) (شاعر جاهلي ، كان من أعز الناس نفساً ، وهو من الفتاك الشجعان ، ساد قومه تغلب وهو فتى ، وعمّر طويلًا ...) ، (الاعلام ٥/٢٥٦) .

ويكفوا عن الشتم ، ويصلوا الرحم ، ويكرموا الجار ، ويزوّجوا بناتهم بأبناء عمومتهم ، وإن كان لا بدّ من الغريب فليكن من الأكفاء ، وان يبعدوا بيوت النساء عن بيوت الرجال ؛ تلافياً لوقوع الفساد من جراء اللقاء ، وان لا ينتهكوا حرمات الغير ، ولا يظلم القريب الغريب ، وان لا يقتتلوا فيما بينهم إذا ما حدث نزاع أو خصام ، وان يَعُوا ما يحدّثون به ، ويوجزوا في أحاديثهم . وان الموت العاجل خير من الداء الآجل ، وان الزمان متقلّب ومتغيّر نحو الاسوأ فالأسوأ ، وان أشجع القوم العطوف ، وخير الموت ما كان تحت ظلال السيوف وأن لا خير فيمَنْ لا رويّة له ، ولا مَنْ إذا عُوتب لا يُعتب ، وأن لا يتبرّحوا في حبهم لئلا يؤول الحب الى البغض القبيح ، وانه خبر الناس فعلم ان الحكيم سليم ، وان السيف كليم ، وانه لم يمت ولكنه هرم فضعف قلبه وعقله . وبعد هذه النصائح الغالية والإرشادات الثمينة أنهى الوصية بالتسليم والتحية على الموصى لهم . قال :

(يا بَنيَّ إني قد بلغت من العمر ما لم يبلغه أحد من آبائي وأجدادي ، ولا بدَّ من مقتبل ، وان ينزل بي ما نزل بالآباء والاجداد ، والامهات والأولاد ، فاحفظوا عني ما أوصيكم به : إني والله ما عيّرت رجلًا قطّ أمراً إلّا عُيِّر بي مثله ، إنْ حقاً فحقاً ، وإن باطلًا فباطلًا ، ومَنْ سَبَّ سُبّ ، فكفوا عن الشتم فانه أسلم لاعراضكم ، وصلوا أرحامكم ، تُعمرْ داركم ، وأكرموا جاركم يحسُنْ ثناؤكم ، وزوّجوا بنات العم بني العم ، فإن تعديتم بهنَّ الى الغرباء ، فلا تألوا بهن الاكفاء ، وأبعدوا بيوت النساء من بيوت الرجال ، فانه أغضّ للبصر ، وأعفّ للذكر ، ومتى كانت المعاينة واللقاء ، ففي ذلك داء من الادواء . ولا خير فيمَنْ لا يغار لغيره ، كما يغار لنفسه ، وقلَّ مَنْ انتهك حرمة لغيره إلا إنتهكت حرمته ، وامنعوا القريب من ظلم الغريب ، فانك تذل على قريبك ، ولا يحلُّ بك ذلّ غريبك ، وإذا تنازعتم في الدماء ، فلا يكن خفكم للقاء ، فرُبَّ رجل خير من ألف ،

وودّ خير من خُلْف ، وإذا حُدِّثتم فعُوا ، وإذا حَدَّثتم فاوجزوا ، فانَّ مع الإكثار يكون الإهذار ، وموت عاجل خير من ضنى آجل ، وما بكيت في زمان إلا دهاني بعده زمان ، وربما شجاني مَنْ لم يكن أمره عناني ، وما عجبت من أحدوثة إلا رأيت بعدها أُعجوبة ، وأعلموا انَّ أشجع القوم العَطوف ، وخير الموت تحت ظلال السيوف ، ولا خير فيمَنْ لا روية له عند الغضب ، ولا فيمَنْ إذا عُوتب لم يُعْتِب ، ومِنَ الناس مَنْ لا يُرجى خيره ، ولا يخاف شرّه ، فبكُوْه خير من درّه ، وعقوقه خير من بِرّه ، ولا تبرّحوا في حبكم فانه مَنْ برح في حبّ ، آل ذلك الى قبيح بغض ، وكم زارني إنسان وزرته ، فانقلب الدهر فبُرته . واعلموا ان الحكيم سليم ، وان السيف كليم . اني لم أمت ولكن هرمت ، ودخلتني ذلّة فسكت ، وضعف قلبي فاهترت ، سلّمكم ربكم وحيّاكم)[٣] .

فهذه الوصية : صورة واضحة بيّنة لحكمة ناضجة وبصيرة ثاقبة ، وتجربة عميقة ، وقيادة حكيمة ، وسداد رأي يعزّ أن نجد لها مثيلًا لدى الكثيرين .

* * *

ومن هذه الوصايا ، وصية ذي الإصبع العدواني[٤] التي وصّى بها ابنه عند احتضاره ، وهي تجمع بين النثر والشعر ، وكل منهما يكاد يبزّ صنوه في براعة معناه وروعة بلاغته ، وثمين حكمه ، وبُعد مغزاه ، يتضح

---

(٣) جمهرة خطب العرب ١٢١/١ ، والاغاني ٥٩/١١ ، وفيه الوصية أقصر مما في الجمهرة .

(٤) حُرثان بن الحارث : شاعر حكيم شجاع جاهلي . شعره مليء بالحكمة والعظة والفخر ، وهو صاحب القصيدة المشهورة التي يقول فيها :

أأسيّـــــد إنْ مــــالًا ملكـ

ت فســـر بـــه ســيـراً جميـــلًا

(الاعلام ١٨٤/٢) .

هذا فيما اختاره منهما بعض المحدثين أو أشار إليه[٥] .

وفي القسم النثري منها يوصي ذو الإصبع ابنه ـ بعد ان أشار الى طول عمره وسآمة العيش ـ أن يحفظ عنه ما يمكّنه في قومه ما مكّن أباه وهو : إلانة الجانب لقومه ليحبوه ، والتواضع لهم ليرفعوه ، وعدم الاستئثار عليهم بشيء ليسوّدوه ، وإكرام الصغار والكبار ليكرموه ، والسماح بماله ، وحماية الحريم ، وإعزاز الجار ، وإعانة المحتاج ، وإكرام الضيف ، والإسراع الى النجدة وعدم خشية الموت ، وصيانة الوجه عن السؤال . وبعد هذه الوصايا النثرية المتتالية يحلو للرجل أن يسلك هذه الجواهر الثمينة في سمط من الشعر ، وكانى به أحسّ ان الشعر أحفظ لهذه النصائح لما ينطوي عليه من ميزات وخاصة سهولة الاستظهار وميل الناس الى هذا الفن أكثر من ميلهم للفن الآخر وهو النثر . وفيه يكرر الشاعر الحكيم النصائح السابقة ، ويضيف إليها أموراً أخرى ، فيوصي : بالتصرف الجميل بالمال ، ومؤاخاة الكرام ومجاراتهم في كل شيء ، وإهانة اللئام وعدم الخضوع لهم ، وترك ما لا ينفع العشيرة ، والحفاظ على الإخاء عند العزم على الانتقال من بلد الى آخر . والاعتماد على النفس في مواجهة الامور ، وصلة الكرام ، وترك التواني في الامور ومواجهتها بالسلاسة والهدوء ، والتحلّي بالكرم ، وتشييد الحسب الاثيل ، والعزم في مواجهة الصعاب ، وعدم التواكل ، وإكرام الضيف ، ورفع راية الكرم ، والاستبسال عند الملمات ، والتحمّل لعبء الفوادح والنهوض بها . قال :

(يا بُنيّ ، إن أباك قد فني وهو حيّ وعاش حتى سئم العيش ، واني

---

(٥) اختار صاحب كتاب جمهرة خطب العرب القسم النثري من الوصية ، وأشار صاحب الاعلام في ترجمته ، كما تقدم للرجل الى قصيدته التي اختار منها بيتاً .

مُوصيك بما إنْ حفظتَهُ بلغتَ في قومك ما بلغتَهُ ، فاحفظ عني : ألِنْ جانبك لقومك يحبوك ، وتواضعْ لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يُطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسوّدوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمْك كبارُهم ويكبرْ على مودّتك صغارُهم ، واسمح بمالك ، واحمِ حريمك ، وأَعزز جارك ، وأعِنْ مَنْ استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة في الصريخ ، فان لك أجلًا لا يعدوك ، وصُنْ وجهك عن مسألة أحد شيئاً ، فبذلك يتمّ سُؤددك ، ثم أنشأ يقول :

أأُسيـــــــدُ إنْ مـــــــالًا ملكـ
ـتَ فسـز بــه سيـراً جميـــلا
آخِ الكــــــــرامَ إنْ إستطعـ
ـتَ الى إخـــائهمُ سبيـــــلا
واشـــــرَبْ بكـــــاسهمُ وإنْ
شـربـوا بــه السُّمَّ الثميـــلا
أهِنْ اللئـــــــــام ولا تكنْ
لاخـــــائهم جَمَـــلًا ذلــــولا
إنَّ الكـــــرامَ إذا تُـــــوا
خِيهم وجــــدتَ لهم فُضـــولا
ودَعِ الـــــذي يَعِـــدُ العشيـ
ـرةَ أنْ يسيـــل ولن يسيـــلا
أبُنيَّ إنّ المـــــــال لا
يَبكي إذا فقَـــــدَ البخيــــلا
أأُسيـــــدُ إنْ أزمعتَ من
بلـــدٍ الى بلـــدٍ رحيــــلا

فـــــاحفظ وإنْ شحَطَ المـــــزا
رُ أَخـــا أخيـــك أو الـــزميـــلا
واركب بنفســــــــك إنْ همـ
ـتَ بهـــا الحـــزونـــة والسهـــولا
وصـــــلِ الكـــــرام وكُن لمَنْ
تـــرجـــو مـــودّتـــه وَصـــولا
ودعِ التـــــدانيّ في الامـــــو
رِ وكُنْ لهـــا سَلِســـاً ذلـــولا
وابسط يمينـــك بـــالنـــدى
وامـــدد لهـــا بـــاعـــاً طـــويـــلا
وابسط يـــديـــك بمـــا ملكـ
ـتَ وشيِّـــد الحسبَ الاثيـــلا
واعـــزم إذا حـــاولت أمـ
ـراً يَفـــرجُ الهمّ الـــدخيـــلا
وابـــذل لضيفـــك ذات رحـ
ـلـــك مُكـــرمـــاً حتى يـــزولا
واحلُـــل على الايفـــاع للـ
ـعـــاقينَ واجتنب المسيـــلا
وإذا القـــروم تخـــاطـــرت
يـــومـــاً وأرعـــدتِ الخصيـــلا
فـــاهصـــر كهصـــرِ الليثِ خـ
ـضْت من فـــريستـــه القليـــلا

وانــــــزل الى الهيجـــــا إذا
أبطـــالهـــا كـــرهــوا النـــزولا
وإذا دُعيت الى المهـ
ـمّ فكن لفـــاحـــة خَمــولا [6]

ومنها : وصية دريد بن الصمة[7] ووصية قيس بن زهير[8] التي وجهها الى معشر النمر، وقد جاور بعد يوم العباءة النمر بن قاسط وتزوج منهم، وأقام فيهم حتى ولد له ، فلما أراد الرحيل عنهم أوصاهم بهذه الوصية . أمرهم في القسم الاول منها بالاخذ ببعض الخصال ، منها : التحلّي بالاناة ، وتسويد مَنْ يستحق السيادّة ، والوفاء ، والاعطاء قبل المسالة ، والمَنع قبل الإلحاح ، وإجارة الضيف ، وتنفيس المنازل عن بيوت اليتامى ، وخلط

---

(٦) الاغاني ٣/٩٨ ـ ٩٩ ، وانظر : جمهرة خطب العرب ١/١٢٠ . وقد اقتصر على القسم النثري .

(٧) كان البحث يحتم علينا أن نذكر هذه الوصية ، لانها أقدم ، فوصية دريد بن الصمة المتوفى سنة ٨هـ . (الاعلام ٣/١٦) التي وجهها الى قائد هوازن مالك بن عوف النصري يوم حنين ، والتي كانت تقتصر على أمر واحد هو ما ينبغي أن يعمله مَنْ يختار قائداً لقومه في الحرب ، فقد رأى ان مالكاً قد حمل أبناء العشيرة ونساءها وأموالها ، متوخياً من ذلك استثارة المقاتلين واندفاعهم الى القتال والصمد ، فسفّه هذا العمل وأوضح خطل رأي صاحبه معللًا ذلك تعليل الخبير العارف بفنون الحرب ونتائجها ، وما تنطوي عليه في حالتي : الانتصار أو الهزيمة (أنظر : الوصية في العقد الفريد ١/١٣٣) . قد نحيناها عن البحث لان الحرب كانت بين المسلمين وهوازن هذه .

(٨) العبسي : أمير عبس ، وداهيتها ، وأحد السادة القادة في عرب العراق ، كان يُلقب بقيس الرأي ، لجودة رأيه ، وهو معدود في الامراء والدهاة والشجعان والخطباء والشعراء ، وحكمته في مأثور كلامه مستفيضة وشعره جيد وفحل .. ويُضرب بدهائه المثل . توفى سنة ١٠هـ . (الاعلام ٦/٥٥ ـ ٥٦) .

الضيف بالعيال . ونهاهم في القسم الثاني منها عن خصال منها : الغدر والرهان ، والإعطاء في الفضول ، والسرف في الدماء ، ومنع الحرم عن غير الأكفاء ، والاعتراف بأنه كان ظالماً لقتله مَنْ لا ذنب له ، ومظلوماً لقتل بني بدر أخاه مالكاً . قال :

(يا معشر النمر : إن لكم عليّ حقاً ، وأنا أريد أن أوصيكم ، فآمركم بخصال ، وأنهاكم عن خصال . عليكم بالأناة ، فان بها تُدرك الحاجة ، وتُنال الفرصة ، وتسويد مَنْ لا تُعابون بتسويده ، وعليكم بالوفاء ، فان به يعيش الناس ، وبإعطاء مَنْ تريدون إعطاءه قبل المسألة ، ومنع مَنْ تريدون منعه قبل الإلحاح ، وإجارة الجار على الدهر ، وتنفيس المنازل عن بيوت اليتامى ، وخلط الضيف بالعيال ، وأنهاكم عن الغدر ؛ فانه عار الدهر ، وعن الرهان ، فاني به تكلت مالكاً أخي . وعن البغي ، فانه قتل زهيراً أبي ، وعن الاعطاء في الفضول ، فتعجزوا عن الحقوق ، وعن السرف في الدماء ، فان يوم الهباءة ألزمني العار ، ومنع الحرم إلا من الأكفاء ، فإن لم تصيبوا لهن الأكفاء ، فان خير مناكحهن التبور (أو خير منازلها) . واعلموا اني كنت ظالماً مظلوماً ؛ ظلمني بنو بدر بقتلهم مالكاً أخي ، وظلمتهم بأن قتلت مَنْ لا ذنب له)(٩) .

ومن الوصايا وصية (قيس بن عاصم)(١٠) . وهي تجمع بين النثر والشعر أوصى فيها أولاده ، عندما حضرته الوفاة ؛ بتسويد الكبار عليهم ، وإصلاح المال ودفنه في ثيابه التي كان يصلّي فيها ويصوم ، وتحذيرهم

(٩) جمهرة خطب العرب ١٢٧/١ .

(١٠) المنقري التميمي : أحد أمراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة فيهم . كان شاعراً وساد في الجاهلية ... وفد على النبي (ﷺ) سنة ٩هـ فاسلم ، وقال النبي (ﷺ) لما رآه : هذا سيد أهل الوبر ... توفي سنة ٢٠هـ . (الاعلام ٥٧/٦) .

من المسألة ، وإخفاء قبره عن بعض أحياء بكر بن وائل ، وبالاتحاد والاجتماع . ثم أعقب الوصية بأبيات شعر ردّد فيها ما ذكره سابقاً ، مضيفاً الى ذلك الإشارة الى المجد وما ينبغي أن يتعهده من الابناء ، وان الشجاعة والحلم والعفاف والكرم من تمام الفضول ، ووجوب العناية بالصغار حتى يبلغوا . قال :

(يا بَنيَّ ، إذا متّ فسوّدوا كباركم ، ولا تسوّدوا صغاركم فيسفّه الناس كباركم . وعليكم بإصلاح المال فانه منبهة للكريم ، ويستغنى به عن اللئيم . وإذا متُّ فادفنوني في ثيابي التي كنتُ أصلّي فيها وأصوم ، وإياكم والمسألة فانها آخر مكاسب العبد ، وان امرأً لم يسأل إلا ترك مكسبه . وإذا دفنتموني فاخفوا قبري عن هذا الحي من بكر بن وائل ، فقد كان بيننا خُماشات في الجاهلية . ثم جمع ثمانين سهماً فربطها بوتر ، ثم قال : اكسروها فلم يستطيعوا ، ثم قال : فرّقوا ففرّقوا ، فقال : اكسروها سهماً سهماً فكسروها . فقال : هكذا أنتم في الاجتماع وفي الفُرقة . ثم قال :

إنمـــا المجدُ مـــا بنى والـــد الصـــد
ق وأحيـــا فَعـــالـــه المـــولـــودُ
وتمـــام الفضـــل الشجـــاعـــة والحلـ
ـم إذا زانـــه عفـــاف وجـــودُ
وثـــلاثـــون يـــا بَنيَّ إذا مـــا
جمعتهم في النـــائبـــات العهـــودُ
كثـــلاثين من قـــداح إذا مـــا
شـــدَّهـــا للـــزمـــانِ قِـــدْح شـــديـــدُ
لم تكسَّـــر وإن تفـــرّقت الاسـ
ـهم أودى بجمعهـــا التبـــديـــدُ

وذوو الحلم والأكـــــابـــــر أولى
أن يُـــرَى منكمُ لهم تســـويـــدُ
وعليكم حفظَ الأصـــاغـــر حتى
يبلـــغ الحِنْثَ الأصغر المجهـودُ)[11]

* * *

ومنها الوصية المنسوبة الى غيلان بن سلمة الثقفي[12] لبنيه ، حيث حضرته الوفاة التي ذكر فيها إحسانه خدمة أموال أبنائه ، وأمجاد

---

(١١) الاغاني ١٤/٨٢ ، جاء في الحاشية : بلغ الغلام الحنث : أي الإدراك والبلوغ ، أي بلغ مبلغ الرجال وجرى عليه القلم فكتب عليه الحنث (أي المعصية والإثم) والطاعة . الاغاني ١٣/٢٠٥ .

(١٢) حكيم شاعر جاهلي أدرك الإسلام وأسلم يوم الطائف وعنده عشر نسوة ، فأمره النبي (ﷺ) فاختار أربعاً ، فصارت سنّة ... انفرد في الجاهلية بأن قسّم أعماله على الأيام ، فكان له يوم يحكم فيه بين الناس ، ويوم ينشد فيه شعره ، ويوم ينظر فيه الى جماله ، توفي سنة ٢٣هـ . (الاعلام ٥/٣١٩) . وانظر البيان والتبيين وفيه ان الوصية منسوبة الى عثمان بن أبي العاص ٢/٦٧ . (قال عثمان بن أبي العاص لبنيه : (يا بَنيَّ اني امجدتكم في أمهاتكم ، وأحسنت في تهيئة أموالكم ، واني ما جلست في ظل رجل من ثقيف أشتم عِرضه ، والناكح مغترس ، فلينظر امرؤ منكم حيث يضع غرسه . والعِرق السوء قلّما ينجب ، ولو بعد حين) .
وعثمان صحابي ، من أهل الطائف ، أسلم في وفد ثقيف ، فاستعمله النبي (ﷺ) على الطائف ، ثم ولّاه عمر عُمان والبحرين وعزله عثمان فسكن البصرة . له فتوح وغزوات بالهند وفارس . توفي سنة ٥١هـ . الاعلام ٤/٣٦٨) .
الرطلة : المرأة الحمقاء الضعيفة . (الحاشية ٧) .
الرمكاء : ما كان في لونها حُمرة مختلطة لسواد (الحاشية ٥) .

أمهاتهم والالتفات الى بيوتات العرب ، لانها معارج الكرم ، وموارد الخير ، والانتقاء من النساء الفارعة البيضاء ، وتجنب القصيرة الرطلة ، لما في ذلك من آثار بعيدة في الإنجاب وعلاقته بيوم القتال والنضال ، وأعقب الوصية ببيتين من الشعر ، قال :

(يابَنيّ ، قد أحسنت خدمة أموالكم ، وأمجدت أمهاتكم فلن تزالوا بخير ما غنوتم من كريم وغذا منكم ، فعليكم ببيوتات العرب ، فانها معارج الكرم ، وعليكم بكل رمكاء مكينة ركينة ، أو بيضاء رزينة ، في خِدْر بيت يتّبع ، أو جدّ يرتجى ، وإياكم والقصيرة الرُّطلة ، فان أبغض الرجال إليّ أن يقاتل عن إبلي أو يناضب عن حسبي ، القصير الرُّطل ، ثم أنشأ يقول :

وحــرّةِ قــومٍ قــد تنــوّق فعلهــا
وزيّنهــا أقــوامهــا فتــزيّنتْ
رَحلت إليهــا لا تُــرَدُّ وَسيلتي
وحمَّلتُهــا من قــومهــا فتحمّلتْ)

* * *

ومنها وصيتان منسوبتان الى لبيد[١٣] ، إحداهما وصّى بها ابن أخيه ، إذ لم يكن له ولد ذكر ، وهي تشتمل على النثر في أولها والشعر في أعقابها ، ففي الجزء الاول منها يذكر : انه لم يمت ولكنه فني[١٤] . ويطلب إقباله القبلة ، وتسجيته بثوبه[١٥] ، وان لا تصرخ عليه صارخة ،

---

(١٣) لبيد بن ربيعة العامري . أحد الشعراء الفرسان الاشراف في الجاهلية . أدرك الإسلام ووفد على النبي (ﷺ) . ويعد من الصحابة . عاش عمراً طويلاً ، وهو أحد أصحاب المعلقات . توفي سنة ٤١هـ . (الاعلام ٦/١٠٤) .

(١٤) أنظر : وصية عمرو بن كلثوم .

(١٥) أنظر : وصية قيس بن عاصم .

وان تحمل جفنتاه الى المسجد ويدعى المصلون الى حضور جنازته، وفي الجزء الثاني يوصي بأن يوضع فوق قبره خشب وطين، وسقائف لتخميه حُرَّ الوجه، وإن لم تقه، كما يذكّر ابن أخيه بأبيه وأجداده، ويدعوه الى التصرف بماله كيف شاء.

قال :

(يا بُنيّ، إنَّ أباك لم يمت ولكنه فني، فإذا قُبض أبوك فاقبله القبلة، وسجّه بثوبه، ولا تصرخنَّ عليه صارخة، وانظر جفنيّ اللتين كنت أصنعهما فاصنعهما ثم احملهما الى المسجد، فإذا سلَّمَ الإمام فقدّمها إليهم، فإذا طعِموا فقل لهم فليحضروا جنازة أخيهم، ثم أنشد قوله :

فــــإذا دفنت ابـــاك فـــاجـ
ـعـــل فـــوقـــه خشبـــاً وطينـــا
وسقـــــائفـــــاً صُمّـــــاً روا
سيهـــا يســـدّن الغصـــونـــا
ليقين حُـــــرَّ الــــوجـــه سفـ
ـــساف التُــراب ولن يقينـــا
أبُنيّ هـــــل بصـــــرت أعـ
ـسمـــــامي بني أمّ البنينـــــا
وأبي الــــــذي كـــــان الأرا
مـــل في الشتـــاء لـــه قطينـــا
وابـــا شـــريـــك والمنـــا
زلَ في المضيق إذا لقينـــــــا
مـــــا إن رأيت ولا سمعـ
ـث بمثلهم في العـــالمينـــا

دعني ومـــــا ملكت يميـ
ـني إنْ سددت بهـا الشـؤونـا
وافعـل بمـالـك مـا بـدا
لـك مُستمـانـاً أو مُعينـا)[١٦]

والوصية الثانية مقصورة على أبيات من الشعر موجهة الى ابنتيه حين احتضاره وفيها :

ان الفناء مصير الإنسان[١٧] ، ويطلب عدم خمش الوجه ، أو حلاقة الشعر حداداً عليه ، كما ينكر انه لم يُضغ حليفاً ولا خان صديقاً ولا غدر أحداً ، ثم يوصي بأن مدة الحزن عليه حول فحسب ، قال :

تمنّى ابنتـايَ أن يعيش أبـوهمـا
وهـل أنا إلا من ربيعـة أو مُضَـرْ
فإن حـان يومـاً أن يموتَ أبـوكما
فـلا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شَعَـرْ
وقـولا هـو المـرء الـذي لا حَليفـه
أضـاع ، ولا خان الصـديق ولا غَـدَرْ
الى الحـول ثم اسم السـلام عليكم
ومَنْ يبك حولًا كاملًا فقـد اعتَذَرْ)[١٨]

* * *

ومن الوصايا التي نعتت بالطرافة الوصية المنسوبة الى

---

(١٦) الاغاني ١٥/٣٧٨ .
(١٧) أنظر : وصية عمرو بن كلثوم .
(١٨) الاغاني ١٥/٣٧٩ .

الحطيئة[19] حين وفاته .

وأكبر الظن ان الكثير مما جاء فيها لا يخلو من الاختلاق والتزيد ، بل والعبث في روايتها أو رواياتها الكثيرة .

ولعل ما قدم أبو الفرج لهذه الوصية ما يدل على شكه في صحة الكثير مما جاء فيها ، قال :

(وللحطيئة وصية ظريفة يأتي كل فريق من الرواة ببعضها ، وقد جمعت ما وقع إليّ منها في موضع واحد وصدّرت بأسانيدها ...)[20] .

فقد روى انه لما حضرت الحطيئة الوفاة اجتمع إليه قومه فطلبوا منه ان يوصي ، فوصّى بجملة من الامور ، ينصب القسم الاول منها على الشعر والشعراء ورواة الشعر ، فبدأها : بالشكوى من رواة الشعر المسيئين ، ثم أخذ يسأل عن أشعر العرب ، وأشعر الابيات ، وصعوبة قول الشعر ، وفزعه من المديح الجيد الذي لا يوضع في محله من الممدوحين ، وتفضيله عدداً من الشعراء ، ثم تفضيله نفسه على الشعراء عامة .

أما القسم الثاني من الوصية ، فهو توصيته بعبيده وإمائه وفي ميراثه ، وتعهد الايتام ، وانهاه بطلب لا يخلو من الفكاهة والطرافة والعبث وهو ما ينبغي عمله له عند وفاته (أي عند تشييعه) . جاء فيها :

(لما حضرت الحطيئة الوفاة اجتمع إليه قومه فقالوا : يا أبا مُليكة : أوصي فقال :

ويلٌ للشعر من رواية السوء ، قالوا : أوصِ رحمك الله يا حُطَيءُ ، قال : مَنْ الذي يقول :

---

(١٩) توفي نحو ٤٥هـ . (الاعلام ١١٠/٢) .

(٢٠) الاغاني ١٩٥/٢ .

إذا انبضَ الـــرامـــون عنهـــا تـــرنَمت
تـــرنّمَ تكلى أوجعتهـــا الجنـــائـــز؟

قالوا : الشمّاخ . قال : أبلغوا غطفان انه أشعر العرب ، قالوا : ويحك ! أهذه وصية ؟ أوصِ بما ينفعك ، قال : أبلغوا أهل ضامىء انه شاعر ، حيث يقول :

لكـــلّ جـــديـــد لـــذة غيـــر انني
رأيت جـــديد المـــوت غيـــر لـــذيـــذ

قالوا : أوصِ ويحك بما ينفعك ! قال : أبلغوا أهل امرىء القيس انه أشعر العرب ، حيث قال :

فيـــا لـــكَ من ليـــل كـــأنَّ نجـــومـــه
بكـــل مُغـــار الفتـــل شُـــدَّت بيـــذبـــل

قالوا : اتق الله ودع عنك هذا ، قال : أبلغوا الانصار ان صاحبهم أشعر العرب ، حيث يقول :

يُغشـــون حتى مـــا تَهِـــرُّ كـــلابُهم
لا يســـألـــون عن السَّـــواد المقبـــل

قالوا : هذا لا يغني عنك شيئاً ، فقل غير ما أنت فيه ، فقال :

الشعـــر صعبٌ وطـــويـــلٌ سلّمُـــه
إذا ارتقى فيـــه الـــذي لا يعلمُـــه
زلّت بـــه الى الحضيض قـــدمُـــه
يـــريـــد أن يعـــربـــه فيُعجمُـــه

قالوا : هذا مثل الذي كنت فيه ، فقال :

قـــد كنت أحيانـــاً شـــديـــد المعتمد
وكنت ذا غـــرب على الخصم ألـــدّ

فـــوردث نفسي ومـــا كـانت تـــرد

قالوا : يا أبا مليكة ألك حاجة ؟ قال : لا والله ، ولكن أجزع على المديح الجيّد يُمدح به مَنْ ليس له أهلًا ، قالوا : فمَنْ أشعر الناس ؟ فاوما بيده الى فيه ، وقال : هذا الجحير إذا طمع في خير (يعني فمه) واستعبر باكياً ، فقالوا له : قُل لا إله إلا الله ، فقال :

قـــالت وفيهـــا حيـــدة وذعـــرُ
عَـــوذ بـــربي منكم وحُجـــرُ

فقالوا : ما تقول في عبيدك وإمائك ؟ فقال : هم عبيد قِنّ ما عاقب الليل النهار ، قالوا : فأوصِ للفقرَاء بشيء ، قال : أُوصيهم بالإلحاح في المسألة فانها تجارة لا تبور واست المسؤول أضيق .

قالوا : فما تقول في مالك ؟ قال : للأنثى من ولدي مثل حظّ الذكر ، قالوا : ليس هكذا قضى الله جلّ وعزّ لهنّ ، قال لكني هكذا قضيتُ .

قالوا : فما توصي لليتامى ؟ قال : كلوا أموالهم وا .... حوا أمهاتهم ؟ قالوا : فهل شيء تعهد فيه غير هذا ، قال : نعم تحملونني على أتان وتتركونني راكبها حتى أموت فان الكريم لا يموت على فراشه ، والاتان مركب لم يمت عليه كريم قط ، فحملوه على أتان وجعاوا يذهبون به ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول :

لا أحـــــد ألأم من حُطيـــــئة
هجـــا بنيـــه وهجـــا المُـــرَيّـــة
من لـــؤمِـــهِ مـــات على فُـــرَيَّـــة

والفرية : الأتان)[٢١] .

* * *

---

(٢١) الاغاني ٢/١٩٥ ، ١٩٨ ، وانظر : ديوان المعاني ١/ ٤٠ .

وهذه وصية تنازع نسبتها أسماء بن خارجة[٢٢] ، وأبو الاسود الدؤلي[٢٣] ، وهي موجهة الى ابنتهما عند البناء بها ، وتعدّ من أعظم الوصايا في بابها ، لما اشتملت عليه من معرفة دقيقة في استمرار العلاقة الزوجية الناجحة ، إذا ما اتبعت الفتاة النصائح الواردة فيها ، وهي وإن كانت ألصق بمهمة الام منها بمهمة الاب ، فقد دلّت على عمق نظرة الأب الناجح وحصافته واستنتاجه المبني على الخبرة والتجربة العملية الحيوية ، وفيها : ان النساء أحق بتوصية بناتهن في مثل هذا الامر وتأديبهنّ ، ولكن لا بد مما لا بد منه في مثل هذه الحال ، فعليك أيتها الابنة أن تعلمي :

إن أطيب الطيب الماء ، وأحسن الحسن الدهن ، وأحلى الحلاوة الكحل ، وان الإكثار من مباشرة الزوج يؤدي الى الملل ، والابتعاد يسبب الجفاء والإعتلال ، وعدم الإكثار من المعاتبة ، لانها قطيعة الود ، وتجنب الغيرة ، لانها مفتاح الطلاق ، وان تكوني لزوجك طيعة ليكون رهن أمرك وبغيتك ، ولتجعلي نصب عينيك ما قلته لأمك في مثل هذه الاحوال ، قال أبو الاسود :

(أي بُنية ، النساء كنّ بوصيتك وتأديبك أحقّ مني ، ولكن لا بد مما لا بدّ منه . يا بُنية ، ان أطيب الطيب الماء ، وأحسن الحسن الدهن ، وأحلى الحلاوة الكحل ، يا بنية ، لا تكثري مباشرة زوجك فيملّك ، ولا تباعدي عنه فيجفوك ويعتلّ عليه وكوني عما قلت لأمك :

---

(٢٢) الفزاري : تابعي من رجال الطبقة الاولى ، كان سيد قومه ، جواداً مقدماً عند الخلفاء . توفي سنة ٦٦هـ . (الاعلام ١/٢٩٩) .

(٢٣) ظالم بن عمرو الكناني : كان معدوداً من الفقهاء والاعيان والامراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب . من التابعين ، توفي سنة ٦٩هـ . (الاعلام ٣/٣٤٠) .

خـذي العفـو مِني تستـــديمي مـوّدتي
ولا تنطقي في سَورتي حين أغضبُ)[٢٤]

* * *

ومن الوصايا المقصورة على الشعر وصية الفرزدق[٢٥] التي أوصى بها عند مرضه الذي مات فيه ، وهي تكاد تنصب في توصية عشيرته بعشيرتي قضاعة وكلب اللتين أثنى عليهما وعلى ما كانا يتمتعان به من الحلم والعدد ، وان في اتحاد العشيرتين قوة . قال :

أُوصِي تميمـــاً إن قضاعـــةَ ساقهـا
ندى الغيث عن دار بدومـــة أو جَذْبِ
فـــإنكم الأكفـــاء والغيث دُولـــة
يكـــون بشـرق من بـلاد ومن غـــربِ

(٢٤) الاغاني ٢٠/٣٧٠ ، وفي المصدر نفسه ٢٠/٣٦٣ ، وجمهرة خطب العرب ٢/٥٠٧ (عن الاغاني) منسوبة الى أسماء بن خارجة .
جاء في الاغاني :
(زوّج أسماء بن خارجة الفزاري بنته هنداً من الحجاج بن يوسف ، فلما كانت ليلة أراد البناء بها ، قال لها أسماء بن خارجة :
(يا بنية ، ان الامهات يؤدبن البنات ، وان أمك هلكت وأنت صغيرة ، فعليك باطيب الطيب الماء ، وأحسن الحسن الكحل ، وإياك وكثرة المعاتبة ، فانها قطيعة للود ، وإياك والغيرة ، فانها مفتاح الطلاق ، وكوني لزوجك أمة يكن لك عبداً ، واعلمي انني القائل لامك :
خـــذي العفـو مني تستـديمي مـودتي
ولا تنطقي في ســـورتي حين أغضبُ
فـــاني رأيت الحبَّ في الصـدر والأذى
إذا اجتمعـــا لم يلبث الحبُّ يــذهبُ)
(الاغاني ٢٠/٣٦٣) .
(٢٥) توفي سنة ١١٠هـ (الاعلام ٩٦/٩) .

إذا انتجعت كلب عليكم فـــوسّعــوا
لها الدار في سهـل المقامـة والرَّحبِ
فـــأعظمُ من أحــلام عـــاد حلــومهم
وأكثـــرهم عند العـــديـــد من التـــربِ
أشـــدُّ حبـــال بعـــد حيين مِـــرَّة
حِبـــالٌ امِرَّت من تمَيم ومن كلب)[٢٦]

* * *

ومن الوصايا الطريفة أيضاً ، وصية أبي النجم الراجز[٢٧] لبناته الثلاث عند تزويج اثنتين منهن ، وكلها تدور حول معاملة البنت لحماتها بشيء من القسوة ، بأسلوب ظاهر التفكه والإضحاك . وكان هذا كله في مجلس هشام بن عبدالملك الذي أطرحه بسبب التعريض بما كان عليه هشام من الحول ، ثم طلبه هشام في ليلة من الليالي ليخفف عنه ما كان يعانيه من ضيق نفسي ، وسأله عما له من الولد والمال ، فقال : أنْ لا مال له ولكن له ثلاث بنات زوج اثنتين وبقيت واحدة ، فقال له هشام ، وما وصيّت بالمتزوجتين ، فاندفع أبو النجم ينشد ـ وكان حسن الإنشاد ـ أبياتاً في ذلك ، وكذلك سأله عن الثالثة ، فأجابه شعراً أيضاً .

---

(٢٦) الاغاني ٢١/٣٨٥ ، وديوان الفرزدق ٢٠ ، والابيات فيه أكثر مما في الأغاني . وانظر : الاغاني ٨/٣٠٥ ، وفيه انه لما حضرت الاخطل الوفاة قيل له يا أبا مالك ألا توصي ، فقال (بيتان) ، ولا نرى فيهما ما يستحق التمثيل بهما ، ونكتفي بالإشارة إليهما .

(٢٧) هو الفضل بن قدامة العجلي ، من أكابر الرجاز ، نبغ في العصر الاموي ، وكان يحضر مجالس عبدالملك بن مروان وولده هشام ، توفي سنة ١٣٠هـ . (الاعلام ٥/٣٥٧) .

وأكبر الظن ان هذه الوصية تنطوي على شيء غير قليل من عدم الحقيقة ، وإنما أُريد بها التفكه والإضحاك ليس غير.

جاء في الأغاني :

(... قال أبو النجم : ولم يكن أحد بالرصافة يضيف إلا سُليم بن كيسان الكلبي وعمرو بن بسطام التغلبي ، فكنت آتي سليماً فأتغدى عنده ، وآتي عمراً فأتعشى عنده وآتي المسجد فأبيت فيه . قال : فاهتم هشام ليلة وأمسى لقى النفس وأراد محدثاً يحدّثه ، فقال لخادم له : ابغني محدثاً أعرابياً أهوج شاعراً يروي الشعر . فخرج الخادم الى المسجد فإذا بأبي النجم ، فضربه برجله وقال له : قم أجب أمير المؤمنين . قال : اني رجل أعرابي غريب . قال : إياك ابغي ، فهل تروي الشعر ؟ قال : نعم وأقوله . فأقبل به حتى أدخله القصر فأغلق الباب ، قال : فأيقن بالشر ، ثم مضى به فأدخله على هشام في بيت صغير ، بينه وبين نسائه ستر رقيق والشمع بين يديه تزهر . فلما دخل قال له هشام : أبو النجم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين طريدك . قال : أجلس . فسأله وقال له : أين كنت تأوي ومَنْ كان ينزلك ؟ فأخبره الخبر . قال : وكيف اجتمعا لك ؟ قال :كنت أتغدّى عند هذا وأتعشى عند هذا ، قال : وأين كنت تبيت ؟ قال : في المسجد حيث وجدني رسولك .

قال : وما لك من الولد والمال ؟ قال : أما المال فلا مال لي ، وأما الولد فلي ثلاث بنات وبُنيّ يقال له شهبان . فقال : هل زوّجت من بناتك أحداً ؟ فقال : نعم زوّجت اثنتين ، وبقيت واحدة تجمز في أبياتنا كأنها نعامة . قال : وما وصيت به الأولى ؟ وكانت تسمّى (برّة) ـ بالراء ـ فقال :

أوصيت من بـــرّة قلبـــاً حـــرا
بـــالكلب خيـــراً والحمـــاة شـرّ

لا تسـامي ضـربـاً لهـا وجـزّا
حتى تـرى حلـو الحيـاة مُـرّا
وإن كستـك ذهبـاً ودُرّاً
والحيَّ عُميّهم بشـرٍّ طُـرّا

فضحك هشام وقال : فما قلت للأخرى ؟ قال : قلت :

سُبي الحمـاة وابهتي عليهـا
وإن دنت فـازدلفي إليهـا
وأوجعي بـالفهـر ركبتيهـا
ومِـرفقيهـا واضـربي جنبيهـا
وظـاهـري النـذر لهـا عليهـا
لا تخبـري الـدهـر بـه ابنتيهـا

قال : فضحك هشام حتى بدت نواجزه وسقط على قفاه . فقال : ويحك ما هذه وصية يعقوب ولده . فقال : وما أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين . قال : فما قلت للثالثة ، قال قلت :

أُوصيـك يـا بـنـتي فـاني ذاهب
أوصيـك ان تحمـدك الاقـارب
والجـار والضيف الكـريم السـاغب
لا يـرجـع المسكين وهـو خـائب
ولا تني أظفـارك السـلاهب
منهن في وجـه الحمـاة كـاتب
والـزوج ان الـزوج بئس الصـاحب

قال : فكيف قلت لها هذا ولم تتزوج ؟ وأيّ شيء قلت في تاخير

تزويجها ؟ قال : قلت فيها :

كـــانْ ظـــلامـــة أخت شيبـــانْ
يتيمـــــة ووالـــداهـــا حيّـــانْ
الـــرأس قمـل كلـــه وصئبـــانْ
وليس في الســـاقين إلا خيطـــانْ
تلـــك التي يفـــزع منهـــا الشيطـــانْ

قال : فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكه ...)[٢٨] .

* * *

ومن الوصايا الشعرية ما نسب الى مساور[٢٩] ، فقد وصّى ابنه بالتهيؤ والإستعداد للأمور ؛ لأن العهود لا تصفو إلا لكل مشمّر متهيِّىء ، كما أوصاه بالإحسان ومصاحبة الزهاد والنساك الذين يمثلون جانباً مهماً من جوانب الحياة المتزنة المستقيمة ، ففي مصاحبة المشهورين بهذا الاتجاه ، كفلان وفلان ، غنىً عن البيوع بنسيئة ، وصون من لسان الغريم . فقال :

شمِّـــرّ ثيـــابـــك واستعـــدّ لقـــائـــل
واحكـــك جبينـــك للعهـــود بثـــوم
ان العهـــودَ صفت لكـــل مشمـــرّ
دَبـــرِ الجبين مصفَّـــر مـــوســـومِ
أحسنْ وصـــاحبْ كـل قـــار نـــاســـك
حسن التعهّـــد للصـــلاة صـــؤومِ

(٢٨) ١٠/١٥٥ - ١٥٧ .

(٢٩) مساور بن سوار بن عبدالحميد : شاعر من أهل الكوفة ، كان وراقاً ينسخ الكتب ، وروى الحديث له أخبار وأشعار ، توفي نحو ١٥٠هـ. (الاعلام ١٠٥/٨) .

من ضـــرب حمّـــاد هنـــاك ومِشقَــر
وسمــــــــاكِ العَتكيّ وابن حكيمِ
وعليـــك بـــالغنـــويّ فـــاجلس عنـــده
حتى تصيب وديعـــــــــةً ليتيمِ
تغنيـــك عن طلب البيـــوع نسيئـــة
وتكف عنـــك لســـان كـل غـــريمِ
وإذا دخلت على الـــربيـــع مسلّمـــاً
فـــاخصصْ شبابـة منك بـالتسليمِ)[30]

* * *

ومن أمثال وصية الحطيئة والاخطل ما ذكره ابن المعتز عن وصية الفضل الرقاشي[31] ، وهي (أرجوزة مزدوجة ، يأمر فيها باللواط وشرب الخمر والقمار والهراش بين الديكة والكلاب ، وهو يزعم انها تدخر لوقت الموت مجوناً وخلاعة ، وأولها)

أوصى الـــرقـــاشيُ الى خـــلانـــه
وصيـــة المحمـــود في إخـــوانـــه)[32]

* * *

(٣٠) الاغاني ١٨/١٥٠ .

(٣١) من شعراء المجون ومن معاصري أبي نواس ، وله معه مهاجاة ومباسطة ، توفي نحو ٢٠٠هـ . (الاعلام ٥/٣٥٦) .

(٣٢) طبقات الشعراء ٢٢٦ ، واقتصر على مطلع القصيدة .

ومن الوصايا ذات المغزى البعيد والهدف السامي المبنية على الخبرة الواسعة والمران المستمر، وإرهاف الحس، والدقة في سبر أغوار الفن الخالد، وهو قول الشعر، الوصية المنسوبة الى أبي تمام التي أوصى بها الشاعر الكبير البحتري عند استئناس الاخير به في مطلع حياته الشعرية، كما قيل.

فقد أوصاه في معاناته كتابة الشعر: تخيّر الأوقات المناسبة للنظم، وان يكون قليل الهموم، صفراً من الغموم، وان أفضل الأوقات وأحسنها هو السحر، لأسباب ذكرها، كما أوصاه بما ينبغي فعله في فن النسيب، وما يجب اتباعه في غرض المديح، وما عليه ان يقوم به إذا ما أحسّ بالتعب والضجر. وعليه أن يعلم ان الرغبة في قول الشعر الإجادة فيه، وان أحسن ما يقتدي به ويعتبره النموذج الأمثل في حياته الشعرية هو شعر المشهورين من الماضين. قال:

(قال الوليد بن عبيد البحتري: كنت في حداثتي أروم الشعر، وكنت أرجع فيه الى طبع، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه، ووجوه اقتضابه. حتى قصدت أبا تمام، وانقطعت فيه إليه، واتكلت في تعريفه عليه، فكان أول ما قال لي: يا أبا عبادة، تخيّر الأوقات وأنت قليل الهموم، صفر من الغموم، واعلم ان العادة جرت في الأوقات أن يقصد الإنسان لتاليف شيء أو حفظه وقت السحر، وذلك ان النفس قد أخذت حظها من الراحة، وقسطها من النوم، وان أردت التشبيب فاجعل اللفظ رشيقاً، والمعنى رقيقاً، وأكثر فيه من بيان الصّبابة، وتوجّع الكآبة، وقلق الاشواق، ولوعة الفراق، فإذا أخذت في مديح سيّد ذي أيادٍ فاشهر مناقبه، وأظهر مناسبه، وأبِنْ معالمه، وشرف مقامه، ونضّد المعاني، واحذر المجهول منها، وإياك أن تشين شعرك بالالفاظ الرديئة، ولتكن كانك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجساد. وإذا عارضك الضجر فارح نفسك، ولا تعمل شعرك إلا وأنت فارغ القلب، واجعل شهوتك لقول

الشعر الذريعة الى حسن نظمه ، فان الشهوة نِعْمَ المعين . وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين ، فما استحسن العلماء فاقصده ، وما تركوه فاجتنبه ترشد إن شاء الله .

قال : فاعملت نفسي فيما قال فوقفت على السياسة)[٣٣] .

إن الوصايا السالفة تنطوي على جملة من الخصائص التي يمكن ملاحظتها فيها ، منها : ميلها الى القصر ، واستعمال الجمل القصيرة ، ومنها : تحلّي أكثرها بالسجع ، ومنها : اقتضاب المعنى وتركيزه والعناية به حتى أصبح الكثير من عباراتها وكانها حكم سائرة وأمثال شاردة . ومنها : التصوير البارع للمعاني الهادفة إليها .

ومنها : جزالة عباراتها وشدة أسرها ، وتلاحم تراكيبها ، واصطفاء ألفاظها . ونفورها عن الوحشي أو الحوشي أو الغريب ، أو الإلتواء والتعقيد في عامة أجزائها . وهذا دليل قدرات أصحابها على التضلع من اللغة والتمكن من الأسلوب والإجادة في المعنى .

ومنها انها وليدة صفات الموصي التي كان يتحلّى بها : كالشجاعة ، والكرم ، والعزة ، والتدين ، والادب والشعر ، أو التحلل والتخفف مما ينبغي أن يتصف به الموصي من التمسك بالعقيدة ، وعدم التهاون بها ، ووصية الحطيئة المنسوبة إليه نموذج لهذا .

---

(٣٣) زهر الاداب ١/١٢٠ ـ ١٢١ . وانظر : العمدة ٢/١١٤ ـ ١١٥ ، والموازنة بين الشعراء للدكتور زكي مبارك ١٢٨ ـ ١٢٩ ، والبحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل . ومما قلناه فيه حول هذه الوصية :
(وأغلب الظن ان هذه الوصية لم تصدر عن أبي تمام ، لانها بعيدة كل البُعد في محتواها عن شعره وخصائصه ، فلو كانت صادرة عنه ، لكان هو أولى من غيره بتطبيق ما جاء فيها ويخيل إلينا انها وضعت بعد استقراء شعر البحتري ، لانها تمثل الى حد بعيد كثيراً من خصائص شعره التي عُرف بها) .

والملاحظ في أكثر هذه الوصايا شيوع التعليل لما يوصي به من الاخذ ببعض الامور ، أو تركها والابتعاد عنها ، وهذا دليل على التفكير الدقيق والتعليل العميق للموصي ، فهو لا يامر بالاخذ بنصائحه أو وصاياه ، ولا ينهي عن الابتعاد عنها من دون تسبيب كلا الامرين ، وهو تسبيب لا يمكن للموصى له إلا أن ياخذ به ، لما فيه من تعليل علمي وتجريبي لا ينفذ إليهما الشك ولا يدحضهما أو يضعفهما مخامرة ظن أو ريبة . وهذا أكبر دليل ، وأنصع حجة على ان أولئك الموصين قد بلغوا من الاتزان الفكري ، والنضج العقلي ، والاختمار التجريبي ، والفطنة للأمور ، ونفاذ البصيرة ، وبُعد المرمى ، وتصوّر المستقبل ما لم يبلغه الكثيرون من معاصريهم ومعايشيهم ، مما كان لوصاياهم الرائعة ، ونصائحهم الصائبة مكانة مرموقة في النفوس منذ آماد بعيدة .

ويبدو انها ستبقى أمثلة لا مثيل لها ، وصوى لائحة في طرق الهداية ، وإمارات شامخة في دنيا الخير والأمان والاحتراس والمستقبل ، لانها عصارة فكر نيّر وخلاصة تجربة مركزة ، ونفاذ بصيرة نبهة ، مما حمل الكثيرين من المؤلفين والمصنفين على تزيين مؤلفاتهم ، وتحلية مصنفاتهم بها .

المصادر والمراجع

- الاعلام ، لخيرالدين الزركلي ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٤٢ .
- الاغاني ، لابي الفرج ، مصور طبعة دار الكتب .
- أمالي المرتضى ، غرر الفوائد ودرر القلائد ، للشريف المرتضى ، تحـ / أبو الفضل ابراهيم ، ط ١ ، القاهرة ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .
- البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل ، ليونس أحمد السامرائي ، بغداد ، ١٩٧٠ .
- البيان والتبيين للجاحظ ، تحـ / عبدالسلام هارون ، ط ٤ ، القاهرة ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- جمهرة خطب العرب ، لاحمد زكي صفوت ، ط ١ ، ١٩٨٥ ، بيروت .
- ديوان المعاني ، لابي هلال العسكري ، بيروت ، ١٣٥٢هـ .
- زهر الآداب ، للحصري ، تحـ / د. زكي مبارك ، ط ٢ ، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م .
- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، لابن نباتة المصري ، تحـ / أبو الفضل ابراهيم .
- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، تحـ / أبو الفضل ابراهيم ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .
- العقد الفريد لابن عبد ربه ، بيروت ، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م .
- العمدة لابن رشيق ، تحـ / محيي الدين عبدالحميد ، ط ٢ ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣ مصر .
- لسان العرب لابن منظور .
- المعجم الوسيط لجماعة من العلماء .
- الموازنة بين الشعراء ، د. زكي مباركي ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

رسائل الشعراء في العصر العباسي بالمشرق

من المعروف ان فني النثر والشعر صنوان متلازمان قديمان ، ولا يُعرف على وجه الدقة والتيقن أيهما أسبق في الوجود ، إذ لم تتفق الآراء على ذلك[1] . ومعروف أيضاً ان الشعر برز وظهر على النثر في عصور أدبية معروفة ، وبالنسبة للشعر العربي ، فقد كان بروزه وظهوره ورجحان كفته على النثر طوال حقب عصر ما قبل الإسلام والعصر الإسلامي والأموي الى العصر العباسي . وكان الشعراء من الكثرة بحيث يصعب الإحاطة بهم ، في حين كان الكتّاب من الندرة بحيث يسهل تعدادهم وحصر أسمائهم .

ومن الواضح انه ـ على قلّة الكتّاب وندرتهم في العصور السالفة للعصر العباسي ـ لم يعانِ واحد منهم كتابة الشعر ، كما لم يعالج الشعراء تحرير الكتابة .

وتنعكس الآية منذ قيام الدولة العباسية فقد كثر من يعاني فن الكتابة ـ بسبب ما طرأ على الحياة من تطور شمل جوانبها المختلفة : العلمية والاجتماعية والثقافية والأدبية ، مما تطلّب إنشاء دواوين كثيرة متنوعة ، كان لكل واحد منها كاتب برأسه ، كما كان لكل ديوان فروع ممتدة في أقاليم الدولة الوسيعة ، وأهم هذه الدواوين ، ديوان الإنشاء أو

---

(١) انظر : أبحاث في الشعر العربي ، ٧ .

الرسائل ، الذي لم يكن يتسنمه إلا مَنْ رُزق قدرة أدبية ، وموهبة فنية ، وعلماً غزيراً[٢] ، فأصبح لذلك من الصعب إحصاء مَنْ كان ينتظم في سلك هذا الفن ، بل تعدّى ذلك الى معاناة الكثيرين الفنين معاً . فبرز النثر بروزاً طاغياً على صنوه الشعر ، وظهرت طبقات من الكتّاب مختصة بالكتابة الفنية ، لكل طبقة إمام يمثلها وأعداد من الكتّاب تنضوي تحتها[٣] . كما ظهرت فئة لم تقتصر على معاناة فن واحد ، وإنما وزّعت قدراتها العقلية ومواهبها الفنية في معالجة الفنين والبروز فيهما[٤].

وظهرت العناية بالنثر كذلك لدى الشعراء الكبار الذين لا يكادون يُعرفون إلا بكونهم شعراء ـ وهو ما لم يكن عليه الشعراء قبل هذا العصر ـ كما تقدم .

ولعل أصدق تعبير عن حالتي الشعر والنثر في العصرين الأموي والعباسي ، قول بعضهم : (إن كانت دولة بني أمية حلبة الشعراء ، فدولة بني هاشم حلبة الكتّاب)[٥] .

* * *

لقد أحسَّ القدماء بصعوبة الجمع بين الفنين والإجادة فيهما ، فقال ابن المعتز في العتابي : (كان العتابي مجيداً مقتدراً على الشعر عنب الكلام ، وكاتباً جيد الرسائل ، حاذقاً ، وقلّما يجتمع هذا لأحد)[٦] . وقال في أبي علي البصير : (وكان أبو علي كاتباً رسالياً ، ليس له في

---

(٢) أنظر : صبح الأعشى ١/٥٤ ـ ٥٧ .

(٣) أنظر : تاريخ الأدب العربي للزيات ، ٢١٦ ـ ٢١٨.

(٤) أمثال : العتابي ، ويحيى بن زياد وسعيد بن حميد ، وأبي علي البصير ، والحسن بن وهب ، وبديع الزمان ، والخوارزمي والصابي والمهلبي والصاحب بن عباد ...

(٥) أخبار أبي تمام ، ١٠٨ ـ ١٠٩ .

(٦) طبقات الشعراء ، ٢٦٢ .

زمانه ثان ، شاعراً جيد الشعر ، وقد قلنا في أخبار العتابي : ان هذا قلّما يتفق للرجل الواحد ، لأن الشعر الذي للكتّاب ضعيف جداً ، وكتابة الشعراء ضعيفة جداً ، فإذا اجتمعا في الواحد فهو المنقطع القرين)[٧] .

ونرى بعد هذا التمهيد الموجز الوقوف عند فن الرسائل الذي هو جزء من فن الكتابة الكبير لننطلق منه الى ما نريده في هذا البحث . جاء في صبح الأعشى في الفصل الثاني من الباب الأول من المقالة العاشرة في الرسائل :

(وهي جمع رسالة ، والمراد فيها أمور يرتبها الكاتب : من حكاية حال من عدوّ أو صيد ، أو مدح وتقريض ، أو مفاخرة بين شيئين ، أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى .

وسمّيت رسائل من حيث ان الأديب المنشىء لها ربما كتب بها الى غيره مخبراً فيها بصورة الحال ، ومفتتحة بما تفتتح به المكاتبات ، ثم تُوسّع فيها فافتتحت بالخطب وغيرها .

ثم الرسائل على أصناف :

الصنف الأول منها : الرسائل الملوكية ، وهي على ضربين :

الضرب الأول (رسائل الغزو وهي أعظمها وأجلّها) .

الضرب الثاني من الرسائل الملوكية : رسائل الصيد) .

الصنف الثاني من الرسائل ما يرد مورد المدح والتقريض)[٨]

---

(٧) نفسه ، ٣٩٨ .

(٨) تمثل القلقشندي برسالة للجاحظ أسماها رسالة الشكر وجهها الى (...) المتوكل ، ١٤/١٧٣ ، كما تمثل برسالة للمعري ـ سنتحدث عنها ـ أسماها (الإغريضية) وجهها الى أبي القاسم الحسين بن علي المغربي ، ١٤/١٨٢ .

الصنف الثالث من الرسائل : المفاخرات ، وهي على أنواع :
منها : المفاخرة بين العلوم ، ومنها المفاخرة بين السيف والقلم .
الصنف الرابع من الرسائل : الاسئلة والاجوبة ، وهي على ضربين :
الضرب الاول : الاسئلة والاجوبة[٩] .
الصنف الخامس من الرسائل ما تُكتب به الحوادث والماجريات)[١٠] .

إن ما ذكره القلقشندي أو أكثره يقع في صلب عنوان بحثنا هذا . غير اننا سنقتصر هذه الرسائل أو الحديث عنها على ما أثر للشعراء الذين عُرفوا بالشعر أو الشهرة فيه أكثر مما عُرفوا بمعاناة النثر أو كتابة الرسائل .

ومعلوم ان هناك غير واحد من مشاهير الشعراء أو الذين طغي الشعر على نتاجاتهم عانى كتابة الرسائل الى جانب معاناته الشعر ، ولكنهم لم يُعرفوا إلا بالشعر لبراعتهم فيه وطغيانه على الفن الثاني وهو النثر أو الرسائل .

وأحسّ بعض الادباء بهذا ، فقال وهو يقدم كتاب (رسائل الصابي والشريف الرضي) :

(' ... ولقد عرف الناس للصابي رسائله ، ولكنهم لم يعرفوا ، على الاغلب ، للشريف إلا شعره ، فلقد طغى شعره العذب ، المطبوع على

---

(٩) جاء في صبح الاعشى ، ٢٤٠/١٢ : (قد جرت عادة مشايخ الادب وفضلاء الكتّاب انهم يكتبون الى الافاضل بالمسائل يسألون عنها ، أما على سبيل الاستفهام واستماحة ما عند المكتوب اليه في ذلك . وأما على سبيل الامتحان والتعجيز ، ثم تارة يُجاب عن تلك الاسئلة باجوبة فتُكتَب ، وتارة لا يُجاب عنها ، بحسب ما تقتضيه الحال) .

(١٠) أنظر : صبح الاعشى ، ١٤ - ١٣٨ - ٢٥١ ، حيث فصّل المؤلف الحديث في أصناف الرسائل .

سائر انتاجه ، وهذا الكتاب سييسّر للناس عرفان جانب ذي شأن من أدب الرضي الواسع)[١١] .

وعلى هذا فسننحّي ما أثر لكثير ممن عانى الشعر والنثر من هذه الرسائل عن هذا البحث لأنهم عرفوا بالكتابة أكثر من عرفانهم بالشعر على الرغم من معاناتهم له .

إننا نريد برسائل الشعراء ما أثر لهم من هذه الرسائل النثرية لا الشعرية ، لأن هذا الضرب الثاني من الرسائل يمثل جانباً كبيراً ومهماً بالقياس الى الضرب الأول ، فقد اثر للشعراء رسائل شعرية أو مراسلات شعرية تضرب في أعماق سحيقة من عمر شعرنا العربي ، كما كثرت وتشعبت على مدى العصور الأدبية .

حتى أصبحت من حيث الكم والنوع تشكّل موضوعاً كبيراً أو بحثاً مستفيضاً لمَنْ يبغي ذلك[١٢] .

وان ما تجمّع لدينا من رسائل الشعراء النثرية يختلف من حيث طول هذه الرسائل وكثرتها ، فبعضها لا يتعدى السطر الواحد ، وبعضها يقع في أسطر ، وبعضها يستغرق صفحات ، ويمتد بعضها الآخر ليؤلّف كتاباً كبيراً .

واثر لبعض الشعراء رسالة واحدة ، وجُمعت رسائل بعضهم فشكلت ديوان رسائل . ولحظنا ان هذه الرسائل النثرية وقف على الشعراء العباسيين ، إذ لم نقف على رسالة لشاعر قبل هذا العصر . وان هذه الرسائل العباسية تتميز بصفات أو سمات تكاد تحاكي أو تمثل سمات كتابة طبقات الكتّاب الأربع المعروفة في العصر العباسي . وان هذه

---

(١١) رسائل الصابي والشريف الرضي ـ التصدير .

(١٢) في النية كتابة بحث أو تأليف كتاب في هذا الضرب من الرسائل الشعرية ، وتجمّع لدينا نماذج كثيرة جداً على مدى العصور الأدبية ، وسنجهد بعون الله تنفيذ ما كنا نويناه .

الرسائل متنوعة الأغراض ، فهي تندرج ضمن الفنون النثرية التي تحدث عنها القلقشندي ـ كما تقدم .

وسنتحدث عن هذه الرسائل بحسب التسلسل الزمني الذي جاءت فيه ، مع ملاحظة ما انتابها من تطور في أساليبها ولغتها وخصائصها الفنية .

ولعل من أوائل ما يطالعنا من رسائل الشعراء في العصر العباسي ، رسائل يحيى بن زياد الحارثي[١٣] ، الذي اشتهر بكونه شاعراً معروفاً يكاد يطغى الشعر على أدبه دون سواه . ولكن رسائله التي جمعها في ديوان خاص بها مفقودة لم يصل إلينا منها سوى رسالتين إخوانيتين[١٤] ، ردَّ فيهما على رسالتي ابن المقفع وأبي نصر الرقاشي ، وهما في إبتداء الإخاء ، وقد أشادتا بصفات يحيى وطيب طبعه وكريم خلقه[١٥] .

ويقع جواب رسالته على رسالة ابن المقفع في صفحتين ونصف ، وعلى رسالة الرقاشي في أربع صحائف ونصف .

فمما جاء في الأولى قوله :

(أما بعد ، فإنا لمّا رأينا موضع الإخاء ممن يحتمله في تأنيسه من الوحشة ، وتقريبه لذي البعدة ، ومشاركته بين ذوي الأرحام في القربة . لم نرضَ بمعرفة عينه دون معرفة نسبته ، فنسبنا الإخاء فوجدناه في نسبته لا يستحق اسم الإخاء إلا بالوفاء ، فلما انتقلنا عنه

---

(١٣) شاعر أديب ظريف مترسل ، توفيَ قبل سنة ١٦٦هـ . (أنظر : كتابنا ـ دراسات في الشعر والشعراء) ، ١٠٤ وما بعدها .

(١٤) مما يجدر ذكره ان هناك رسالة مطولة منسوبة الى يحيى بن زياد في تقريظ (الرشيد) ، شككنا في صحة نسبتها اليه بسبب عدم إدراكه خلافة الرشيد

(١٥) الرسالتان في جمهرة رسائل العرب ، ٣/٦٤ ـ ٦٦ ، ٦٩ ـ ٧١ .

الى الوفاء فنسبناه ، انتسب لنا الى الصبر ، فوجدناه محتوياً على الكرم ، والنجدة ، والصدق ، والحياء ، والنجابة ، والزكانة ، وسائر ما لا يأتي عليه العدد من المحامد ...

وقد فهمت كتابك إليّ بالمودّة ، واستحثاثك إياي في الاخوة ، وما دنوت به من حرمة المحبة ، فنازعت إليك نفسي بمثل الذي نازعتْ به إليّ نفسك ، فواثبتني عادة الاستعمال للتروية في الخبرة ، والتخيّر للمغبة ، فجلت عن كتابك جولة غير نافرة ، ثم راجعت مقاربتك ، فقلت : ألقى إليّ أسباب المودة قبل كشف الغطاء بالخبرة فخشيت أن تعذر نفسك بالتقدم ، وتُحدث الزهادة للتعسف بالجهالة عند الخبرة ، فجلت عن هذا جولة كالجولة الاولى ، ثم عاودت إسعافك ، وطاعة التشوق ومعصية التخيّر ...

وأنهى الرسالة بقوله :

(وأول ما أنا معتبر به منك المواظبة على استنجاح ما سألت أو السآمة له ، فإن كانت المواظبة فأحد الشهود المعدّلين ، وإن كانت السآمة ، فأنت عن حمل ما تعطى أضعف منك عن حمل ما تطلب ، طالعْني بكتبك ، فإنك قد حللت قبلي عقداً من التحفظ ، وعقدت عقداً من التقرب ، والسلام)[16] .

ومما جاء في الثانية قوله :

(أما بعدُ ، دفع الله عنا وعنك ما نكرهه بالنعم السوابغ ، ووقانا وإياك الامور المشتبهة بالكرامات الظاهرة ، والأيادي المترادفة ، حتى يزول القضاء بنا وبك الى ما نحب ونرضى ، فانك كتبت إليّ تذكر منزلة الادب في المتأدبين ، ورأيتك ترغب الى الإكثار والترديد ...

إن التاديب بيني وبينك غير منكر عندي وعندك ، وان حملناه على قعود العنف كان كافياً لك من جميع صفات تعظيم الادب أن تقول : لولا

---

(١٦) جمهرة رسائل العرب ، ٣/٦٧ - ٦٩ .

الادب سقط اسم المتادبين ، وإذا سقط (اسم المتادبين)[١٧] غلب اسم الجاهلين ، وإذا غلب اسم الجاهلين عُصِيَ الخالق ، وفسدت الدنيا ومَنْ فيها ...) .

وقوله في خاتمة الرسالة :

(واني قد علمت ان كل ذي عقل ذو حاجة ، وان الاعقل فالاعقل الاحوج ، فالاحوج ، والاستفادة فيما مضى غير مُضرّة بما يستفيد فيما يستقبل ، وان بعض ذلك اتكال على بعض ، غير مضرّ به ، ولا ناقضٍ له ، ولا مسيء الثناء عليه ، فافهم) .

وواضح ان ما تمثلنا به من الرسالتين ينطوي على ردّ بليغ ، عالي الأسلوب ، وعلى هذا فإذا جاز للباحث ان يستخلص من رسالتين خصائص اسلوب الكاتب ، فمن الممكن القول :

إن يحيى كان في طليعة الطبقة الأولى من كتّاب العصر العباسي التي تمتاز كتاباتهم : (بتنوع العبارة ، وتقطيع الجملة ، والمزاوجة بين الكلمات ، وتوخي السهولة ، والعناية بالمعنى ، والزهد في السجع)[١٨] .

* * *

ومن رسائل الشعر المعروفة ، رسالة ابراهيم بن سيابة[١٩] في

---

(١٧) ما بين القوسين ليس في النص ، ولعل الاصل ما أثبتناه بدليل ما بعده .

(١٨) أكثر هذا الكلام منقول من كتابنا (دراسات في الشعر والشعراء ، ١٢٨ - ١٣١) .

(١٩) جاء في الاغاني ، ٨٨/١٢ : (ابراهيم بن سيابة مولى بني هاشم ... وهو من مقاربي شعراء وقته ، وليست له نباهة ولا شعر شريف ، وإنما كان يميل بمودته ومدحه الى ابراهيم الموصلي وابنه اسحاق ، فغنيا في شعره ورفعا منه ، وكانا يذكرانه للخلفاء والوزراء ويذكّرانهم به إذا غنّيا في شعره ، فينفعانه بذلك ، وكان خليعاً ماجناً ، طيّب النادرة ، وكان يرمي بالابنة) . ويبدو انه اتصل بالفضل بن الربيع وغيره من رجال الدولة .

استعطاف أحدهم التي يقول فيها :

(للأصيد الجواد ، الواري الزناد ، الماجد الأجداد ، الوزير الفاضل ، الأشم الباذل ، اللباب الحُلاحل ، من المستكين المستجير ، البائس الضرير ، فاني أحمد الله ذا العزّة القدير ، إليك والى الصغير والكبير ، بالرحمة العامّة ، والبركة التامّة .

أمّا بعد ، فاغنم واسلم ، واعلم إن كنت تعلم ، انه مَنْ يَرحَم يُرحَم ، ومَنْ يَحرِم يُحرَم ، ومَنْ يحسن يغنم ، ومَنْ يصنع المعروف لا يعدم ، وقد سبق إليّ تغضبّك عليّ ، واطّراحك لي ، وغفلتك عني بما لا أقوم له ولا أقعد ، ولا أنتبه ولا أرقد ، فلست بذي حياة صحيح ، ولا بميت مستريح ، فررت بعد الله منك وإليك ، وتحمّلت بك عليك ، ولذلك قلت :

أسرعتْ بي حثّاً إليك خطائي
فأناخت بمذنب ذي رجاءِ

راغب راهب إليك يرجّى
منك عفواً عنه وفضلَ عطاءِ

ولعمري ما مَنْ أصرّ ومَنْ تا
بَ مقرّاً بذنبه بسواءِ

فإن رأيت ـ أراك الله ما تحب ، وأبقاك في خير ـ ألا تزهد فيما ترى من تضرّعي وتخشّعي ، وتذلّلي وتضعّفي ، فان ذلك ليس مني بنحيزة ولا طبيعة ، ولا على وجه تصيّد ، وتصنّع وتخدّع ، ولكنه تذلّل وتخشّع وتضرّع ، من غير ضارع مهين ولا خاشع لمَنْ لا يستحق ذلك ، إلا لمَنْ التضرّع له عزّ ورفعة وشرف والسلام)[٢٠] .

---

(٢٠) البيان والتبيين ، ٢١٥/٣ ـ ٢١٦ . والمستعطف هو يحيى بن خالد ابن برمك .

ومهّد الجاحظ لهذه الرسالة ، بقوله : (ويلغني ان عامّة أهل بغداد يحفظونها في تلك الايام)[٢١] .

وعلّق بعض المحدثين على هذه الرسالة قائلًا : (ويقول الجاحظ ان عامة أهل بغداد كانوا يحفظون هذه الرسالة ، إعجاباً ببلاغتها[٢٢] ، وهي بلاغة تردّ الى ما أجرى فيها ابن سيابة من هذا السجع الرشيق الذي يدل بوضوح على ان العبارات كانت طيعة على لسانه ، بحيث يتصرف فيها كما يريد دون ان يستعصي عليه منها شيء حتى مع ما اختاره لها من ممرّات السجع ودروبه الضيقة)[٢٣] .

والرسالة ـ كما نرى ـ على الرغم من بلاغتها تنطوي على تذلّل مشين ، وخنوع لا يمكن أن يصدر إلا عن نفس ضعيفة مهينة ، ولعل له عذراً في ذلك ، إذا ما تذكّرنا ان هذا الرجل المستعطف قد استحوذ هو وأسرته على أهم مفاصل موارد الدولة ومرافقها الحيوية ، واستغلوا نفوذهم أقبح استغلال في إفساد ذمم الناس ، ومنهم بعض الشعراء والأدباء أمثال هذا الشاعر الذي مرّ نعت أبي الفرج له بما يحطّ من كرامة الإنسان ورجولته .

* * *

ولأبي العتاهية[٢٤] رسالة تترجح بين العتاب والنم بعث بها الى الفضل بن معن بن زائدة ، آملًا سدّ خلّته ، وراجياً الغنى ، ولكن ظنه خاب

---

(٢١) نفسه ، ٢١٥/٣ .

(٢٢) (اعجاباً ببلاغتها) لم يرد في نص الجاحظ .

(٢٣) العصر العباسي الاول ، ٤٩٥ ـ ٤٩٦ .

(٢٤) توفيّ سنة ٢١١هـ (الاعلام : ٣١٩/١) .

فلم ينل ما ابتغاه ولا أحسن اختيار مَنْ توسّل إليه بأسباب الامل ونرائع الحمد ، ولهذا قسّم اللوم في خيبته هذه بين نفسه وبين مَنْ رجاه وأمّله ، وشفع الرسالة بأبيات هي الى الذم أقرب منها الى أي شيء آخر . فقال :

(أما بعدُ ، فاني توسّلت في طلب نائلك بأسباب الامل ، ونرائع الحمد ، فراراً من الفقر ، ورجاء للغنى ، فازددت بهما بُعداً مما فيه تقرّبت ، وقُرباً مما فيه تبعّدت ، وقد قسمتُ اللائمة بيني وبينك ، لأني أخطأتُ سؤالك وأخطأتَ في منعي ، أمرتُ باليأس من أهل البخل فسألتهم ، ونُهيتَ عن منع أهل الرّغبة فمنعتَهم وفي ذلك أقول :

فـررتُ من الفقـر الـذي هـو مُـدركي
الى بُخـل محظـور النّـوال مَنُـوعِ

فــاعقبَني الحِـزمـانَ غِبُّ مَطـامعي
كـذلـك مَنْ تلقـاهُ غيـرَ قَنُـوعِ

وغيـرُ بديـعٍ مَنْـع ذي البخـلِ مـالـهُ
كمـا بَـذْلُ أهـل الفضـل غيـرُ بَـديـعِ

إذا أنتَ كشّفت الـرجـالَ وجـدتَهم
لاعــراضهم من حــافظٍ ومُضيــعِ[٢٥]

* * *

وممن أثرت له رسائل يغلب عليها القصر كلثوم بن عمرو العتابي[٢٦] ، وكان مشهوداً له بالبراعة في الفنين ، وهو أمر نادر بين

(٢٥) العقد الفريد ، ٢٣٦/٤ - ٢٣٧ . وانظر : جمهرة رسائل العرب ، ٥١٠/٣ - ٥١١ .

(٢٦) أنظر : جمهرة رسائل العرب ، ٤٧٤/٣ - ٤٧٧ . كانت وفاته في سنة ٢٢٠هـ (الاعلام ٨٩/٦) .

مُجيدي الفنين في وقت واحد ، كما تقدم . وأطول رسالة له هي التي بعث بها الى صديق له يشكو فيها فاقته ، فهي تندرج ضمن الرسائل الإخوانية .

بدأها بالدعاء للمرسل إليه ، ونعته بالكرم والأريحية والمروءة ، ووصف أسباب ما نزل به من فاقة وحاجة ، بسبب جدب السنة ، وانقطاع روافد الخير ، وألمحَ الى فقدانه صالح الإخوان ، ومَنْ يلتجيء إليه في هذه الشدة ، ولهذا انتجعه وعلّق أمله به ، مع انه شديد الشفقة عليه ، لما سيقدمه له من معونة مع علمه بأريحيته ومروءته وأهليته لمثل هذه الامور ، وانه ينزله من نفسه منزلة الاهل ، ويحثّه على الإعطاء ، ولو كان قليلًا . وختم الرسالة بأبيات إدعاها لنفسه وهي لسواه[٢٧] ، تندرج في معنى الرسالة . فقال :

(أما بعدُ ، أطال اللّه بقاءك ، وجعله يمتدّ بك الى رِضوانه والجنّة ، فإنك كنت عندنا روضةً من رياض الكرم ، تبتهجُ النفوسُ بها ، وتستريح القلوبُ إليها ، وكنا نُعفيها من النُّجعة استتماماً لزهرتها ، وشفقةً على خُضرتها ، وادّخاراً لثمرتها ، حتى أصابتنا سَنة كانت عندي قطعةً من سني يوسف ، واشتد علينا كَلَبُها ، وغابت قِطّتُها ، وكذبتْنا غُيُومُها ، وأخلفتْنا بُروقُها ، وفقدْنا صالحَ الإخوان فيها ، فانتجعتك وأنا بانتجاعي إياك شديدُ الشَّفقة عليك ، مع علمي بانك موضع الرائد ، وأنك تغطّي عينَ الحاسدِ ، واللّهُ يعلم أني ما أعُدُّك إلّا في حَوْمة الاهل . واعلم ان الكريم إذا استحيا من إعطاء القليل ، ولم يُمكنه الكثير ، لم يُعرف جودُه ، ولم تظهر همّته ، وأنا أقول في ذلك :

---

(٢٧) الابيات لبشار بن برد وهي في ديوانه ، ١٢٧/٣ - ١٢٩ . وهي في هجاء العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس أخي الخليفة أبي جعفر المنصور .

ظِـلُّ اليَســار على العبَّـاس ممـدودُ
وقلبُــهُ أبـداً بـالبخـلِ معقـودُ
إنَّ الكــريمَ ليُخفي عنـك عُسـرتَـهُ
حتى تـراه غنيـاً وهـو مجهـودُ
وللبخيــل على أمــوالــه عِلَـلٌ
زُرْقُ العُيـونِ عليهـا أوجُـهُ سـودُ
إذا تكــرّمْتَ عن بـذل القليـل ولم
تَقِـدرْ على سَعَـةٍ لم يظهـر الجـودُ
بُثَّ النــوالَ ولا تمنعـك قِلّتُـهُ
فكلُّ مـا سَـدَّ فقـراً فهـو محمـودُ [28]

والرسالة تنطوي على خصائص فنية تتمثل بالإيجاز ، وروعة المعاني[29] ، والمزاوجة وقصر العبارات ، ودقة الوصف ، وخلوها من الحشو أو التكرار ، وزهدها بالتحسينات اللفظية ، مما يجعلها تندرج ضمن الطبقة الأولى من طبقات كتّاب هذا العصر ، الذي سبقت الإشارة إليها . ولعل هذه الميزات كلها هي التي حملت المرسل إليه ان (شاطره ماله حتى أعطاه إحدى نعليه ونصف قيمة خاتمه)[30] .

وواضح ان هناك فرقاً كبيراً بين ما تنطوي عليه هذه الرسالة من التماسك في شخصية الكاتب ، وعزة نفسه وبين رسالة ابن سيابة التي تنطوي على التذلل المهين ، وانحلال شخصية صاحبها ، وهذا بدون شك راجع الى أكثر من سبب ، وفي مقدمة الاسباب سنخ الرجل ، وأثيل

---

(٢٨) جمهرة رسائل العرب ، ٣/٤٧٥ ـ ٤٧٧ .
(٢٩) أنظر : العصر العباسي الاول ، ٤٩٦ .
(٣٠) جمهرة رسائل العرب ، ٣/٤٧٧ .

محتده ، وكريم نشأته ، وأصالة أرومته ، وهو ما افتقده ابن سيابة .

ومن رسائله التي تندرج في نطاق رسالته الاولى هذه الرسالة القصيرة التي كتب بها الى بعض إخوانه ، وهي تنمّ عن مقدرة كتابية فائقة تضاهي كتابة كبار كتّاب العصر ، إن لم تطاولها وتظهر عليها في وفرة معانيها وأسر أسلوبها ، وقوة بلاغتها .

(لو اعتصم شوقي إليك بمثل سُلوِّك عني ، لم أبذُل وجهَ الرغبة إليك ، ولم أتجشّم مرارة تماديك ، ولكن استخفتنا صبابتُنا ، فاحتملنا قسوتك ، لعظيم قدر مودّتك ، وأنت أحقُّ مَنْ اقتصَّ لصِلتنا من جفائه ، ولشوقنا من إبطائه)[٣١] .

* * *

ومن الرسائل الإخوانية ، الرسالة المنسوبة الى علي بن الجهم[٣٢] التي كتب بها الى بعض إخوانه لمّا سيِّر الى خراسان[٣٣] ، على لسان غلام له ، كما يقال .

بدأ الرسالة بأن ما جرى له كان بقضاء الله وتقديره ، فهو المحيط بكل شيء علماً ، والجاعل لكلٍّ قدراً ، وان من أسباب قدره تسهيل الشعر له بعد صاحبه المكتوب إليه الذي عن طريقه يخاطب الشاهد ، ويكاتب الغائب ، ويحتذي به ويستزيد ، ويبلغ ما يريد ، ويؤنسه في وحشته ، ويطيعه في عصيانه ، وهو ـ أي الشعر ـ بليغ الخطبة ، جميل العشرة ،

---

(٣١) نفسه ، ٣/٤٧٤ . وانظر مثالاً آخر في المصدر نفسه .

(٣٢) توفي سنة ٢٤٩هـ ، (ديوانه ، المقدمة ، ١٧) .

(٣٣) كان ذلك في سنة ٢٣٩هـ حين اشتد غضب المتوكل على الشاعر بسبب سعاية الوشاة المحيطين بالخليفة الذين كانوا يعادون ابن الجهم ، بسبب اعتقاده وتعصبه فيه . وكان الوالي على خراسان في ذلك الوقت : طاهر بن عبدالله بن طاهر . أنظر : تفصيل هذا ديوان علي بن الجهم ، المقدمة ، ١٢ ـ ١٤ .

كريم الصحبة .. وقد أتحفه ببعضه الذي يجدد عنده ذكره ، ويعرف به خبره ، وهو شعر قاله في مقام واحد ، لم يزل يعجب به وسيصف له المقام ليحمد الله عليه .

ويصف الشاعر حاله عند وصوله المدينة (نيسابور) وقصده باب أميرها ، وقد احتشد له الناس ، وكان يتوقع أن يكثر الداعون عليه ، ويظهر الشامتون به ؛ لانه كان في حال لم يحمل على مثلها بعض كبار الخارجين على الخلافة ، أمثال : بابك الخرّمي والمازيار ، غير ان ما توقعه من الاذى والتشهير لم يكن له وجود بسبب مظهره الجميل ، وقديمه المعروف ، ومساعيه التي لا تنقم ، وبسبب ضآلة الذنب الذي اتهم به ، فانقلب الحال من الدعاء عليه الى الدعاء له ، ومن الشماتة به الى الضراعة بخلاصه ونجاته . قال :

(أمّا بعدُ ، فإن الله إذا أراد أمراً جعل له من قضائه سبباً يجري بعلمه . وينتهي الى قدَره ، لا إله إلّاهُ ، أحصى كل شيء عدداً ، وأحاط بكل شيء علماً ، وجعل لكلِّ قدَراً ، ومن أسباب قدره أن سهّل لي بعدك من الشعر ما أخاطب به الشاهد وأكاتب الغائب ، وأجتدي به وأستزيد ، وأبلغ ما أريد ، وهو يؤنسني إذا أوحشتُ ، ويطيعني إذا عُصيتُ ، ويصدع عني إذا سكت ، بليغُ الخطبة ، جميلُ العشرة ، كريم الصحبة ، يَرِد الاندية ، ويلجُ الاخبية ، سائراً في البلاد ، مسافراً من غير زاد ، راضياً إنْ رضيتُ ، مؤذياً إن أوذيتُ ، جازياً بما أوليتُ ، باقياً إذا أُفنيتُ ، معترضاً في الاسمار ، عالماً بالاخبار ، ومعزّياً عن الاوتار . يحضر إن غبتُ ، ويجسرُ إن هِبتُ ، ولا يُحظَرُ بالحَظْرِ ، ولا يوزَعُ بالزُّجر ، إذا قُيّدَ رَتك ، وإذا أُغمِدَ بَتَكَ ، وإذا جُرِّدَ فَتَكَ ، يلقح به الغَزِلُ ، ويُعلّلُ به الثّمِلُ ، ويأنسُ به الوجِلُ ، وقد اتحفتك منه ببعض ما يجدّد عندك ذكرنا ، وتعرف به خبرنا ، وهو شعر قلته في مقام واحد لم أزل أعجب منه ، وساصف لك المقامَ لتحمد الله تعالى عليه :

لما كان اليوم الذي وردنا نيسابور ، وقصدنا باب الامير ، وقد احتشد الناس ، وكان من قدّر ذلك يتوهمُ مع الخبر الشائع الذي عملنا له أنّ الداعي علينا سيكثرُ ، وأنّ الشامت بنا سيظهرُ ، إذ كنا في حال لم يُحمل على مثلها بابك ولا المازيار ، وما منهما إلا قد رأينا ، فبينا الناسُ كذلك إذ أقبل به في محمل قليل الوطاء ، مسلوب الغطاء ، فلمّا توسطنا الجماعة ، ونظروا إليه ، فلم يكن في ظاهره ما تسمجُ ، ولا في قديمه ما يُنكر ، ولا في مساعيه ما يُنقم ، ولا في قدرِ الذنب الذي نكر انه فعله ما يبلغ به ذلك عند الناس ، وجد الولَيّ الى الدعاء له بالخير سبيلًا ، وساعده مَنْ حضر ، وارتجّ الجميعُ بالدعاء له ، فصار ما نعى عليه معونةً له ، وأبى الله تعالى ، المحسنُ إلينا ، أن يسلبه الستر الجميل إذ سلبه الآدميون الغطاء ، وألا يزيلَ نعمه إذ زال كل ما كان فيه ، وألا يجعل لأعدائه الى الشماتة به سبيلًا . والسلام)[٣٤] .

إن ما تمتاز به هذه الرسالة من سمات تدرجها ضمن الطبقة الثالثة من طبقات الكتّاب في العصر العباسي ، فهي قصيرة الجمل ، مسجوعة في أغلبها ، حتى تكاد تقرب من الشعر ، والسجع هذا فيها يتراوح بين الجملتين أو ثلاث جمل . وعنى المرسل في اتزان أكثر جمله ، كقوله مثلًا : (وهو يؤنسني إذا أوحشت ، ويطيعني إذا عصيت ، ويصدع عني إذا سكنت ، بليغ الخطبة ، جميل العشرة ... يحضر إن غبت ، ويجسر إن هبت ...) .

* * *

ومن عُرفت له رسائل تدل على الجودة والبراعة أبو عليّ البصير[٣٥] ، فقد وقفنا على ثماني رسائل له تكاد تنحصر في فن

---

(٣٤) البصائر والذخائر ، ٢/٥٩٦ - ٥٩٨ .

(٣٥) أحد الشعراء المعروفين ، توفي سنة ٢٥٨هـ . (أنظر : شعراء عباسيون ، ٢/١٧٥ - ١٧٧) .

الإخوانيات ، إذ كان أغلبها موجهاً الى بعض الادباء أو إخوانه من معاصريه أو بعض الوزراء ، وهي في الاعتذار والشكر والتعزية والهجاء والظرف[٣٦] ، منها رسالته في شكر أحد الوزراء التي جاءت على هذه الشاكلة :

(بسم الله الرحمن الرحيم :

أوجبُ المعروف شكراً ، وأحسنه عند الاحرار موقعاً ، معروفك عندي ، وذلك أنك تطوعت به مبتدئاً ، وشفعت ما تقدم منه متفضلًا ، عن غير كدّ لي ألزمك دَيناً ، أو أوجب عليك حقاً ، ثم يقطعني عن الاخذ بحظي من لقائك ، وتعريفك ما أنا عليه من شكر إنعامك ، والانتساب الى نعمتك ، وإفرادي إياك بالتاميل دون غيرك ، تخلّفي عن منزلة الخاصة ، ورغبتي عن مشاركة العامة ، واني لست معتاداً للخدمة ، ولا الملازمة ، ولا قوياً على المغاداة والمراوحة ، فلا يمنعنك ارتفاع قدرك ، وعلوّ منزلتك ، وما تُعاني من جلائل الامور التي تشغل عمن قدمتْ حرمته ، ووجب حقه ، ونسيَ أن يذكّر بنفسه من ان تتطول بتجديد ذكري وخبري ، والإصفاء الى مَنْ يحثك على وصلي وبرّي ، ويرغّبك في الصنيعة عندي ، وأنا أسأل الذي وهب ذلك منك بغير سعي مني له ، ولا نَصَب كابدته فيه ، يُنسِيء لك ولكافة الاحرار في أجلك ، وان يمنّ عليك بحياطة نعمتك ، وكبتْ عدوك ، والزيادة في القوة لك ، ولا يُخلى مكانك منه ، والله يعلم اني لا أحب أن أتحمّل مِنّةً إلا لك ، ولا أعتدّ عارفةً مذكورة إلا منك)[٣٧] .

ومنها : رسالته في الشكر والامتنان والاعتذار الى أحد مَنْ كان يألفه من رجال الدولة ممن كان يعطف عليه ويحدب ، وكان أبو علي بارعاً

---

(٣٦) أنظر : شعراء عباسيون ، ١٧٩/٢ .

(٣٧) شعراء عباسيون ، ٢٠٢/٢ - ٢٠٣ .

في هذا الفن ، أي فن الاعتذار الذي قلنا عنه في دراستنا له :

(ويبدو ان أبا علي كان له باعٌ طويل في طرائق الاعتذار والاستعطاف ، يعرف كيف يستدرج المعتذر إليه ويدخل الى نفسه الرضا والقبول ، ويستل منها السخائم والاحقاد ، جاء في صبح الاعشى في باب الاسترضاء والاستعطاف والاعتذار ما ينبغي أن يسلكه الكاتب في هذا الشأن ، نرى من المفيد الاستئناس به قبل أن نسوق أمثلة لابي علي في ذلك : (قال في مواد البيان : المكاتبة في إستعطاف الرؤساء ، وملاطفة الكبراء وما أسلفوه من مرعى الخدم ، وما يتبع هذا من التنصل والاعتذار الذي يسلّ السخائم من القلوب ، ويستنزل الاوغار من الصدور ، ويطلع الأنس وقد غرب ، ولها موضع في تاليف الكلام .

قال : وينبغي للكاتب ان يستعمل فيها فكره ، ويوفيها حقها من جودة الترتيب ، واستيفاء المعاني ، وأن يذهب الى استعمال الالفاظ الجامعة لمعاني العذر الملوّحة بالبراءة مما قرف به ، ولا يخرج لفظه مخرج مَنْ يقيم الحجة على براءة الساحة مما رمى به ، فان ذلك مما يكرهه الرؤساء ، لأن عادتهم جارية بإيثار اعتراف الخدّام لهم بالتقصير والتفريط والإخلال بالفروض : ليكون لهم في العفو عند الاعتذار الإقرار عارفة توجب شكراً مستانفاً ، فاما إذا أقام التابع الحجة على براءته وسلامته مما رفع عنه ، فلا يوضع الاحسان إليه في إقراره على منزلته ، والرضا عنه والاستعطاف ، بل ذلك واجب له ، في منعه منه ظلم) .

واستشهد القلقشندي في جملة ما استشهد في هذا الباب برسالة للبصير يعتذر فيها الى أحدهم :

(النعمة شفيع صدق عند وليّها ، تقتضيه رِبابتها والزيادة فيها ، والمحافظة عليها ، وإرغام أعدائها وحسّادها الملتمسين لإفسادها وإزالتها ، والإغضاء على ما يُغضى الحرّ على مثله في استتمامها ، سيما إذا كانت عند أهلها ، وفي موضعها ومحلها ، وكان المقلد لها مَنْ

يقوم بشكرها ونشرها ، ويشيد بذكرها ، ويستفرغ المجهود من نفسه في شكرها ، ويعطيها ما يجب لها من الاعتراف بها ، والانتساب إليها ، والمحاماة عليها ، وأنا أحد مَنْ أسكنته ظلك ، وأعلقته حبائلك ، وحبوته بلطيف برّك وخاصّ عنايتك ، فانتصفت بك في الزمان ، واستغنيت بك عن الإخوان ، فأنا لا أرغب إلا إليك ، ولا أعتمد إلا عليك ، ولا استنجح طلباً إلا بك ، والله أسأل البقاء لك ، ودوام عزك وعزّنا بك ، وحراسة النعمة عندك وعندنا فيك .

وكان فرطَ مني إن تأولته لي أراك وجه عذري ، وقام عندك بحجتي ، وأغناني عن توكيد الإيمان على حسن نيتي ، وان تأولته عليّ ـ وبالله أعوذ من ذلك ـ الحق بي لائمتك ، وجنى على حالي ومنزلتي عندك ، وقد أتيتك معترفاً بالزلّة ، مستكيناً للموجدة ، عائذاً بالصفح ، والإقالة ، فإن رأيت ألا تقر عيناً قذيت بنعمتك عندي ، ولا تسلبني منها ما ألبستني ، وان تقتصر من عقوبتي على المكروه الذي نابني بسبب عتبك ، وتأمر بتعريفي من رأيك ما يطامن حشاي ، وتسكن إليه نفسي ، ويأمن به روعي ، فعلت إن شاء الله تعالى)[٣٨] .

أما رسائله في أبي العيناء فتميزت بالطول والدعابة التي قد تميل الى الثلب والهجاء القاسي ، وقد أودعها كل ما لديه من فنون البلاغة ، فجاءت نماذج تكاد تكون نادرة في الأدب ، ولطرافة هذه الرسائل أو المكاتبات نرى التمثيل باثنتين منها ، ونرى الإستئناس بما قلناه في هذا الشأن في دراستنا الموسعة لأدب البصير :

(وللبصير في أبي العيناء اضافة الى ما أسلفنا رسالتان ، أولاهما كانت كالعتاب المشوب بالتهديد والوعيد إن بقى متمادياً في التعرض والتعريض به . وقد كتبها إليه بعد ان أبلغه عنه قوارص بظهر الغيب ،

---

(٣٨) نفسه ، ٢/١٨٠ ـ ١٨١ ، ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

وافتتحها داعياً لخدينه بالبقاء والتمتع بإخائه ، ودوام النعمة عليه مذكٍّراً إياه بما يجر إليه المزح من جدّ ، وما تعقبه الأمور الصغار من عظام الاخطار ، ولافتاً نظره الى ان ما يكنه له من الود ويتمسك به من عرى الإخاء ، لا يعني جهله بما يشيعه عنه ، أو خوره عما يسدده نحوه ، وانه جهد ان يؤول ما طرق سمعه ويلتمس العذر له ، حتى إذا يئس الصديق من ذلك كتب إليه هذه الرسالة وختمها بابيات ينبهه الى ذلك ، فإن كفّ فبها ، وإلا فليستعد ليكون هدفاً لسهامه المسددة .

(أستزيد اللّه في بقائك ، واستمتعه بإخائك ، واستحفظه النعمى عندك ، ربّ مزح ـ أعزك اللّه ـ قد بعث جداً ، وجور قد أحدث قصداً ، ورُبّ أمر صغير خطره ، قد أعقب أمراً كبيراً آخره ، ونحن باستزادتنا بعهدك ، ومحاماتنا على ودك ، وتمسكنا بعرى الأسباب التي بيني وبينك ، واحتراسنا من جناية الدهر علينا فيك ، لا نقتصر على الإستظهار بالحجة ، والإبلاغ في المعذرة ، دون استفراغ المجهود ، وبلوغ الغاية في التاني ، والحيلة في استرجاع ما شذ عنا منك ، وإبطال ما نمت به الاخبار إلينا عنك ، من تحليك في العيب ، وتناولك إيانا في الغيب ، فلا يزال أخ لك ـ مدّ اللّه في عمرك ـ تعدله على نفسك ، وثوقه لك وعليك ، قد ساقط إليّ أحاديث عنك بطيء معها صلاح القلوب ، قليل بها بقاء المودة ، سريعة في حل عقدتها وقطع مودتها أحاديث أكره لنفسي بدأها ولك عاقبتها ، وكنت لا أزال أرد ما يرد عليّ منها بتأول لفظك وحُسن الظن بمعناك ، والتماس العذر لك على ضيق مخرجه ، وصعوبة مطلبه ... الى ان يئس الصديق من نصري ، لما رأى من إغضائي في أمر نفسي ، وقد بقي معي فضلة من أداتي أنت تملكها دوني ، فإن صنتها لي ووفرتها لا أعد ممن أساء الاختيار ، ولا أعدم أنصاراً من الاحرار ... وقد كتبت في هذا المعنى بأبيات هي لما قبلها ولما يكون بعدها ، فرأيك في تفهمها نفعك اللّه بها :

أبلـــغ أبـــا العينـــاء إن لاقيتـــه
قـــولًا يكـــون لـــدائـــه حسمـــا
نبئت أنـــــك في المغيب تسبني
وإذا إلتقينـــا كنت لي سلمـــا
فتـــروم هجـــوي جـــاهـــداً ونقيصتي
سفهـــاً أراه بـــاديـــاً حلمـــا
لا تفتنم لحمي فليس بـــاكلـــة
واعلم بـــانـــك واجـــد لحمـــا
إني أعيـــذك أن تكـــون رميّـــة
لسهـــام رامٍ إن رمى أصمى)

أما الرسالة الثانية فاكبر الظن انه شفع بها الرسالة الأولى بعد تلكؤ أبي العيناء وامتناعه عن إجابة أمور ساءله عنها ، وهي لا تخلو من الطرافة والعبث بالمكتوب إليه ، فقد افتتحها بفقرة مدح نفسه فيها وتسمّى بالبصير ، ونم صاحبه ونعته بالضرير ، ثم استرسل في هجاء خصمه والطعن عليه والغض منه ، فنبزه برقة الحسب ، ورداءة المذهب ، ودناءة المكسب ، وخساسة الطلب ، وبذاءة اللسان . ووصمه بالوقاحة ونهش الاعراض ، والإلحاف في السؤال ، ونكران الجميل والبخل ، وإخلاف الوعد ، وإفشاء الاسرار والعي والحصر ، وثقل المعاشرة ، وتلفيق الكلام وانتحاله ، والتخليط فيما يرويه ، وتكلف الظرف ، وإدعاء البلاغة ، والتظاهر بالترفع عن الإجابة ، الى غير ذلك من المطاعن والمثالب . وطلب البصير في عقبى رسالته الى الادباء والشعراء أن يكونوا وكلاء عنه في حثّ أبي العيناء على الإجابة عما طالبه به .

والرسالة الى جانب ما فيها من الطرافة تشتمل على تحدٍّ لِمَنْ كُتبت إليه . وأكبر الظن انه كان لها وقع مثير في المجالس والاندية

آنذاك ، قال :

(من أبي علي البصير ، ذي البرهان المنير ، المبلغ في التحذير ، المعذر في النكير ، الى أبي العيناء الضرير ، ذي الرأي القصير ، والخطل الكثير ، والإقدام بالتعيير .

... أما بعد ، فانك الرجل الرقيق حسبه ، الردىء مذهبه ، الدنيء مكسبه ، الخسيس مطلبه ، البذيء لسانه ، المقل مكانه ، المبلوّ به إخوانه ... قد صيرت القحة جنة ، وشتم الأعراض سُنّة ، والاقتصاد في ذلك منّة ... لا تزيدك السنّ إلا نقصاً ، ولا يفيدك الغنى إلا حرصاً ... وتعرض للناس بالسؤال ، غير محتشم من الإملال ، ولا كاره أن ينظر إليك بالاستقلال ... الناس منك بين أسرار تفشى ، وبوائق تخشى ، وشفاعات واردة ، ونوادر باردة ، تدرج كلامك خوف التحصيل ، وتورى عن عيك بالقال والقيل ... تسمع كلام خيار السلف فتدعيه ، إفساداً وإلحاداً فيه ... تضفت في الخبر عن الرسول ، وتدفع المعروف منه بالمجهول ، ونك تخلّق ،وشكرك تملّق ، ولطفك متعسّف ، وظرفك متكلف ... إرثك عن أبيك السعاية ، ونقل الأخبار والوشاية ... ثم أنت تبسط لسانك في الأحرار ، وتتطاول على ذوي المروءات والاقدار ، فلا أصل راسخ ، ولا فرع شامخ ، ولا نسب معروف ، ولا أدب موصوف ، أغراك حلمنا عليك بالتطاول علينا ، وإبطاؤنا عنك بالتسرّع إلينا ، فتأنيناك وراقبناك ، واحتججنا عليك ، فتم تنكر مقتدراً ، ولم تقصر مزدجراً ، بل لم تجبني عن واحد منها ، تعايياً بها وعجزاً عنها ... وسيقرأ كتابي هذا الكاتب الاديب ، والفقيه اللبيب ، والشاعر الاريب ، والمصقع الخطيب ، والطريف الممتع ، والحصيف المقنع ، وكل هؤلاء وكيل عليك في طلب الجواب ، من طريق التطوّع والاحتساب محمودين ماجورين مسؤولين غير مامورين ...)[٣٩] .

---

(٣٩) نفسه ، ١٧١/٢ .

ولابن الرومي[٤٠] رسالتان في العتاب ، إحداهما كتب بها الى صديق له من أهل بغداد قدم من سيراف[٤١] ، فأهدى الى جماعة من إخوانه وأغفله ، وقد افتتحها بالدعاء للمرسل إليه بطول العمر والسعادة والعزّ ، وافتدائه بنفسه ، وتمنى لقاءه على المحبة والودّ ، وأشار بكرم الرجل وآثاره الجميلة لديه ، وبلغه خبر توزيع الهدايا على الآخرين ما عداه ، ولهذا فهو يعاتبه على استثنائه إياه من إغفاله له ، وشفع الرسالة بقصيدة تدور معانيها في فلك الرسالة ، ويذكر فيها أنواع الهدايا التي يرجو نوالها من الرجل[٤٢] . قال :

(بسم الله الرحمن الرحيم

أطال الله بقاءك ، وأدام عزك وسعادتك ، وجعلني فداءك . لولا اني - أطال الله بقاءك وأدام عزك - في حيرة من أمري ، وشغل من فكري ، لما افترقنا . وشوقي - علم الله - فغالب ، وظمأي فشديد ، والى الله الرغبة في أن يجعل القدرة على اللقاء حسب المحبة ، انه قادر جواد . ومكاننا من جميل رأيك - أيدك الله - يبعثنا على تقاضينا حقوقنا قبلك . وكريم سجاياك وأخلاقك يشجعك على استماحتك ، والله يطيل بقاءك على إمضاء العزم في ذلك . وما تطوّلت به من الإيناس يؤنسنا بك ، ويبسطنا إليك ، وآثار يديك تدلنا عليك ، وتشهد لنا بكرمك وسماحتك ، والله يطيل بقاءك ، ويديم لنا فيك وبك السعادة .

ويلغني - أدام الله عزك - ان سحابة من سحائب تفضلك أمطرت منذ أيام مطراً عمَّ إخوانك بهدايا مشتملة على حُسن وطيب . فأنكرت على عدلك وفضلك خروجي منها مع دخولي في جملة مَنْ يعتدك

---

(٤٠) توفي سنة ٢٨٣هـ (الاعلام ، ٥/١١٠) .

(٤١) مدينة على الخليج العربي .

(٤٢) تقع القصيدة في (٣٢) بيتاً .

ويمتقدك ، وينحوك ويعتمدك ، وسبق الى قلبي من ألم سوء الظن برأيك ، أضعاف ما سبق إليه من الألم بفوت الحظ من لطفك ، فرأيت مداواة قلبي من ظنته ، وقلبك من سهوه ، واستبقاء الودّ بيننا بالعتاب الذي يقول فيه القائل :

ويبقى الـــودُّ مـــا بقيَ العتـــابُ

وفيما عاتبت كفاية عند مَنْ له أذنك الواعية ، وعينك الراعية ، غير انه شيع نثر الكلام نظمٌ منه ان نشطت لاستتمام العناية بقراءة الرقعة ، كان ذلك من زياداتك في التطول المعروفة ، ورأيك ـ أدام الله عزك ـ في التطول بتعريف أخيك من خبرك ما يسكن إليه ويبتهج به مع اجابته عن مطالبته . فان جوابك مهما كان لا يُرد من أخيك إلا على مصطنع شاكر ، أو مختدع عاذر . وقد قلت

إن تصطنعني تصطنعني شـــاكـــرا
أو تختـــدعْني تختـــدعني عـــاذرا

أما الشعر الذي شفع به الرسالة فنجتزىء منه بأبيات ننتقيها منه :

نِعـــال كِنبـــايـــةَ والعنبـــرُ
ومِســـك دارينكم الأذفـــرُ(٤٣)
ومنـــدل الهنـــد الـــذي يُـــرتضى
يُقسم في النـــاس ولا نُـــذْكـــرُ
يـــا مـــانعينـــا من هـــدايـــاكمُ
ثنـــاؤنـــا من عطـــركم أعطـــرُ
أقسمت بـــالكـــأس إذا أعملت
واصطخب المـــزمـــار والمِـــزهـــرُ

(٤٣) الاصل : (الأزفر) وهو تحريف . يقال : مسك أذفر : جيّد الى الغاية .

لـــو جـــاءنـــا العـــود وأتبـــاعـــه
وخيـــــزُهنّ العنبــــــر الاخضـــــرُ
لقـــد غـــدا يُثني بـــه شعـــرُنـــا
أضعـــاف مـــا يثني بـــه المجمـــرُ
أو جـــاءنـــا المســك جَزينـــا بـــه
مـــا يصبـــح المســـك بـــه يُهجـــرُ
ولـــو أتى الكـــافـــور قلنـــا : يـــد
بيضـــاء كـــالكـــافـــور لا تكفـــرُ
أو جـــاءنـــا من عنـــدكم مـــركب
أحمـــر كـــالشعلـــة أو أشقـــرُ[٤٤]

والرسالة الثانية كتب بها الى الوزير القاسم بن عبيدالله[٤٥] يعاتبه فيها ويشكو سوء حاله ، افتتحها بالدعاء للمكتوب إليه متمنياً له إمتداد العمر ، وعزّ السلطان والتقدم ورفعة المجد ، ثم بدأ شكواه بارتداد رقاعه ، واطراحها مع انها مجوّدة ، فهو يأمل أن ينصف وينظر إليه بعين الرعاية ، ويقال من عثرته ، وأنهاها بالدعاء له في ان يطيل الله بقاءه ، ويديم عزه ويؤكده ، ويصل سروره ويجدده ، ويقبل شكره ويحمده ، وشفع الرسالة أيضاً بابيات من الشعر تنطوي معانيها على ما انطوت عليه الرسالة . قال :

(أطال الله بقاءك في أتم مسعدة ، وأعزّ سلطانك وأيّده ، وقدّم وأعلى أمرك وأرشده ، ورفع مجدك وشيده .

---

(٤٤) ديوان ابن الرومي ، ٩٧٣ ـ ٩٧٥ .

(٤٥) وزير المعتضد ، توفي سنة ٢٩١هـ . (آل وهب من الاسر الادبية في العصر العباسي ، ٣٦٨) .

رقاعي إليك ـ أعزك الله ـ مردّدة ، وكذاك دواوينها مطّرحة مبددة ، ومواعيد قائلها معك مؤيدة . وانها ـ لو أنصفتها ـ لمجوّدة . وان حرمة صاحبها ـ لو رعيتها ـ لمؤكدة . وفي تعليق الآمال لسالف الصنيعة مفسدة . ولمستأنفها منكدة . والتصريح للحر بالياس مَطردة .

وقد تسحبتُ على أخلاقك الممهدة ، والإقالة منك عند عثرات عبيدك في رقاعهم وغيرها متعوّدة ، والإصابة منك مسترفدة ، وحريتك لا غيرها هي المستعانة عليك المستنجدة ، فرأيك ـ وفقه الله وسدّده ـ في قبول الآمال الملدّدة ، أو إعتاق الآمال المستعبَدَة ، أطال الله بقاءك وخلّده ، وأدام عزك وأكده ، ووصل سرورك وجدده ، وقبل شكرك وأحمده .

وقلت :

ليهنك أنْ قد مرَّ من صدر دولة
شهور توالت بعدهن شهورُ
وان العدا قد سوّغوا في مؤمّل
مقالهم بعضُ الرجاء غرورُ
أيجدب يا للناس مرعى وليكم
وأنتم غيوثٌ للورى وبحورُ
ويدجو عليه ليلُهُ ونهارُهُ
وأنتم شموس أشرقت وبدورُ)(٤٦)

وواضح من الرسالتين الإكثار من الجمل الدعائية المعترضة ، والميل الى الإطناب والتكرار واستعمال المترادفات ، وتراوح الجمل بين القصر والطول ، والتزام السجع في الثانية منهما ، وهو حرف الدال في عامتها . وتكاد هذه الخصائص تذكّرنا ببعض ما تميز به اسلوب الجاحظ

---

(٤٦) ديوان ابن الرومي ، ١٠٠٥ ـ ١٠٠٦ .

الذي كان يتمثل بسهولة العبارة وجزالتها وتقطيع الجملة الى فقرات كثيرة مقفاة أو مرسلة ، وزيادة الاطناب في الألفاظ والجمل ، والاستطراد ، والاعتراض بالجمل الدعائية[٤٧] . كما يبدو في الرسالتين هدوء الشاعر النفسي ، وتحفظه في عتابه من التورط في استخدام اسلوب العتاب الحاد الذي قد يقرب أحياناً لديه - في شعره - من التهديد والوعيد أو التقريع والهجاء .

* * *

وللبحتري[٤٨] رسالة أو أشبه بالرسالة تَتِمّ بها لقصيدة له في عتاب صديق له كان أتاه فلم يصل إليه ، وكان لا يمتنع منه للحال بينهما . افتتحها بالاستمتاع ببقائه وسؤاله الله العون عن جفائه ، وانه لولا خشية إطالة الكلام وكثرته لأكثر من عتابه ، ولكنه فضّل اللجوء الى الإيجاز . ولجأ الى الشعر للتعبير عما يريده ، وكاني بالبحتري قد أحسّ بقصور باعه في النثر فالتجأ الى صنوه وهو قدير عليه ليقوم مقامه ، فطلب أن يقرأ الشعر ويتفهمه ويرجع الى ما كان الحال بينهما من الود والصفاء ، ولم ينسَ أن ينصح صديقه هذا ، ألا تبطره النعمة في الاستخفاف بإخوانه ، متمنياً له الرشاد في الأمور والموفقية في المحبة .

أما القصيدة فتقع في (٣٦) بيتاً ، وهي في العتاب الذي مازجه شيء من الحدّة والوعيد والتهديد ، وهو ما لم يفعله مع سواه من رجال الحكم الذين عاتبهم[٤٩] ، قال :

---

(٤٧) أنظر : تاريخ الادب العربي للزيات ، ٢١٧ .

(٤٨) توفي سنة ٢٨٤هـ (الاعلام ، ١٤١/٩) .

(٤٩) يحسن الرجوع الى كتابنا (البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل) ، للوقوف على عتابه لابن خاقان وسواه .

(أستمتعُ الله ببقائك ، وأسأله العون على جفائك . لولا ان الكلام يطول ويكثر لكان الإكثار في الشكية ممكناً ، لكنّا نقتصر على القليل منه . وقد أهديت إليك أبيات معاتبة أتت على ما أردنا من الكلام فتدبرها وتفهمها ، وعُد الى ما لم نزل نعرفك به من التفضّل ، ولا تدعُوَنّك زيادةُ النعمة من الله عليك الى الاستخفاف بإخوانك . ولولا ان ترك(٥٠) في موضع المعاتبة جفاء وداعية الى القطيعة ، لكان أحبُّ الامرين إليّ تركُ العتاب لثقله على المذنبين . أرشدك الله لأفضل الامور ، ووفقك لمحابّه) .

أما الأبيات فمنها :

يـــا فضـــل فيمَ الصـــدود والغضبُ
أم فيمَ حبـــل الصفـــاء منقضبُ
أم فيمَ هجـــران هـــائم بكمُ
تقصـــونـــه دائبـــاً ويقتـــربُ
هـــذا لِـذنب ، فلن أعـوذ لـه
مـــا أعقبت ريـــح شمـــائـل نكبُ
أم دبَّ لي كـــاشـــح فـــاضرم لي
عنـــدك نـــاراً بـــالإفـــك تلتهبُ
يـــا فضـل أشمتَ بي العِـداة وقـد
أعطيتهم فيّ فـــوق مـــا طلبـــوا
صـــدُكَ عني وجفـــوةٌ حـــدثت
من صـــاحب غـــالَ ودّه العطبُ

---

(٥٠) كذا في الاصل ، وهناك كلمة ساقطة من النص .

مــــالي - وكنت الصـــديق آملـــه

وأرتجي نفعـــــــــــه وأرتقبُ

آتيـــك سعيـــاً معفِـــراً قـــدمي

يحفـــــزني الشـــــوق ثم تحتجبُ

عني كــــــــــاني إذا أتيتكمُ

مسلِمـــــاً شـــارف بهـــا جـــربُ

هـــذا لعمري والحرّ لا يـرتضي الـ

ـهـــون ، وإن قـــلّ عنـــده النشبُ

يـــا فضل لا أحمـل الجفـاء ولي

في الأرض منـــدوحـــة ومضطـــربُ

يـــا فضـــل لي مقـول أقـول بـــه

عضب - إذا مـــا هـــززتـــه - ذربُ

تحجـــزني عنـــك حُـــرمـــة قـــدمت

وخلّـــة مـــا يشينهـــا كـــذبُ

كم من عـــــدوّ أرغمتُ معطســـــه

فيـــك ، وكم فيـك هـــزني الغضبُ(٥١)

* * *

وممن كثرت رسائله وعُرف بها من الشعراء عبدالله بن المعتز(٥٢). وتجمّع لدينا من رسائله أو بقايا منها عدد غير قليل ، وهي في موضوعات شتى : كالتهاني والتعازي والاعتذار والوصف والنقد وسوى ذلك(٥٣).

---

(٥١) ديوان البحتري ، ٣٤٣ - ٣٤٦ .

(٥٢) توفي سنة ٢٩٦هـ .

(٥٣) مسوّدة كتابنا (نصوص لابن المعتز لم ترد فيما نُشر من مؤلفاته) .

ويظهر ان الكثير منها ـ كما قدمنا ـ أجزاء من رسائل بدليل ابتداءاتها وقصرها ، غير ان بعضها قد وصل كاملًا وسنتمثل بنماذج متنوعة من هذه الرسائل أو بقاياها للتدليل على قدرة الرجل في هذا الفن ، وتمكّنه منه ، على الرغم من إشتهاره بالفن الآخر وعرفانه به وهو الشعر . منها :

رسالة بتهنئة أحد الوزراء[٥٤] في يوم عيد ، بدأها بالإعتذار عن الحضور بسبب علّة انتابته ، فاناب رسالته هذه عنه ، متمنياً للمرسل إليه ان يكون هذا العيد أعظم الاعياد بركة عليه ، ودون الاعياد القابلة فيما يحبه ويتمناه ، وان ينعم في بحبوية النعيم ، ويرفل في أثواب العافية ، وان لا يرى نقصاً في مسرّة ولا يتعرّض لمكروه :

(أخّرتني العلّة عن الوزير ـ أعزه الله ـ فحضرتُ بالدعاء في كتابي لينوب عني ، ويعمر ما أخلته العوائق مني ، وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العيد أعظم الاعياد السالفة بركة على الوزير ، ودون الاعياد المستقبلة فيما يُحبُ ويُحَبُ له ، ويقبل ما توسّل به الى مرضاته ، ويضاعف الإحسان اليه على الإحسان منه ، ويمتعه بصحبة النعمة ولباس العافية ولا يريه في مسرّة نقصاً ، ولا يقطع عنه مزيداً ، ويجعلني من كل سوء فداء ، ويصرف عيون الغِيَر عنه وعن حظي منه)[٥٥] .

ومنها رسالة في تعزية الرجل نفسه عن أحد أبنائه ، افتتحها بتذكير المعزّي علمه بذخائر الاجر ، ومعرفته باهمية التجلد في مثل هذه الحال ، ومع هذا كله فالمصيبة فادحة ، عمّت بفداحتها مواطن نعم الرجل وآثار إحسانه ، فدعا له بعظيم الاجر ، ووفرة الذخر ومديد العمر ، وكثرة العدد . وليعلم ان كل مصيبة ، وإن عظمت فهي صغيرة في مقابل

---

(٥٤) هو عبيدالله بن سليمان بن وهب المتوفى سنة ٢٨٨هـ ، (آل وهب ، ٣٠٦) .

(٥٥) مسوّدة كتابنا (نصوص لابن المعتز لم ترد فيما نُشر من مؤلفاته) .

ثواب الله ، وان أولياء الله ما زالوا يتعرضون الى المحن ، فيتلقونها بالصبر الجميل ، ويتبعونها بالثناء والشكر ، ويعتبرونها مراقي الى شرف الحياة الاخرى التي لا تدخلها الهموم ، ولا يزول فيها النعيم .

ولعل ما يخفف عن المصاب هذه المصيبة ولده الاخر الذي فيه من مخايل النجابة ودلائل الفطنة والالمعية ما يبشّر بالخير ، فهو يتمنى أن يمدّ الله في عمره ، ويكلاه من كل مكروه . قال :

(علمُ الوزير ـ أيده الله ـ بذخائر الاجر يغنيني عن ترغيبه فيه ، وسبقه الى الصبر يكفيني تذكيره به ، لكن لوليّ الوزير ـ أيده الله ـ إن أخلاه دخلَ في جملة المضيعين لحقه ، اللاهين عما عناه ، وقد كان من قضاء الله في أبي محمد ـ رضي الله عنه ـ ما خصت به المصيبة مواقع نعم الوزير وآثار إحسانه ، حاشى لله إقراراً بالحق ، وتنجيزاً للوعد منه ، وعظّمَ الله أيها الوزير أجرك ، ووفر ذخرك . وعمّر بقيتك ، وكثّر عددك ، وسرّك ولا ساءك ، وزادك ولا نقصك ، ووصل بسلام الزمان نعمتك . ووليك بما تحب فيما خوّلك ، وكل مصيبة ـ وإن عظمت ـ صغيرة في ثواب الله عليها ، ضئيلة بين نعم الله قبلها وبعدها ، وما زال أولياء الله يعرضون على المحن ، فيستقبلونها بالصبر ، ويتبعونها بالشكر وتنفذ بصائرهم مذموم أوائلها الى محمود عواقبها ، ويعدّونها مراقيَ الى شرف الآخرة ، ومراتب لاهل السعادة في دار لا تلجها الهموم ، ولا يزول فيها النعيم .

وإذا تأمّل الوزير ما تجاوزت هذه الحادثة عنده من النعم ، في ولده أبي الحسين الذي قد نهض بما جمّله ، ووفّى آماله ، وأقرّ عينه ، وغاظ حاسده ، واكتسى لباس كرامته ، وقام للخلافة بخلافته ، علم انه راعٍ على الدهر ، حقيق بتجاوز الصبر الى الشكر . فجعل الله الخلف للوزيرِ من الماضي ، طول العمر الباقي ، وحرسه من المكاره كلها . وكفاه وكفانا فيه)[٥٦] .

---

(٥٦) مسوّدة كتابنا (نصوص لابن المعتز لم ترد فيما نُشر من مؤلفاته) .

إن أهم ما يلحظ في هذه الرسالة التسلسل المنطقي والفكري والموضوعي لما تناولته ، والحجج القوية التي أسند بها الكاتب ما ذكره فيها من وجوب الإخلاد الى الصبر والجَلَد ، وما ينبغي على الإنسان توقعه في الحياة ، وان معدن الإنسان وجوهره الاصيل يبرزان في حال المصائب والكوارث . ولم ينسَ المعزّي وهو الشاعر المقتدر أن ينحو في بعض عبارات الرسالة منحى الشاعرية في استخدام العبارات القصيرة ، والتزام السجع في بعضها ، والمزاوجة في بعض آخر ، بل الترسل في بعض ثالث ، كما لم يفته وهو من شعراء البديع تحلية الرسالة بشيء منه ، وخاصة الطباق ، كقوله : (وسرك ولا ساءك ، وزادك ولا نقصك ...) .

ومنها رسالة أو بقايا رسالة يعتذر فيها الى أحد الوزراء وهو القاسم بن عبيدالله ، طلب فيها أن يترفع المعتذر اليه عن صم ان كان بريئاً ، وان يتفضل بالعفو عنه إن كان مسيئاً ، فهو يطلب غفران ذنب لم يقترفه ، ويلتمس الإقالة من شيء لا يعرفه ، كل ذلك ليزداد المعتذر اليه تطوّلاً ، ويزداد المعتذِر تنللاً ، ولهذا فهو يربأ بالمعتذر اليه أن يصغي الى واشٍ يكيد بينهما ، أو يستمع الى باغٍ يجهد إفساد علاقتهما ، ويسأل الله ان يكون موقعه من نفس المعتذر اليه بقدر موقعه من نفسه ، وان يحله المحل الذي يستحقه . قال :

(ترفع عن ظلمي إن كنت بريئاً ، وتفضّل بالعفو إن كنت مسيئاً ، فوالله اني لأطلب غفر ذنب لم أجنه ، وألتمس الإقالة مما لا أعرفه ، لتزداد تطوّلاً ، وأزداد تنللاً ، وأنا أُعيذ حالي عندك بكرمك من واشٍ يكيدها ، وأحرسها ـ بوفائك ـ من باغٍ يحاول إفسادها . وأسأل الله تعالى ان يجعل حظي منك بقدر ودّي لك ، ومحلّي من رجائك بحيث استحق منك)[٥٧] .

---

(٥٧) مسوّدة كتابنا (نصوص لابن المعتز لم ترد فيما نُشر من مؤلفاته) .

وفي هذه الرسالة شيء من الاعتذار المشرب بتماسك شخصية ابن المعتز وترفعه عن التذلل أو التنصّل المقرّ بالذنب ، بل فيه إلماح واضح الى ان ابن المعتز لم يضع نفسه مع الند للمعتذر اليه ، فهو يرتفع عنه ولا يراه أهلًا ليتضرع اليه ويخضع ـ على ما عُرف عن المعتذر اليه من الشدّة والصرامة ـ . ولعل قوله : (فوالله اني لاطلب غفر ذنب لم أجنه ، وألتمس الإقالة مما لا أعرفه ، لتزداد تطولًا وأزداد تذللًا) . دليل على هذا . وهو أمر لا نجده في رسائل الاعتذار عادة .

ولم ينسَ ابن المعتز وهو الأديب النابه أن يلتفت الى الفن وهو في حالة نفسية ليست مستقرة أن يوازن بين عباراته ، مما يمكن عزوّ هذا الى الشاعرية التي كان يتحلّى بها ، كقوله :

(وأنا أعيذ حالي عندك ـ بكرمك ـ من واشٍ يكيدها ، وأحرسها ـ بوفائك ـ من باغٍ يحاول إفسادها) .

ومن رسائله ما كتب به الى أحد إخوانه يصف مدينته سامراء ، ويعرّض ببغداد ، صور في الرسالة حال سامراء بعد ان مشى فيها الخراب ، كما صور حالها أيام عـزّها ، وما كانت تزخر به من جيوش عظيمة ، وألمح الى مَنْ كان يصرّف أمر المملكة ، ولعله كان يقصد أباه المعتز الذي قتله الاتراك في عز شبابه ، ولم ينسَ ان يتعرّض لبغداد وينال منها . وسنجتزىء بالجزء الأول من الرسالة المتعلق بوصف مدينته سامراء . قال :

(كتبت إليك من بلدة قد أنهض الدهر سكانها ، وأقعد جدرانها ، فشاهد الياس فيها ينطق ، وحبل الرجاء فيها يقصر ، فكان عمرانها يطوى ، وكان خرابها ينشر ، وقد وكلت الى البحر نواحيها ، واستحث باقيها الى فانيها ، وقد تمزقت بأهلها الديار ، فما يجب فيها حقّ جوار ، فالظاعن منها ممحوّ الاثر ، والمقيم بها على طرف سفر ، نهاره إرجاف ، وسروره أحلام ، ليس له زاد فيرحل ، ولا مرعى فيرتع ، فحالها تصف

للعيون الشكوى ، وتشير الى نم الدنيا ، بعدما كانت بالمرأى القريب جنة الارض ، وقرار الملك ، تفيض بالجنود أقطارها عليهم أردية السيوف ، وغلائل الحديد ، كأن رماحهم قرون الوعول ، ودروعهم زَبَد السيول ، على خيل تأكل بحوافرها ، وتمدّ بالنقع سرادقها ، قد نشرت في وجوهها غرر كانها صحائف البرق ، وأمسكها تحجيل كانه أسورة اللجين ، وقرّطت عذراً كانها الشنوف ، في جيش يتلقف الاعداء أوائله ، ولم تنهض أواخره ، وقد صُبَّ عليه وقار الصبر ، وهبَّت له روائح النصر ، يصرّفه ملك يملأ العيون جمالًا ، والقلوب جلالًا ، لا تخلف مخيلته ، ولا تنقض مريرته ، ولا يخطىء بسهم الرأي غرض الصواب ، ولا يقطع بمطايا اللهو سفر الشباب ، قابضاً بيد السياسة على أقطار ملك لا ينتشر حبله ، ولا تتشظّى عصاه ، ولا تطفأ جمرته ، في سنّ شباب لم يجنِ مأثماً ، وشيب لم يراهق هرماً ، قد فرش مهاد عدله ، وخفض جناح رحمته ، راجماً بالعواقب الظنون ، لا يطيش عن قلب فاضل الحزم ، بعيد العزم ، ساعياً على الحق يعمل به ، عارفاً بالله يقصد اليه ، مقرّاً للحلم ويبذله ، قادراً على العقاب ويعدل به ، إذ الناس في دهر غافل ، قد اطمانت بهم سيرة ليّنة الحواشي ، خشنة المرام ، تطير بها أجنحة السرور ، ويهبّ فيها نسَيِم الحبور ، فالأطراف على مسرّة ، والنظر الى مبرّة قبل ان تخبّ مطايا الغِير ، وتسفر وجوه الحذر ، وما زال الدهر مليئاً بالنوائب ، طارقاً بالعجائب ، يؤمن يومه ، ويغدر غده ، على انها ـ وإن جفيت ـ معشوقة السكنى ، حبيبة المثوى ، كوكبها يقظان ، وجوّها عريان ، وحصباؤها جوهر ، ونسيمها معطّر ، وترابها مسك أذفر ، ويومها غداة ، وليلها سحر ، وطعامها هنيء ، وشرابها مريء ، وتاجرها مالك ، وفقيرها فاتك ...)[٥٨] .

---

(٥٨) مسوّدة كتابنا (نصوص لابن المعتز لم ترد فيما نُشر من مؤلفاته) .

ونرى ان نعيد في التعليق على هذه الرسالة ما قلناه عنها في رسالتنا (سامراء في أدب القرن الثالث الهجري) ، الذي جاء فيه :

(ويخيل إلينا ان هذه الرسالة من الرسائل الفريدة في بابها ، وهي تماثل الى حدّ بعيد قصيدته الصادية ، في الغرض والمحتوى ، وأكبر الظن ان عبدالله قد أنشأهما في وقت متقارب .

والرسالة تعدّ قطعة أدبية فنية ، وهي تعكس ـ بوضوح ـ الى جانب ما اشتملت عليه من صدق العاطفة ، ودقة التصوير ـ أدب ابن المعتز الذي يحفل كثيراً بالتشبيه ويكلف ـ دون تكلف ـ بأنواع البديع . وهي في أغلبها قصيرة الجمل ، مسجوعة ، وكأني بمنشئها أراد بها ان تكون قصيدة منثورة)[٥٩] .

وآخر ما نتمثل به من رسائله رسالته المشهورة في التنبيه على محاسن شعر أبي تمام ومساويه ، وهي رسالة في النقد الادبي من الطراز الاول الذي كان لها أثر بعيد في تقويم شعر الطائي سلباً وإيجاباً لدى مَنْ أعقب ابن المعتز من النقدة والادباء والشعراء .

ولطول الرسالة وشهرتها نكتفي بأجزاء منها لنتبين منها قدرة ابن المعتز الكتابية ونظرته النقدية ، وعمق ثقافته الشعرية .

جاء في أولها :

(ربما رأيت في تقديم بعض أهل الادب الطائي على غيره من الشعراء إفراطاً بيّناً ، فاعلم انه أوكد أسباب تأخير بعضهم إياه عن منزلته في الشعر لما يدعوه اليه اللجاج ، فأما قولنا فيه : فانه بلغ غايات الإساءة والإحسان ، فكأن شعره بقوله :

إن كان وجهك لي تترى محاسنه
فإنّ فعلك بي تترى مساويه

---

(٥٩) ٣٥٩ ـ ٣٦٠ .

فمما أنكر عليه قوله في قصيدة :

تكــاد عطـــايــاه يجن جنـــونهـــا
إذا لم يعـــوّذهـــا بنغمـــة طـــالبِ

ولِمَ يجن جنون عطاياه انتظاراً للطلب ؟ يبتدىء بالجود ويستريح . وفيها قوله :

يقـــود نـــواصيهـــا جـــذيـــل مشـــارق
إذا آبَـــــهُ همٌ عـــــذيق مغـــــارب

عنى انه كثير الأسفار ، فأراد بذلك قول القائل : أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجّب . وقوله في قصيدته التي أولها :

سرت تستجير الدمع خـــوف نوى غـــد
وعـــاد قتاداً عنـــدهـــا كـــل مـــرقـــدِ

لعمـــري لقـــد حـــرّرت يـــوم لقيتـــه
لـــو انَّ القضـــاء وحـــده لم يـــزّدِ

فلم تخرج ههنا المطابقة خروجاً حسناً ، ولا تحسن في كل شيء . وقوله :

لـــو لم تدارك مسنّ المجـــد مـــذ زمن
بالجودِ والبأسِ كان المجـــدُ قد خـــربا

فقوله : (مسنّ المجد) : من البديع المقيت .

وقوله يصف المطايا :

إرقـــالهـــا يعضيـــدهـــا ووسيجهـــا
سعـــدانهـــا وذميلهـــا تنـــومهـــا

الأرقال : ضرب من المسير ، وكذلك الوسيج ، والذميل ، واليعضيد : نبت ، وكذلك السعدان والتنوم . لا علف لها إلا السير . وقد سبق الى هذا المعنى ، وكسته الشعراء من الكلام أحسن من هذه الكسوة .

وقال :

تسعين ألفاً كآساد الشَّرى نضجت
أعمارهم قبل نضج التين والعنبِ

وقد سبق الناس الى عيب هذا البيت قبلي ، وهو من خسيس الكلام) .

وجاء في غضونها :

(وقال :

إذا فقدَ المفقود من آل مالك
تقطَّع قلبي رحمة للمكارمِ

وهذا قد عيب قبلنا ، وقالوا : تقطع رحمة للمكارم ، من كلام المخنثين . وقد كان الناس قبلنا ينكرون على الشاعر أقلّ من هذه المعايب ، حتى هجّنوا شعر الأخطل ، وقدّموا عليه بثلاثة أبيات لم يُصب فيها ، وهو شاعر زمانه ، وسابق ميدانه . من ذلك قوله :

لقد أوقع الجحّاف بالبشر وقعة
الى اللّه منها المشتكى والمعوّل

فأنكروا عليه هذا البيت ما أظهر من الجزع ، وعظّم من فعل عدوه .

وقوله :

بني أُميّة اني ناصح لكمُ
فلا يبيتنَّ فيكم آمناً زفر

معظّم قدر عدوه ، ومَنْ يهجوه ، حتى خوّف الخليفة منه .

وقوله :

قد كنت أحسبه قيناً وأنبؤه
فاليوم طيّر عن أثوابه الشرر

فأراد أن يمدحه فهجاه . فكيف نجيز للمحدثين مع تصفحهم لأشعار الاوائل وعلمهم بها مثل هذا الجنون .

نرجع الآن الى ما ابتدأنا به . فمن ابتداءاته المذمومة قوله :

خشنت عليـــــه أخت بني خشين
(وأنجـــح فيـــك قـــول العـــاذلين)

وهذا الكلام لا يشبه خطاب النساء في مغازلتهن ، وإنما أوقعه في ذلك محبته هاهنا للتجنيس ، وهو بهجاء النساء أولى) .

وجاء أيضاً :

(وقال :

إذا مشى يمشي الــــدفقَّى أو ســـرى
وصـل الشُرب أو ســار سارَ وجيفـــا

الدفقّى : مشية سريعة . قال الشاعر :

من الخفـــرات لا تمشي الـــدفقّى
ولا تختـــال في الثـــوب المعـــارِ

وقال الطائي في مثل ذلك :

وقــد ســدَّ منــدوحــة القــاصعــا
ء منهم وأمســـك بـــالنـــافقـــاء

القاصعاء : جحر اليربوع الأول الذي يدخل فيه ، والنافقاء : موضع يرققه من جحره ، فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء ففتحه .

ولم نعب من هذه الألفاظ شيئاً ، غير انها من الغريب المصدود عنه ، وليس يحسن من المحدثين استعمالها ؛ لانها لا تجاوَر بأمثالها ، ولا تتبع أشكالها ؛ فكأنها تشكو الغربة في كلامهم) .

وجاء أيضاً :

(وقال الطائي :

يـــوم أفـاض جـوى أغـاض تغـرّبـاً
خـاض الهوى بحـرى حجـاهُ المـزبـد

وهذا من الكلام الذي يستعاذ بالصمت من أمثاله :

وقال :

مَنْ شـــرّد الإعـــدام عن أوطـانـــه
بـــالبـــذل حتى استطـــرف الإعـــدام

وسرق هذا المعنى من الأعشى إذ يقول :

هُمْ يطـــردون الفقـــر عن جـــارهم
حتى يـــرى كـــالغصن النـــاضـــرِ

وقد سقطنا من معايب شعره شيئاً كثيراً لم نثبته في رسالتنا هذه ، وقصدنا من ذلك ما يبهر الحجة ، ويفلّ حدّ النصرة) .

وجاء في ختامها :

(ومن ذلك قوله :

طـــالت يدي لمّـــا بلغتك ســالمـاً
وانحتُّ عن خـــــــدّيّ ذاك العظلمُ

العظلم : عصارة شجر ، ربما دبغت به الجلود ، أفترى لو قال هذا رؤبة والعجّاج لم يكونا فيه بغيضين ثقيلين ! وهجا دعياً عنده ، فقال :

واللّـــــه لـو ألصقت نفســك بــالغـرا
في كَلْبَ لاستيقنت ألا تلـ[illegible]ق

فأي شيء هذا من هجاء الفحول ، ولو تهاجت به الحاكة لما أ[illegible] .

وقال :

وركب يســـاقـــون الـــركـــاب زجـاجـــة
من الســيـــر لم تقطب لها كفّ قـ[illegible]

سرقه من قول أبي نواس :

ركب تســاقــوا على الاكــوار بينهمُ
كأس الكرى فاستوى المسقيّ والساقي)[٦٠]

* * *

وللمتنبي[٦١] رسالة قصيرة ـ وهي على ما أظن فريدة له ـ أقرب الى الفصل منها الى الرسالة ، كتب بها بعد ابلاله من مرض الى أحد إخوانه . وهي مركَّزة المعنى ، محلّاة بالسجع والتطبيق ، تكاد من شدة الحبك ، وترابط الألفاظ وبُعد الدلالة تحكي شيئاً من خصائص شعره ، إذ لا يمكن الاستغناء عن أي كلمة وردت فيها . وهي على هذه الشاكلة :

وصلتني ـ أعزك الله ـ معتلّا ، وقطعتني مُبلّا ، فإن رأيت ألا تكدر الصحة عليّ ، وتحبب العلّة إليّ ـ فعلت)[٦٢] .

* * *

ومن الشعراء ـ الذين لا يكادون يُعرفون ـ لدى أغلب الدارسين والباحثين والمتتبعين إلا بفن القريض والانقطاع اليه ؛ لما كان عليه من المقدرة الفائقة والبراعة والاجتهاد في فنونه ـ كما تقدم ـ الشريف الرضي[٦٣] ، فقد أثرت له رسائل عدة تبادلها مع أديب لامع هو أبو اسحاق الصابي[٦٤] . والجديد في هذه الرسائل ـ على ما انطوت عليه من فصاحة وبلاغة ، واقتدار على الفن النثري وتمثل خصائص

---

(٦٠) مسوّدة كتابنا (نصوص لابن المعتز لم ترد فيما نُشر من مؤلفاته) .
(٦١) توفي سنة ٣٥٤هـ ، (الاعلام ١/١١٠).
(٦٢) جمهرة رسائل العرب ، ٤/٤٢٥ .
(٦٣) توفي سنة ٤٠٦هـ (الاعلام ، ٦/٣٢٩).
(٦٤) توفي سنة ٣٨٤هـ (الاعلام ، ١/٧٣).

الرضي الكتابية التي تصحح ما قيل في أسلوبه ـ تاريخ كتاباتها من جهة والديباجة التي قدمت بها من جهة أخرى ، ولهذا فسنتحدث عنها بحسب تسلسلها التاريخي الذي كُتِبَتْ فيه .

فأولى هذه الرسائل كانت في التعزية . جاء في الديباجة التي قدمت بها الرسالة :

(نسخة تعزية كتبها الشريف الرضي ، رضيَ الله عنه ، الى أبي اسحاق يعزيه عن ابنه أبي سعيد سنان ، وقد توفيَ وهو أسنّ أولاده ، وأنفذها اليه بعد ان لقيه بنفسه معزياً ، وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة ثمانين وثلاثمائة) .

والرسالة مفتتحة بالتحسّر والتأسّف على الفقيد ومساهمة الشريف لوالده في تحمّل آثار النازلة ، والاعتذار عن إطالة الكلام ، وتحبيذ الإيجاز والاعتراف بأن المعزّى لا يحتاج الى النصيحة أو التعليم في اللجوء الى الصبر والجَلَد ، وتحمّل أعباء الكوارث ، والإشارة الى عدول المَعزّى عن استعمال الهاء في تعبيره الى الكاف ، ثم يمضي في تذكير المعزّى بأن الموت لازب ، وان أحداً لا يمكنه الإفلات منه ، فقد نال الماضين وسينال الآخرين ، فلا فائدة إذاً من الحزن والهلع ، كما يذكّره ان الفقيد قد نال من الحياة حلوها ومُرّها ، فهو لم يعتبط ، ولم يقض وهو في عنفوان الشباب . وبعد أن عزّاه العزاء الجميل تمنّى لوالد الفقيد العمر المديد والاستعاضة عنه بأبناء آخرين ، فإن لم يكن بمقدوره الإنجاب بسبب سنّه العالية ، فليكتف بما بقيَ لديه من أولاد نجب . وينهي الرسالة بإشعار المعزّى انه قال كل ما عنده في هذا الصدد ، ويطالبه بجواب رسالته هذه .

جاء في أولها :

(لويثُ عِناني عشيّة أمسنا عن حضرة سيدي الشيخ ـ أطال الله بقاءه ، وأدام عزّه وتاييده وسعادته وسلامته ونعمته ـ وأنا المساهم له

في تحمّل النازلة ، والآخذ معه بأوفر الأقسام من النائبة . وانضاف الى وجدي بمَنْ اهتصر عوده الزمان ، واختضر غصنه الحدثان ، قلقي بما وجدته عليه ـ أيّده الله ـ من الإصحاب في عنان القلق ، والانقياد بزمام الحُرَق ، فاقتصرت على الرسم المعهود في التعزية اختصاراً وحذفاً وإحجاماً وتخفيفاً . وآنقلبت والكلام يزدحم في فمي استقصاء لها وإستكثاراً منها . ولم يحتمل الموضع إيراد بعض ما ترجّع في الصدر ، وطما على القلب فضلًا عن كله . فأحببت أن أقضي حقه في نفسه أولًا . ثم حقي في المحافظة على ودّه آخراً . وان أنفث ما التبس بجناني من القول القائد الى الصبر ، والدال على حُسن المنقلب والأجر . وإن كان ـ أدام الله عزّه ـ ممن لا يُرشد الى منقبة ، ولا يُدلّ على مكرمة ، ولا يُعلّم التسليم للقضاء ...) .

ومنها :

(فالحمد لله الذي جعله ممن يُذكَّر ولا يُعلَّم ، ويُعرَّض له ولا يصرّح . وقد دفعني الى إيراده الثقة والمقة، وحملني على إيضاحه الصفاء والخلطة . وأسأله ـ أيّده الله ـ أن يحتمل لي في الخطاب ، العدول عن الهاء الى الكاف ، فإنها أشفى للقَرَم ، وأعذب لمواقع الكلم ، وأشبه بالمشافهة ، وأليق بالمناقشة ، وأقرب لمحاورة الأقرباء ، وأبعد عن مخاطبة البعداء .

الى كم ـ جعلني الله فداك ـ هذا الهم والجزع ، وفيمَ هذا القلق والهلع ، وأنت المرء يوصف حلمه ، والجليد يُعرف حزمه ، والصبور على تحامل النكبات ، والقويّ على قراع الرزيات ، فالتفاتاً الى ورائك ، واعتباراً بقربائك . هل أبقى الزمان على آبائك فيبقي على أبنائك ؟ أم هل أضرب عن أصولك فتأمل أن يُضرب عن فروعك ؟ فكيف تستشعر الحزن والأسف وتستبطن الكمد والغصص ، وأنت العارف بأن الإنسان وديعة مسلَّمة وعاريّة مسترجعة ، وانه مجر الى غاية له دونها عِثار

بالنوائب ، ومصادمة للنوازل ، تزلزل مواطىء الأقدام ، وتحطّم المواكب في الزحام ...). ومنها :

(وإنما نحن من المنون على خطر المزلّة بعيد الهُوَّة ، ومن الدنيا بمدرجة سيولها ومستنّ خطوبها ، تحدو بنا حدو الهَدْي الى النحر ، وتقودنا قود العُناة الى الأسر ، ونحن مؤثرون إنضاء الليالي وإمضاء الأيام البواقي ، وهي ركائب تسري بنا الى الآجال ، وأمراس تجذبنا الى دار الجزاء بالأعمال . وبينا هذه الدنيا ترضعنا دِرّتها ، وتصرِح لنا عن زُبدتها ، وتلحفنا فضل جناحها ، وتغرُنا بركود رياحها ، وتغذّينا بما نستمرئه برهةً ونستمرُه مدّة ، ونستحليه أواناً ونَستوبيه آونه ، حتى تعطف علينا عطف الضروس ، وتضرحنا ضرح الشَّموس ، وتُريق ما حلبت من النعيم بضروب ما جلبت من الهموم . فالفائز مَنْ لم يُغَرَّ بنكاحها فلم يُرَع لطلاقها ، والعاجز مَنْ أمن طماحها فاستوصل لوشك انطلاقها ، فيخرج منها الاول قرير العين ، ويفارقها الآخر خالي اليدين . وسبيل العاقل في أيام الرخاء وقبل أيام البلاء ، أن يقرر في نفسه نزوع الخطب الجسيم اليه ، وطلوع الامر العظيم عليه ، حتى سدّد الزمان رُمْحَ مكيدة وانبض عن سهم رزيّة ، صادفت من المتصدِّي لها والمراد بها قلباً متوقعاً ما هو أعظم ...) .

وجاء في خاتمتها :

(والآن فقد نكبتُ كنانتي ، واستوعبت مقالتي ، وشَفَيْتُ دخيلي ، ونقضت غليلي ، وأنا أعود الى الهاء في الاختتام ، كما بدأت بها في الافتتاح . إن رأى سيدي الشيخ - أدام الله عزّه - أن يجيبني عن رقعتي هذه ، بما أعلم معه موقع مواعظي من سمعه ، ومقرّ مراشدي من قلبه ، ويعرّفني رجوعه الى العزاء الذي لا بد من الرجوع اليه ، واشتماله على السلوّ الذي لا مَزحل دون الاشتمال عليه ، لاسكن الى ما منحه الله من السلوة عطيةً ، عقيبَ ما سلبه من الولد رزيّة ، وأكون مشاركه فيما ساء

وسرّ ، وأحلو لي ومرّ ، فعل إن شاء الله ، وهو حسبي ونِعْمَ الوكيل)[٦٥] .

والرسالة متوسطة الطول ، وتراوح أسلوبها بين التزام السجع والازدواج والترسل ، وقد أودع الكاتب فيها كل ما لديه من بلاغة ، وقوة تعبير ، غير ان أثر الحزن فيها لم يكن واضحاً ولا شديداً ، وكأني بالرضي قد استعاض عنه بالتعبير الأدبي الذي ارتفع به ـ كما تقدم ـ الى أعلى مستوى فنيّ وبلاغي . ويبدو ان هذا هو الدافع الى مكاتبة الصابي بالجواب ، وإلا فهو لقيه معزياً ـ كما تقول الديباجة ، وهذا وحده كافٍ لتادية واجب الصداقة ، أو واجب المجاملة .

والرسالة بعد ذلك انطوت على استعارات لطيفة ، وتضمنت أفانين من المحسنات اللفظية والبديعية ، وخاصة الطباق .

والرسالة الثانية كُتِبَتْ في سنة ٣٨٠هـ أيضاً ، وجاء في ديباجتها .

(نسخة تذكرة عملها الشريف وأنفذها الى أبي اسحاق ، وقد رُسِمَ له من حضرة الطائع لله عهداً بتقليد نقابة نقباء الطالبيين والنظر في أمور المساجد بمدينة السلام ، واستخلافه لوالده على النظر في المظالم والحج بالناس ، وكانت الخلع السواد عليه من دور أمير المؤمنين الطائع لله بعقب ذلك ، وأُنشىء العهد على هذه التذكرة ، وذلك في سنة ثمانين وثلاثمائة) .

وفي هذه الرسالة أو التذكرة أمران :

الأول : ذكر ما يريده الشريف من العهد اليه بنقابة الطالبيين ، وإناطة النظر في مصالح المساجد بمدينة السلام لسدّ خللها ولمّ شعثها ، وخلافة والده على المظالم ، والتسيير بالحجيج في أيام المواسم .

---

(٦٥) رسائل الصابي والشريف الرضي ، ٦٣ ـ ٧٠ .

والثاني : الإشادة بالصابي والثناء عليه واستعجاله في إنشاء هذه العهد .

وفي هذه الرسالة شيء جديد . وهو تمثل الكاتب ببيتين من الشعر ، أحدهما لبشار ، والثاني للمتنبي . ونرى الاجتزاء في هذه الرسالة أو التذكرة ، وهو ما يتعلق بالثناء على الصابي ، لما اشتمل عليه من جمال التعبير ، وجزالة اللفظ ، وثقافة الشريف . قال :

(ولست أحتاج مع فضل سيدي الشيخ ـ أدام الله عزّه ـ الى أكثر من هذا التمثيل ، ولولا ان ما في النفس من هذه المعاني لا يُعلم إلا بالإشادة به والإشارة إليه ، لكنت مستغنياً عن إيراد ما أوردته وتفصيل ما فصّلته . وكان هو ـ أدام الله تأييده ـ أسرع الى ما أومأت اليه وأهدى ما دللت عليه . وكنت كما قال الشاعر[٦٦] :

إذا أيقظتكَ صروف الزمان
فنبّه لها عُمَراً ثمّ نَمْ

وبحره ـ أدام الله عزّه ـ وإن كثر انتزاحه من جَمّاته ، وطال امتياحه من دَفعاته ، فهو البحر الذي لا يكدّره نهز الدِلاء ، ولا يُنفدُ لججه تناوب الظماء . ولا تنتقصه واردات الهموم بورودها ، ولا وافدات النوائب بوفودها . بل كلما زاد تزاحم ورديه إزدادت تدافعاً غواربه وهواديه . وإنما ينزح الدهر بكروره وينقص الزمان بمروره قَليباً في قلب غيره لا مصابٌ عليه ولا موادٌ له ، ولا يفيض إلا لُمَعاً ، لا يجود إلا مكدوداً مستكرهاً . فكيف ببحر مدافع الكلام تدفع غررها اليه وشعاب الفكر تتقابل مسائلها عليه ، فاقول كما قال أبو الطيب المتنبي[٦٧]

---

(٦٦) هو بشار بن برد . ديوانه ٤/١٦٠ .

(٦٧) ديوانه ٣/١٥١ .

فـــلا غيضت بحـــارك يـــا جَمُـومـــاً
على عَلَـلِ الفـرائب والــــنِّخـال ...)[68]

والرسالة الثالثة كُتِبَتْ في سنة ٣٨١هـ ، وهي في إنشاء عهدٍ ثانٍ للرضي ، جاء في الديباجة :

(نسخة رقعة كتبها الشريف أيضاً الى أبي اسحاق ، يسأله فيها إنشاء عهدثان اليه ، عن الخليفة الطائع لله ، رحمه الله ، بتقليد عمل آخر ، كان شرع له في تقلّده ، وذلك في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة) .

وقد انطوت هذه الرسالة على معانٍ شتى ، فبدأها بالتعبير عما يكنّه للصابي من حب ، وصدق وفاء ، ويعتذر اليه من انقطاع زيارته له بسبب كثرة الأشغال ، متمنياً أن تلقى حوائجه عنده ما يزيد في تقديره له ، دون ان يكون في ذلك ما يضايقه ، ويطالبه بإنشاء العهد الجديد ، مذكّراً له العهد السابق ، ومثنياً على الخليفة ، وعرفانه بجميل صنيعه له ، وملمحاً الى ان تشريفه بالخلع السواد لم ينله طالبي قبله ولا عربي ، ويطالب المكتوب اليه أن يودِعَ انشاء العهد الجديد الغرر وأزواج الفقر ، والاستكثار من المعاني المضيئة ، والألفاظ الجلية . ولعل هذا ما يؤكد ما ذهبنا اليه في الرسالة الأولى من ان الرضي كان يتوخى من هذه السرائل ان تكون ميداناً لابراز قدرته الكتابية ، وموهبته الإنشائية .

ومما نتمثل به من هذه الرسالة قوله :

(إذا كانت القلوب ـ أطال الله بقاء سيدي الشيخ وأدام عزّه وتاييده وسعادته ونعمته ـ تتناجى بالمِنة ، والعيون تتلاحظ عن محض المودة والثقة ، والباطن في الصفاء ويصدّق العالن ، والخافي في الوفاء ويحقق الظاهر ، أُلفيت المعاذير بالعوائق التي تعوق عن المزاورة ،

---

(٦٨) رسائل الصابي والشريف الرضي ، ص ٧٤ ـ ٧٥ .

والحواجز التي تحجز عن المواصلة ، واعتمد على صفاء النيات وصحيح أديم الطويّات . وكان الواحد منا في الزورة التي ينتهز فرصتها ويهتبل غِرّتها غير مشكور ولا محمود ، كما يكون في الانقطاع بكثرة الشغل وترادف الثقل غير ملوم ولا معذول . وهذه جملة تنوب عن التفصيل ، وقليل يكفي مؤونة التكثير ، في العذر لتأخّري عن حضرته وقضاء ما يجب عليَّ من حقه . والله تعالى ينهضني لذلك ويوفّقني له ويطيل بقاءه ويمتعني به ، بفضله وطَوله وقدرته وحوله ...) .

ومنها :

(و قد شُرع لي الآن كيت وكيت من الأعمال والذي أسأله ـ أدام الله تأييده ـ أن يفرّغ لي نفسه النفيسة ـ حرسها الله ـ في إنشاء عهد إليّ بذلك ، عن مولانا أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ جارياً على رسمه في إيراد الغرر وإزواج الفقر ، والإستكثار من المعاني المض... الالفاظ الجلية ، ليكون مستوراً الى حين ظهور أمره ، وتبلّج سرّه ، فحينئذٍ يظهر ، كما فعل بالعهد المتقدم له .

وآخر رقعتي هذه تذكرة أثبتها لينظر ـ أدام الله عزّه ـ فيها لا يعرف مرادي إلا بها ولا يطلع على غرضي إلا منها ، ولولا ذلك لاستغنيت عن إنفاذها بثاقب بصيرته وبالغ حكمته . فإن رأى سيدي الشيخ ـ أدام الله تاييده ـ أن ياتي فيما سألته ما يسترقّني بشكره الى حين مسألة مثله كما كانت حالي في الشكر لما تقدمه من قبله ، فعل إن شاء الله)[٦٩] .

وهذه الرسالة كسابقتها في الاحتفال والتانق في اجتباء الألفاظ ، والاستعانة بالسجع حيناً ، والازدواج أحياناً مع استخدام الجمل الدعائية التي قد تطول بعض الشيء ، وهذا ظاهر فيما تمثلنا به من هذه الرسالة .

والرسالة الرابعة أنشئت سنة ٣٨٢هـ ، وهي كما في الديباجة :

---

(٦٩) نفسه ، ص ٧٧ ـ ٧٩ .

(نسخة أبيات أنفذها أبو اسحاق الى الشريف له ولغيره في حفظ السر ، يساله ان يحكم فيها ويفضل الافضل منها ونسخة الجواب عنها وذلك من سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة) .

وفي هذه الرسالة خمس مقطوعات شعرية في السر من نظم الصابي ، قالها حين أنشده بعضهم بيتين في كتمان السرّ ، فطالب الشريف إبداء رأيه في هذه المقطوعات مقارنة بالبيتين اللذين أنشدهما .

وتميزت إجابة الرضي بعدة أمور منها : إظهار قدرته على النقد والموازنة بين الشعر ، ومنها : استعمال لغة أدبية بعيدة عن الغريب ، أو البديع أو الإستعارة . بسبب اندفاعه في إيضاح المعاني وتقريبها مما كان يتوخاه من النقد . ومنها :

بروز ثقافته الادبية وخاصة الشعر ، يتضح ذلك مما تمثل به في غضون هذه الرسالة من أبيات لشعراء عاشوا في عصور أدبية مختلفة .

والرسالة بعد ذلك تذكّر بشيء من رسالة ابن المعتز في محاسن شعر أبي تمام ومساويه ، فهي تلتقي معها في الملامح ، كالتمثيل بشعر شعراء في عصور أدبية مختلفة ، وفي تفضيل الشعراء السابقين على اللاحقين ، إلا اذا أحسن أو أضاف وجدّد هؤلاء المتاخرون على ما أخذوه ممن تقدمهم من الشعراء ، ولكنها أقصر كثيراً من رسالة ابن المعتز وأقلّ تمثيلًا واستطراداً وإتساعاً وعمقاً في التعليل والمقارنة والاحكام .

وسنكتفي بجزء من أولها وآخر من خلالها للتدليل على اسلوب الرضي ومقارنته ونقده ومفاضلته بين شعر الصابي الذي سنجتزىء بالمقطوعة الاولى منه أيضاً وبين البيتين اللذين كانا محور المعارضة أو التحريك ، كما يقول الصابي .

واعترف الشريف ان اجابته كانت بديهة لا روية ، وكاني به أحسّ بأن بعض أحكامه لم تكن - كما يرتضيها - وانها مسوقة بشيء من

المجاملة ، وعدم الدقة ، فاحتاط واعتذر بالبداهة والارتجال ، وهو ما لم يفعله ابن المعتز في رسالته .

جاء فيها :

(بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو اسحق بن هلال أنشدني أبو نصر بن هارون النصراني الكاتب قال : أنشدني أبي هارون بن ابراهيم قال : أنشدني المبرد بيتين كان يستحسنهما في كتمان السر ولم يذكر قائلهما وهما :

وما السرّ في صدري كَميْتٍ بقبره
لاني رأيت الميت ينتظر النشرا
ولكنني أخفيه حتى كأنني
بما كان منه لم أحِط ساعةً خُبْرا

قال أبو اسحق : فحركني ذلك لان قلت عدة مقطوعات في هذا المعنى ، الاولى منها :

لِسرِّ صديقي بين جنبيَّ معقل
مَداهُ على المستنبطين طويلُ
إذا لقحت أذني به من لسانه
فليس عليها للمخاض سبيلُ

وجاء فيها أيضاً :

(ثم أنفذت ذلك الى حضرة سيدنا الشريف النقيب أبي الحسن بن الحسين بن موسى الموسوي ، وسالته أن يحكم بين المقطوعة الاولى ، وبين أبياتي ، ويذكر ما يختاره منها . فاجاب ـ أدام الله تاييده ـ بما هو نسخته :

وقفت ـ أطال الله بقاء مولاي ورئيسي الشيخ ، وأدام عزّه وتاييده وكفايته وسعادته ونعمته ـ على جميع الابيات التي تضمنتها رقعته وأقرنت بها مخاطبته ، وأمعنت النظر فيها والتقري لها وإعمال الخاطر

في البحث عن معانيها ، والمقابلة بين هواديها وتواليها ، فرأيت كل مقطوعة من مقاطيعه الخمس التي جاش خاطره بها وأجرى رونق طبعه فيها ، تزيد على البيتين اللذين حذا فيما قاله حذوهما ، وسلك مبرزاً طريقهما ، في جودة المعاني وصحة المباني ، وسلاسة الالفاظ وسلامة الصور والاعجاز ، وتناسق الكلام وتمازج النظام . وأنا بتوفيق الله ـ أبدأ بذكر البيتين اللذين أنشدهما صديقنا وشيخنا أبو نصر بشر بن هارون ـ أدام الله عزّه ـ والكلام على معناهما ، ثم أضيف إليهما أول مقطوعة من أبياته ، ثم ما يليها وأحكم بينهما على النسق حتى آتي على آخر ما قاله ـ أدام الله عزه ـ إن شاء الله ، فأقول : ان قول الشاعر :

وما السّرّ في صدري كميت بقبره
لاني رأيت الميتَ ينتظرُ الحشرا

ولكنني أخفيه حتى كأنني
بما كان منه لم أحط ساعة خبرا

معنى مطروق في النظم والنثر جميعاً . وقد كثر تجانب الشعراء أهدابه ، وقرعهم أبوابه ، حتى صار جملًا مذللًا وطريقاً معبّداً ، وكالشيء المألوف الذي لا يرتاح له إذا كُرّر ، لا كالشيء الغريب الذي يهشّ إليه إذا ذكر . فمن ذلك قول حارثة بن عمران النهدي في أبيات له ، وهو أول مَنْ حضرني شعره في هذا المعنى :

وإني لاطوي السّرّ حتى أميته
وأجعل قلبي دونه أبداً قبرا

وقال أشجع السلمي في مثل ذلك :

رُمّتْ ضلوعهمُ على أسرارهم
مقبورة فكأنها لم تُسمعِ

وقال المتنبي أيضاً في مثل ذلك :

وسـرّكمُ في الحشى ميّت

إذا أنشر السّـرّ لا ينشـرُ

وهذا معنى البيتين الاولين بعينه . ولفظ هذين البيتين أيضاً لفظ يدل على تكلف قائلهما ، ونزارة الطبع في شاعرهمَا ، وإن كان قد أغرب قليلاً بقوله : لا أشبّه السرّ في صدري بالميت ، لان ذلك ينتظر دولة النشر ، وهذا باقٍ على عُقَبِ الدهر ، فالمعنى متقارب والغرض مقارب . وما يجري هذا المجرى من الشعر لا يستحسن إلا ممن سبق من المتقدمين الى قوله وكان أبا عذره . فاما المحدث الذي قد نخل الاشعار الكثيرة ، وتصفح الدواوين القديمة ، وكان متبعاً لا مبتدعاً ، وحاذياً لا مخترعاً ، فلا ينبغي له أن يتعرض لمعنى قد سبق إليه ، فيورده على جهتهٖ من غير زيادة عليه ، فتكون الفضيلة للاول باختراعه وتقدّمه ، وتكون النقيصة له باحتذائه وتاخره ، ويا ليته إذا زاد على المعنى المقول زيادة بيّنة ، وألبسه ألفاظاً مستحسنة نسب إليه وترك حينئذ عليه . فعلى هذا القياس إذا لم يُجهد المحدَثُ نفسه في اختراع المعاني وابتداعها ، والكشف عن غوامضها ودقائقها ، والزيادة على مَنْ تقدم فيها ، لم يحصل له تقدّم السابق المنفرد ، ولا حظُّ اللاحق المجتهد . ورُبّ وارد على ساقة الشعراء في الزمان ، وهو على مقدمتهم في التجويد والإحسان . وهذا تشبيث يكون خروجه الى انه ـ أدام الله عزّه ـ قد ابتدع في حفظ السرّ معاني لم يُسبق إليها ، وألفاظاً لم يُشارك فيها ، ولعمري لقد أحسن المتنبي أيضاً لما نحا هذا النحو في قوله :

وللسّـرّ مني موضـع لا ينـالـه

نـديمٌ ولا يُفضي إليـه شـرابُ

إن كان قد أخذه من قول الاول :

تغلغـل حبّ عَثمـةَ في فـؤادي

فبـاديـه مـع الخـافي يَسيـرُ

تغلغــــل حيث لم يبلــغ شـــراب
ولا حـــزن ولم يبلـــغ ســـرورُ

فشنّ عليه غارته ، وأعلق به حبائله ، ونقله من معنى الحب الى معنى السرّ . فتموّه على السامع ، وتشبّه على العالم .

فاما قوله - أدام الله عزّه - في مقطوعته الاولى :

لِســـرّ صـــديقي بين جنبيّ معقـــل
مـــداه على المستنبطين طـــويـــلُ
إذا لقحت أنني بـــه من لســـانـــه
فليس عليهـــا للمخـــاض سبيـلُ

فهو أحسن من المعنى الأول ظاهراً ومفتّشاً ، وأغزر ماءً وورنقاً ، لانه يفيد نلك المعنى ويزيد بغرابة الفرض ولطافته وحسن اللفظ وفصاحته . وما أحسن ما جعل قبول الانن للسرّ بمنزلة اللِّقاح ، وخروجه منها الى اللسان بمنزلة المخاض ، ثم أحال نلك عليها لشدّة كتمانها وضبطها للسانها ، وهذه استعارةواقعة موقعها ومقرطسة غرضها ...)[٧٠] .

والخامسة من رسائله في إجابته الصابي عن رسالة له يهنئه فيها بعيد الفطر ، ونلك في سنة ٣٨٤هـ ، كما تقول الديباجة التي جاء فيها :

(نسخة رقعة كتبها أبو اسحاق اليه يهنئه بعيد الفطر سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ويعتذر من تأخره عنه بالعلّة التي به . وقرن بهذه الرقعة قصيدة يمدحه فيها والابتداء والجواب مثبتان فيما تقدم من هذا الجزء (أنظر ص ٢٧ من رسائل الصابي والشريف الرضي) .

لقد احتوت اجابة الشريف على معانٍ مختلفة ، وإن كانت تدور حول الموضوع الذي نكرته الديباجه . ففيها الإخبار بوصول رسالة

---

(٧٠) نفسه ، ص ٨٢ - ٩٠ .

الصابي ، وفرح الشريف بها وبصاحبها الذي نعت بصفاء الود والحب المحض ، كما دلف الكاتب الى وصف حال الدنيا وتقلباتها ، وأطال في ذلك بعض الشيء ، متخذاً من ذلك وسيلة لمواساة الرجل بمرضه الذي أقعده ، قابلًا عذره من أجل هذا ـ بعدم تمكنه من زيارته في مثل هذا اليوم ، مشيداً بروابط الادب ووشائجه الطريفة والتليدة التي تجمع بينهما ، ومتمنياً لو انفتح قلبه ليطلع على مكانه المكين منه ، ومخبراً إياه باجابته عن رسالته التي جمعت بين الشعر والنثر ، وانه جاراه في رويها دون وزنها ، مسبّباً ذلك ومعلّله ، وهو أمر ذو أهمية كبيرة يكشفه الشريف في نظم الشعر المطبوع البعيد عن الكلفة والتصنع .

جاء في أولها :

(وصلت رقعة مولاي ورئيسي الشيخ ـ أطال الله بقاءه ، وأدام عزّه وتاييده وكفايته ونعمته ـ مُفتتحة من التهنئة بالفطر الذي تجلّى والصوم الذي أجلى ، بما آنسني أنس الوحيد بالقرين والفذ بالجميع . وتهنأت به دون التهاني كلها ووعدته أمام المسارّ باجمعها ، علماً ان دعاءه ـ أدام (الله) عزّه ـ لي وتهنئته إياي يصدران عن قلب غير متقلب وود غير متشعب ، يؤدي عنهما لسان أمضى من العضب فصاحة ، وأقضى من اللهذم جراحة ، وحسبك بمثل هذا اللسان معرباً عن ذاك الجنان . والى الله أرغب في إيناسي ببقائه ، وصلة جناحي أبداً بإخائه ، وألا يسلبنيه ناهضاً باختيار أو قاعداً باضطرار ، بمنّه ولطفه ...) .

ومنها :

(وإذا كنا نناوب الزمان مرتبة فمرتبة ، ونزامله عَقَبة فعقبة ، ونداوله مداولة النظير ، ونساهمه مساهمة القسيم ، فمرة تكون الكرة لنا عليه ، ومرة له علينا ، وتارة تكون الطاعة لنا منه وتارة له منا ، فما أربح وأنجح سعينا وأجزل أقسامنا وأفوز قِداحنا . ومن هذا الذي يسوم الزمان المناصفة ، أو يطلب منه المساهمة ، ويطمع في إقساطه وعدله أو يأمن

من غروره وختله ...) .

ومنها :

(ولِمَ لا وقد وضعنا قدمينا في قِبال واحد ، واستهمنا في طارف من الأدب وتالد ، والله انني لاتمنى أن ينفرج له صدري انفراجة فيرى فيه مكانه المكين ووده المصون ، اللذين لا يشاركه فيهما مشارك ولا يملك موضعه منهما مالك ..) .

وجاء في ختامها :

(وجوابي عن هذه القصيدة في غير وزنها وإن كان على رويّها ؛ لان خاطري جنح بي الى هذا الضرب من الشعر ، ومن عادتي أن أجرى مع بديهته كيف جرت وأعشو الى أول إيماضه ، وألا أرد عِنانه إذا انطلق ، ولا أسد ينبوعه إذا تدفق ، ولا أحمله على اسلوب ولا أعدل عن طريق الى طريق ، طلباً لإسماحه بعفوه ، وتجنباً لاستكراهه على غير طبعه . فإن رأى مولاي ورئيسي الشيخ ـ أطال الله بقاءه ـ أن يتفرس في هذه القصيدة فيغفر زللها ويقوّم ميلها ويُشيد بمحاسنها إشادة الوادّ الناصح ، ويتغاضى عن عيوبها تغاضي الغافر المسامح ، فعل ، إن شاء الله وهو حسبنا ونِعْمَ الوكيل)(٧١) .

والرسالة الأخيرة كانت في عتاب صديق له على تأخير مكاتبته له ، وقد أنشأها بعقب وفاة الصابي ، كما جاء في ديباجتها التي نصّت على انها :

(نسخة كتاب كتبه الشريف الرضي ـ رضي الله عنه ـ الى بعض أصدقائه من الرؤساء بعقب وفاة أبي اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي يعاتبه فيه على تأخير مكاتبته ويصف له ما لحقه على أبي اسحاق من

---

(٧١) نفسه ، ٩٨ ـ ١٠٢ .

القلق والارتماض لما كان بينهما من وكيد المودة ولطيف الالفة[٧٢] ، وينكر محاسنه ويندب فضائله ، وإنما عقبنا بكتب هذا الكتاب ؛ لانه يجري مجرى مرثيته نثراً كما أوردنا مراثيه نظماً) .

والرسالة مفتتحة ـ على نهج افتتاحيات رسائل الرضي ـ بالدعاء للمكتوب اليه على هذا النحو :

(كتابي ـ أطال الله بقاء مولاي ورئيسي ، وأدام عزّه وتاييده ، وكفايته ونعمته ـ عن شوق أليم يقيم ويقعد ، ونزاع نحوه يغور وينجد ...) . ثم ينتقل الكاتب الى عتاب صديقه الذي يبتعد عنه كلما قرب منه ، ثم يلتفت الى الزمان فيماتبه على ما ابتلى به ، أصدقاءه من خطف وإفناء ومنهم خدينه الوفي الصابي الذي أخذ في تعداد فضائله ، والإشادة بمحاسنه ، وبعد ان أطنب في سرد النعوت لصديقه الفقيد ، استقطب كل ما نعته به من كريم الخلال ، وفضائل الشمائل في قوله :

(ولو أردت تعديد مناقبه كلها ، وإيراد مآثره بأسرها ، لاتعبت أناملي وكددت خواطري وعجز الزمان عن إسعادي على استيفائها ، ومعونتي على إحصائها وتعدادها . ولكنه يكفي من جميع التأبين الذي أوردته والرثاء الطويل الذي رددته أن أقول : أبو اسحاق ابراهيم بن هلال ، فلو كان اسم يوضع على جماع الفضل ويكون عَلَمَاً لمجموع النبل في زماننا هذا ، لكان هذا الاسم واستغنى بذكره عن ذكر الثناء الجميل ، واختصرت مسافة القول الطويل) .

وينهي الرسالة عائداً الى الرجل المعاتب فيتمنى له السلامة والعودة الى سالف العهد من المودة والصفاء والثناء .

---

(٧٢) تكشف لنا هذه الرسائل الى ان من أسباب المودة وثناء الشريف على الصابي في حياته ورثائه له بعد وفاته ما كان يسهّله له الصابي ـ بحكم منصبه الخطير في الدولة ـ من أمور كتوليته نقابة الطالبيين وسواها ، كما تقدم .

فمما جاء فيها الى جانب ما تمثلنا به منها قوله في وصف أيام الصفاء بينه وبين معاتبه :

(وأعظم ما على أنَّ جفاءه وإن آلمني ، وازوراره وإن أمضّني وأرمضني ، يزيدانني شوقاً الى ملاحظته ، ويملآنني ارتياحاً الى مناسمته . ويذكرانني أضدادهما من ذلك الأنس الذي مزج النفوس بالنفوس ، وخلط القلوب بالقلوب ، وتلك المودة التي كان ظلها صفيقاً ، ونسيها رقيقاً ، وعَطَفُها فسيحاً ، وروضها ممطوراً مروحاً . وذلك العهد الذي كأنه الربيع في أوانه ، والشباب في إبّانه ، والفتور في الحدق المِراض ، والنسيم إذا نمّ على الرياض . وإذا نُقِلَ الإنسان عن غاية الألفة والمواصلة ، الى غاية الجفاء والمقاطعة من غير تدريج تتمرن به الضمائر ، وتطمئن عليه الأضالع ، كان أثقل محمول عليها وأبلغه نكاية فيها ؛ لأن الانتقال عن الضد الى ضده دفعة واحدة عبء يصعب احتماله ، وجرح يبعد اندماله ...) .

وقوله يصف حاله بعد وفاة الصابي :

(والى الله أشكو دهراً حال دونه وقطع ما بيني وبينه ، وأفردني عنه إفراد الأم عن جنينها والشمال عن يمينها . وبحسب مولاي ورئيسي ـ أدام الله عزّه ـ أنَّ فقده أعرى ظهري على كثرة حُماتي وأنصاري ، وأوحدني على أقاربي وعشائري ، وجرّعني من ثكله غصّة لا أزال أجد مرارتها في لهواتي ، وأحسّ بألمها ما بين أضلاعي أبداً ، ما أطيل لي في الأمد ورخى لي من الطول ، حتى لقد ضاقت لذلك مفاسح قلبي وضعفت حوامل جسمي ، وحننت الى قرب الوفاة وسئمت تكاليف الحياة . فتالله لقد بلغ مني مبالغه الهمّ واشتقني مني بنومه الدهر ، وفجعني به الخطب الهاجم بلا دليل ، والوارد بلا رسول ، وسقاه كاساً فضلتُها مُعدَّة ليَ بعده ، ويا ليته صبّحني بها قبله) .

وقوله في نعت الصابي ، وهو متصل بما تقدم :

(فلقد فجعت منه بغصن الفضائل الوريق ، ولسان المناقب الذليق ، والأروع الذي ما ضلَّ في مسارح الخطوب ، ولم يظلع بأعباء الامور ، ولا التفَّت عليه العظائم إلا فرجها ، ولا استبهمت دونه المضائق إلا ولجها ، ولا جُرِّد في مهمّ إلا كفاه ، ولا استُطِبَّ لداء إلا شفاه ، فأعزِز عليَّ بذلك الوجه الوضّاح واللسان الخطّار ، كيف سكن بعد النزوان ووقف بعد الجولان . وذلك الجنان الذي كان ينبوع البلاغة وقرارة الفصاحة ، كيف غاض بعد الجمام حوضه ، وصوّح بعد الإخضرار روضه ، وتلك الأنامل التي كانت منابت البيان ومغارس الإحسان ، كيف عاث البلى في أطرافها وتحيّف الزمان من أقطارها . ولهفي على تلك الفضائل التي أدرّ لبونها ، وأنبط عيونها ، وفتح مغالقها ونوّر مشارقها كيف أُجرّ بعده لسانها ، وقبض عنانها ، ونضب رونقها وتساقط ورقها) ..

وبعد ، فبيننا من مناسبة الخلائق ومشاكلة الطبائع ، ثم من المودة التي ألّفت بين شخصينا وضربت برواقها علينا ، وما كنا نتهاداه من ألطاف الفضائل ونتشاراه من اعلاق المناقب ، ما يعذرني إنْ أفرط جزعي لفقده ، وانكسفَ[٧٣] بالي من بعده . ولعمري لقد أحببته من حيث لو كان غيري لمقته ، وأقررت بفضله ولو كان سوايَ لجحده ؛ لانه قلّما اتفق رجلان في صناعة إلا وتباينا تباين عداوة ، فكان كل منهما حافراً عن معائب أخيه وحاثياً على الفضائل والمناقب التي فيه) .

وقوله لصديقه في ختام الرسالة :

(فإن رأى مولاي ورئيسي - أدام الله عزّه - أن يتأمل ما كتبت به ويجيبني عنه جواب المعتب المقارب ، لا المنافق الموارب ، والمقرّ النازع لا المضرّ المنازع ، ويعود الى العادة التي ما أليق به لزومَ جادتها وأقبح منه العدول عن محجتها)[٧٤]

---

(٧٣) في الاصل (وانكشف) تصحيف . كسف باله : ساءت حاله .

(٧٤) رسائل الصابي والشريف الرضي ، ١٠٢ - ١١٢ .

وهذه الرسالة أطول رسائله وفيها نعوت الصابي ما ليس في سواها أيضاً . كما ان الكاتب أودع فيها الكثير مما بثّه في الرسائل السابقة من شكوى الزمان وأفعاله غير الحميدة في أبنائه من بني البشر ، كما تمثل بقطعة من مرثيته الدالية في الصابي التي قال فيها : (من المراثي الاعيان والاشعار الاعلام) ، وتمثل كذلك بابيات من قصيدة الصابي النونية في مدح الشريف وشكوى زمانه التي وردت في رسالة له اليه[٧٥] .

وهي بعد كسائر رسائل الشريف ترفل بحلل بلاغته ، وتتضوع بأريج فصاحته ، وان قوله في الصابي ليصدق على الشريف نفسه قبل سواه في انه (ينبوع البلاغة وقرارة الفصاحة) .

ولو أردنا استقطاب ما تناثر من إشارات فنية ، وسمات أدبية عن رسائل الشريف التي ألمحنا اليها في غضون الحديث عنها لقلنا فيها : انها تمثل الى حدٍّ بعيد خصائص الطبقة الثالثة من كتّاب العصر العباسي التي تنماز :

بكثرة الجمل الدعائية ، والسجع والمزاوجة ، وتضمين الشعر ، والميل الى استعمال الجمل القصيرة . والإكثار من الإستعارات والتشبيهات ، والحفاظ على الطبع ، وجودة المعنى ، تزينها بلاغة عالية وفصاحة نادرة[٧٦] .

ويبدو ان أكثر الشعراء إنشاء للرسائل المتنوعة الموضوعات

---

(٧٥) أنظر : القصيدة ، ص ١٥ من الرسائل .

(٧٦) أنظر : تاريخ الادب العربي للزيات ، ٢١٨ ، ط ٢٥ . نهب بعض الدارسين المحدثين الى اعتبار اسلوب الشريف الرضي مماثلًا لاسلوب الإمام علي ، متخذاً من نلك دليلًا على ان بعض الكتّاب المتاخرين قد تكون أساليبهم لا تماثل أساليب عصرهم أو الطبقة التي تمثل كتّاب عصرهم . (يُنظر : تاريخ الادب العربي للزيات ، ٢١٨) . ولو اطلع على رسائل الشريف هذه لعدّل رأيه أو غيّره .

المختلفة الاطوال هو أبو العلاء المعري[٧٧] . ورسائله ـ كما ذكرها مَنْ كتبوا عنه ـ تقع في ثلاثة أقسام :

(الاول : رسائل طوال تجري مجرى الكتب المصنفة ككتاب رسالة الغفران ، وكتاب رسالة الملائكة .

الثاني : رسائل دون هذه الرسائل في الطول كرسالة المنيح ...

والثالث : الرسائل القصار التي جرت بها العادة في المكاتبة)[٧٨] .

وانطلاقاً من هذا التقسيم لرسائل المعري ، فسنتحدث عن رسائله التي استطعنا الوقوف عليها والتي حققت ونُشرت في كُتب خاصة بها ، أو ما جاء في غضون بعض المؤلفات .

فمن رسائله القصار بالقياس الى رسائله الاخر ، الرسالة الإغريضية[٧٩] التي أرسلها أبو العلاء الى أبي القاسم الحسين بن علي المغربي الذي نعته بالوزير الرئيس .

يبدأها بالسلام على الحكمة المغربية ، والالفاظ العربية ، وهو يريد بذلك المكتوب اليه ، ثم يسترسل في الثناء على الرجل ، والحديث عن بعض الكتب ، كاصلاح المنطق الذي ذكر ما اشتمل عليه من شواهد مبيناً رأيه في التاليف وما يعتوره من قصور أو تقصير ، ثم يتحدث عن الادب وموقفه منه ، كما يتحدث عما له من النشب الذي وصفه ببلغتين : بُلغة صبر ، وبُلغة وَفْر ، مشيراً الى مكاتبة المغربي ، ومنهياً لها بخبره عن رسالة أولى له الى هذا الرجل ، وقد عرضت بالمعرض الكريم ، متوخياً ان يكون لاختها ذلك الموقع الكريم أيضاً .

---

(٧٧) توفي سنة ٤٤٩هـ (الاعلام ١/ ١٥٠).

(٧٨) رسالة الملائكة (ب) .

(٧٩) الاغريض : ما ينشق عنه الطلع من الحبيبات البيض ، والبَرَد ، وكل ابيض طري . وهذه المعاني كلها مناسبة لعنوان الرسالة .

فمما جاء في أولها قوله :

(بسم الله الرحمن الرحيم وبه الإعانة

السلام عليك أيتها الحكمة المغربية ، والالفاظ العربية ، أيّ هواء رقاكِ ، وأيّ غيث سقاك ، بَرقه كالإحريض ، وَوَدْقه مثل الإغريض ، حللت الرُبوة ، وجللت عن الهَبوة ، أقول لكِ ما قال أخو نمير ، لفتاة بني عُمير :

زكــــالــكِ صـــالــح وخــلاك ذمّ
وصبّحـــــك الأيـــــامنُ والسعــــودُ

لانا آسف على قربك من الغراب الحجازي ، على حُسن الزّي ، لمّا أقفر ، وركب السّفر ، فقدم جبال الروم في قوّ ، أنزل البرسّ من الجوّ ، فالتفت الى عطفه وقد شمطِ فاسِي ، وترك النعيب أو نَسِي ، وهبط الى الارض فمشى في قيد ، وتمثّل ببيت دريد :

صَبا ما صَبا حتى علا الشيبُ رأسَه
فلمّـــا عـــلاه قـــال للبـــاطـــل ابعـــدِ

وأراد الإياب ، في ذلك الجلباب ، فكره الشّمات ، فكمِدَ حتى مات ، ورُبَّ وليّ أغرق في الإكرام ، فوقع في الإغرام ، إبرام السّام ، لا إبرام السّلَم ، نحرس الله سيدنا حتى تدغم الطاء في الهاء ، فتلك حراسة بغير انتهاء ، وذلك ان هذين ضدان ، وعلى التضاد متباعدان . رَخْو وشديد ، وهادٍ وذو تصعيد ، وهما في الجهر والهمس ، بمنزلة غدٍ وأمس ، وجعل الله رتبته التي كالفاعل والمبتدأ ، نظير الفعل في انها لا تنخفض أبداً ، فقد جعلني : إن حضرت عرف شاني ، وإن غبت لم يجهل مكاني ، كياني النداء ، والمحذوف من الإبتداء ، إذا قلت : زيدُ أقبِلْ ، والإبل الإبل ، بعدما كنت كهاء الوقف إن أُلقِيتُ فبواجب ، وإن ذكرت فغير لازب ...) .

ومنها قوله :

(وأنا أعد نفسي مراسلة حضرة سيدنا الجليلة عِدة ثريّا الليل ،

وثريّا سهيل ، هذه القمر ، وتلك عمر ، وأعظمه في كل وقت ، إعظاماً في مقةٍ وبعض الإعظام في مقت ، فقد نصب للآداب قبّة صار الشام فيها كشامة المعيب ، والعراق كعراق الشَعِيب ، أحسبَ ظلالها من البردين ، وأغنت العالم عن الهندين ، هند الطيب ، وهند النسيب ، ربّة الخِمار ، وأرباب قمار ، أخدان التجر ، وخديجة الهجر . ما حاملة طوق من الليل ، ويُرّد من المرتبع مكفوف الذيل ، أوفتِ الاشاء ، فقالت للكئيب ما شاء ، تسمعه غير مفهوم . لا بالرَمل ولا بالمزموم ، كان سجيعها قريض ، ومُراسلها الغريض ، فقد مادَ لشجوها العود ، وفقيدها لا يعود ، تندب هديلًا فات ، وأتيح له بعض الآفات ـ بأشوق الى هديلها من عبده الى مناسمة أبنائه ، ولا أوجد على إلفها منه على زيارة فِنائه ...) .

ومنها في مدح الرجل :

(وسيّدنا الوزير ـ أطال الله بقاءه ـ القائل النظم في الذُكاء مثل الزهر ، وفي النقاء مثل الجوهر ، تحسب بادرته التاج ، ارتفع عن الحِجاج ، وغابرته الحِجْل ، في الرِجل ، يجمع بين اللفظ القليل ، والمعنى الجليل ، جمع الأُفعوان في لعابه بين القِلّة ، وفقد البِلّة ، خَشنَ ، فحسن ، ولانَ ، فما هان ، لِين الشكير ، يدل على عتق المحضير ، وحَرَش الدينار ، آية كرم النجار ، فصنوف الاشعار بعده كألف السَلْم ، يلفظ بها الكلام ، ولا تثبت لها هيئة بعد اللام ، خلص من سبك النقد خلوص الذهب ، من اللهب ، واللجين ، من يد القين ...) .

ومنها في الحديث عن اصلاح المنطق :

(مثل يعقوب مثل خود كثيرة الحلي ضاعفته على التراق ، وعطلت الخصر والساق ، كان يوم قدوم تلك النسخة يوم ضريب حشَرَ الوحش مع الإنس ، وأضاف الجنس الى غير الجنس ، ولم يحكم على الظباء ، بالسباء ، ولا رمى الآجال ، بالاوجال ، ولكنّ الاضداد تجتمع ، فتستمع ، وتنصرف بلذات من غير أداة ، وان عبده موسى لقيني نقابا ، فقال : هلم

كتابا ، يكون لك شرفا ، وبموالاتك في حضرة سيدنا ـ أطال الله بقاءه ـ معترفا ...) .

ومنها في الحديث عن الادب :

(وقد كنت عرّفت سيدنا في ما سلف ان الادب كمهود في غب عهود ، أروت النجاد فما ظنك بالوهود ؟ واني نزلت في ذلك الغيث ببلد طسْم ، كاثر الوَسْم ، منه القِراع ، من الإمراع ، يابُوسَ ، بني سدوس ، العدو حازب ، والكلا عازب ، يا خِصب بني عبدالمدان ، ضأن في الحُزُبّثِ وإبل في السَعدان ، فلما رأيت ذلك أتعبت الاظل ، فلم أجد إلا الحنظل ، فليس في اللّبيد ، إلا الهَبيد ، جنيته من شجرة اجتثت من فوق الأرض فما لها من قرار . لبَنُ الإبل عن المُرارمُـرّ ، وعن الإدراك طيّب حُـرّ .

هذا مثلي في الأدب ، فأما في النشب ، فلم تزل لي بحمد الله تعالى وبقاء سيّدنا بُلغتان : بُلغة صبر ، وبُلغة وَفْر ، أنا منهما بين البليلة المرعية ، واللّقُوح الرِبعية ، هذه عام ، وتلك مال وطُعام ...) .

ومنها في ختامها :

(وأنا في مكاتبة حضرة سيدنا الجليلة ، والميل عن حضرة سيدنا الأجلّ والده ـ أعزّ الله نصره ـ كسبأ بن يعرب ، لما ابتهل في التقرب ، الى خالق النور ، ومصرّف الامور ، نظر فلم يرَ أشرق من الشمس يداً ، فسجد لها تعبّداً ، وغير ملوم سيدنا لو أعرض عن شقائق النعمان الربيعية ، ومدائحه اليربوعية ، مللًا من أهل هذه البلد المضاف الى هذا الاسم ، فغير معتذر ، ان أبغض لاجلهم بني المنذر ، وهم الى حضرته السنية رجلان : سائل وقائل ، فاما السائل فالح ، وأما القائل فغير مستملح ، وقد سترت نفسي عنها ستر الخميص ، بالقميص ، وأخي الهتْر ، بسجوف الستر ، فظهر لي فضله الذي مثلَهُ مثَلُ الصبح إذا لمع تصرّف الحيوان في شؤونه وخرج من بيته اليربوع ، وبرز الملك من أجلّ الرُّبوع ، وقد يولع الهِجْرس ، بان يجرس ، في البلد الجَرْد ، قدّام الاسد

الوَرْد . واني خبّرت ان تلك الرسالة الاولى عُرضت بالمعرض الكريم : فأوجبَ ذلك رحيل أختها ، متعرّضة لمثل بختها ، وكيف لا تنفع ، وفي اليمّ تقع ، وهي بمقصد سيّدنا فاخرة ، ولو نُهِيثُ الاولى لانتهت الآخرة)[٨٠] .

انطلق أبو العلاء انطلاقاً كبيراً في المقارنة والتمثيل لما يعبّر عنه بالمصطلحات العلمية ، كالعروض ومتعلقاته والنحو والصرف وما يتصل بهما ، كما لجأ الى السجع ، الذي وشح به الرسالة بكاملها ، كما عنى بقصر العبارات حتى لتكاد تقترب جداً من الشعر ، كما أودعها شيئاً غير قليل من غريب الألفاظ ، وتمثل بعدد من شعر الشعراء : كأخي نمير ودريد السعدي . وهذه كلها وردت فيما اخترناه من أجزاء هذه الرسالة التي تقع في أكثر من ثماني صفحات ونصف .

ويبدو ان المعري كان يتوخى من ميله الى مثل هذا الاسلوب الذي يجنح الى التعقيد والغرابة في رسالته هذه ، ـ وما سيأتي من رسائله ـ إظهار براعته اللغوية ، وغزارة حفظه لشواردها واطلاعه الواسع على الحوادث والاعلام أكثر من أي شيء آخر .

ومن رسائله القصار ما كتب به الى صاحب خزانة الكتب ببغداد بعد رجوعه منها ، وقد استهلها بالدعاء للمكتوب اليه ـ وهو عبدالسلام بن الحسين ـ بطول العمر الذي تمثل ببعض العبارات الغريبة الدالة على المكوث والبقاء والخلود ، كما تمثل ببيتين من الشعر في الشوق والحنين . والرسالة برمتها في الدعوة الى شوقه وحنينه الى الرجل ، وأنهاها باهدائه السلام الى الشيخ والى أصدقائه وغلمانه .

والرسالة مفعمة بغرابة الألفاظ والجنوح الى التعقيد والجمل الدعائية وهي مسجوعة ، وكثيرة التحسينات ، وتتراوح جملها بين القصر والطول . منها قوله :

---

(٨٠) صبح الاعشى ، ١٨٣/١٤ ـ ١٩١ .

(أطال الله ، بقاء سيدي الشيخ الى أن تنتقل غُرَيّا ، وتنطق العرب بمكبّر الثريّا ، وأدام عزّه الى أن يصير إراب ، وهو باز في الجو أو غراب ، كم أكتب فلا يصل ، وأنا من ذلك متنصل :

يا حبّذا جبل الريّان من جبل
وحبّذا ساكن الريّان مَنْ كانا
وحبّذا نفحات من يمانية
تأتيك من قِبل الريّان أحيانا

... وأسفي لفراق سيدي الشيخ ـ أدام الله عزّه ـ أسف ساق حُرّ ، ساقه الطرب الى الحَرّ ، توارى بالوريقة ، من حَرّ الوديقة ، كأنه قينة وراء ستر ، أو كبير حجب في الهِتْر ، في عنقه طوق ، كرب يفصمه الشوق ...) .

وبعد ان يمضي في إيراد ما غرب من الألفاظ ، ينهي الرسالة بقوله :

(وأنا أهدي الى سيدي الشيخ ـ جمّل الله الدنيا ببقائه ـ والى جماعة أصدقائه وغلمانه سلاماً يؤنس موحش الإمرات ، ويتصل من الشام الى الصَّراة ، إذا مرّ بموقدي نار غضوية حسبوا غَضاها قطراً ، لتركه الهواء عطراً)[٨١] .

وعلّق بعض دارسي نثر المعري على هذه الرسالة بقوله :

(وأنت ترى هذه الرسالة وقد غلا فيها أبو العلاء في استخدام اللفظ الغريب ، وكان يفزع دائماً الى ذلك في آثاره ورسائله)[٨٢] .

كما قال عنها في موضع آخر : (وماذا في رسالة أبي العلاء التي قرأناها الآن من معانٍ سوى انه أراد أن يصف شوقه الى صاحبه فذهب يبالغ ويلف ويدور على هذا النحو ، فإذا هو يصور أسفه على فراقه بأسف

---

(٨١) الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ط ٤ ، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

ساق حر ينوح على إلف غادره ، وانه ليطيل في هذا المعنى ويبعد ، حتى يأتي بكل ما يستطيع من لفظ غريب)[٨٣] .

ومن رسائله المتوسطة الطول (رسالة الهناء)[٨٤] ، التي قال عنها محققها : (هذه هي رسالة الهناء ، وهي ـ كما تبدو لقارئها ـ رسالة بعث بها أبو العلاء الى بعض معاصريه من الكبراء ويهنئه فيها بقدوم وزير السلطان (شبل الدولة)[٨٥] اليه ونزوله عليه . ولا نعلم ـ من شان هذين الكبيرين أو الوزيرين أو المشيرين أكثر مما أفضى به الينا أبو العلاء في ثبت هذه الرسالة ، فأدركنا من سياقه ان كليهما كان مشيراً للسلطان شبل الدولة الذي ألفت في عهده رسالة الغفران ، كما ينم بذلك قول شاعرنا ...)[٨٦] .

تبدأ الرسالة بالتهنئة على هذه الشاكلة :

(هناء يقرن به نور وسناء ، بل تهانىء ، يُرغم لهن الشانىء ، ترادفَ الى حضرة الاستاذ ـ طال عمره في السعد الطالع ، ما خلد ركنا متالع ـ بقدوم الاستاذ حليف الجلالة أبي عليّ ، لا فتىء ـ للزمن ـ أنفس

---

(٨٢) نفسه ، ٢٧٢ .

(٨٣) نفسه ، ٢٧٣ .

(٨٤) نشر الرسالة كامل كيلاني في ١٢٤ صفحة ، قدّم لها بمقدمة تحدث فيها عن اسلوب أبي العلاء في كتبه الاخرى ، كسقط الزند ورسالة الغفران ، كما تحدث عن مجاملته ومداراته وتقيته ، وتمثل بعدد من نصوص رسالة الهناء هذه ، واستغرقت المقدمة سبعين صفحة ، كما ملئت حواشي الرسالة بالتعليقات المستفيضة المنقولة نصوصها من لزومياته ورسالة الغفران ، وهو عمل ـ في اعتقادنا ـ مجانف لعملية التحقيق العلمي السليم . والطريف ان الرسالة لو جردت من هذه التعليقات لما جاوزت إحدى عشرة صفحة .

(٨٥) أبو كامل نصر بن صالح بن مرداس الكلابي ، شبل الدولة ، صاحب حلب ، قتل سنة ٤٢٩هـ . (الاعلام ، ٣٤٢/٨) .

(٨٦) رسالة الهناء ، ٣ ـ ٤ .

حُليّا فهو بهما يهنأ ، خضب لونه اليَرنأ ، إذ هو أحَمُّ أو أحمرُ)[٨٧] .

ثم يمضي المعري في الثناء على الرجلين قائلًا :

(فأما الاستاذان الجليلان ـ زاد الله ضياء الايام ببقائهما ـ فلا يعدل بهما الاصفران ، إذا ترجم عنهما بالذهب والزعفران ، وإن كان أحدهما طِيباً يُنشق ، والآخر مالًا يدّخر وينفق . ولكنهما في الهداية مثل الفرقدين ، وأوانهما في النصفة كأوان العمرين ، نوقن انهما ربّقا نبأ يسمّى الوزارة ، متى سمّى في الحسب رَوْقا فزارة ، يكونان للسارية فرقدي ليل ، ولا يصفهما الواصف بسابقيْ خيل)[٨٨] .

كما يستمر في مدحهما وتقريظهما على هذا النحو :

(حرسهما الله شهري ربيع ، وما عنيت شهرين ، يعرفان في السنة بهلالين ، ولكن أردت نيسان وأخاه ، والحقُّ يضحُ لمَنْ وخاه ، فانهما ربيعا عام ، يجيئان البشر بالإنعام ، الأوّل يُجني الثمار ، والآخر يُسنى الازهار)[٨٩] .

وقبل إنهاء الرسالة بقليل يكرر إطراء الرجلين ، فيقول :

(وسيدانا الاستاذان : أنلّ الله معاندهما أخرى المنون الى الابد ، إذا كان السلطان المكرّم شبل الدولة أسد النجوم ، كانا ـ لا محالة ـ نراعيه ، وان أغلق باب الرأفة فتحا مصراعيه ، والله بكرمه ينعم على الرعية ، بمدّ البقاء لهما منعمين ، كالسماكين ـ في النباهة ـ أو المِرزمين ، فقد نشأ للعدل عارض ، ينتعش منه البارض ، كما قال الفرزق :

---

(٨٧) نفسها ، ٧١ ـ ٧٢ .

(٨٨) نفسها ، ٨٦ ـ ٨٧ .

(٨٩) رسالة الهناء ، ٩٢ ـ ٩٣ .

يـــا مَنْ رأى عـــارضـــاً أرقتُ لـــه

بين نراعيْ وجبهـــــة الاســــد)[٩٠]

والرسالة ـ كما يتضح من الاجزاء التي تمثلنا به منها تمتاز بقصر عباراتها وسجعها ، حتى ليبدو كثير منها أقرب الى الشعر منه الى النثر المعهود ، كما اشتملت على شيء من الغريب وأسماء أشخاص لهم موقع واضح في مجال الادب والتاريخ ، كما انطوت على ذكر لبعض الحوادث المشهورة في التاريخ ، كما دار الحوار في بعضها على ألسنة الحيوان : كالاسد والفار والهرّ وبعض جوارح الطير .

والرسالة بعد هذا كله ظاهرة التكلف ، واضحة الدلالة على المجاملة ، ولعل هذا ما ألجأ المعري الى الاسلوب الذي أدار فيه محاور الرسالة بكاملها .

ومن رسائله (رسالة الملائكة)[٩١] ، التي أجاب بها أسئلة بعضهم . ونرى الاستئناس بما كتبه عن فحواها وقيمتها وموقع المعري فيها من أشرف على تحقيقها ونشرها .

جاء في الحديث عن محتواها ما يلي :

(تشتمل هذه الرسالة على مقدمة وعلى الاجوبة عن المسائل التي سئل عنها أبو العلاء ، أما المقدمة ، فقد ذكر فيها إحدى وعشرين مادة ، كما أسلفنا ، وهذه المواد فيها من كل وادٍ عصا ، ومن كل باقة زهرة . وقد أراد أبو العلاء أن يجعل لها مناسبات تجعل منها وحدة جامعة لهذه الالفاظ ، وآصرة محكمة بين كل واحد وآخر ، فجعل نفسه

---

(٩٠) نفسها ، ١٠٨ ـ ١٢١ .

(٩١) تقع الرسالة في (٣٠٤) صفحات ، وفيها من التعليقات والحواشي المستفيضة ما لو اقتصر منها على القليل لما بلغ حجم الرسالة النصف مما هي عليه الآن .

كانه أشرف على الموت وأراد أن يدافع ملك الموت ويشغله بالبحث عن أصل ملك واشتقاقه ، ثم جعل نفسه كانه دخل القبر فذكر أسماء لبعض الملائكة ، ثم خرج الى المحشر فتصدى الى البحث عن أسماء مسميات تكون في الجنة أو النار.

وجعل من ذلك صورة خيالية ترتاح اليها النفس ، واستطاع بسببها أيضاً أن يجمع بين تلك الألفاظ التي تكلم فيها ، ولولا هذه الصورة لما وجد الإنسان مناسبة بين ملك وجهم والكمثرى وطوبى والسندس وغيرها وبهذه الصورة دلَّ على قدرة واضطلاع بهذا العلم وسعة اطلاع على الغريب والنادر والفصيح.

وأما الأجوبة فالمذكور منها أشرنا الى ان بعضه لا علاقة له بعلم الصرف وان بعضه غير مذكور وهو القول في ياجوج وماجوج والقول في السمَهى في الحديث (أنا فرط القاصفين). وهذه لا نستطيع الحكم على ما تكلمه فيها لعدم وجوده في النسخة ، ولاننا لم نطلع عليه في غيرها)[٩٢].

أما الحديث عن قيمتها فجاء :

(لم يصل الينا شيء كثير من كتب المتقدمين المختصة بعلم التصريف أو الصرف ، وكل ما أمكننا العثور عليه من هذا العلم مسائل ذكرها سيبويه في كتابه ، والمفصل وشروحه وشراح الالفية والكافية والشافية والمراح والعزى ونحوها ، ولم يوقف الاطلاع على كتب الائمة المتقدمين من البصريين والكوفيين وغيرهم ، وإنما وقفنا على أقوال موجزة منقولة عنهم وفيها ما لا ترتاح اليه النفوس ، إما لذكره بغير تعليل ، وإما لعدم إقامة دليل عليه ، وإما لاختصار في بسط ذلك.

ومَنْ وقف على رسالة الملائكة اتضح لديه ان هذا العلم بلغ الذروة

---

(٩٢) رسالة الملائكة ، ص ي ك.

القصوى في ذلك العهد ، وان لرجاله باعاً طويلًا في معرفة الابنية وضبطها ووضع المقاييس ورعايتها وقدرة على البحث عن أصول الكلمات واشتقاقها وردها الى أصولها ، ومعرفة الشاذ والنادر منها ، وبراعة في تعليل الاحكام وإيراد الادلة والشواهد ، وما شاكل ذلك من الامور التي تدل على سعة في المدارك ، ونموّ في الملكات ، وغزارة في المادة .

فهذه الرسالة تمثل لنا صورة تامة عمّا وصل اليه هذا العلم في ذلك العصر والعصور التي قبله ، وعما بلغ اليه العلماء فيه ، كما تمثل لنا صورة كاملة عمّا يتمتع به العلماء من حرية القول والإقدام على نقد الائمة ودحض حججهم ومناقشتهم في الدقيق والجليل من المسائل .

وقلَّما رأينا كتاباً يمثل ذلك كله بالقدر الذي تمثله هذه الرسالة)[٩٣] .

وهذه الرسالة ـ كما ذكر محققوها ـ بينت الكثير من مظاهر ثقافة المعري ، وشخصيته العلمية التي تتجلى في :

سعة خياله ، ونقده العلماء والائمة ، واعتداده بنفسه ، وعدم اعتداده برأي غيره ، وثقته بعلمه ، وسعة اطلاعه على اللغة ، وقدرته على ردّ الكلمات الى الاصول ، ومعرفته القراءات المتواترة وغيرها ، وكثرة ما يحفظه من قواعد هذا العلم وضوابطه العامة ، وما يحفظه من القواعد والضوابط العامة اللغوية ، وكثرة محفوظه من الشواهد ، والاستقصاء في البحث والقدرة على إيراد الادلة والامثلة ، ومقايسة الاشياء بنظائرها ، والاختراع[٩٤] .

أما ما نمثله من نصوص هذه الرسالة فسنكتفي بجزء من أولها ؛ لنتبيّن طريقة تناول المعري الموضوع ، وكيفية معالجته ، تحاشياً للاطناب ، وتوخياً للإيجاز ، واكتفاء بما يدل على سائر ما في الرسالة .

---

(٩٣) نفسها ، ص م .

(٩٤) أنظر : رسالة الملائكة ، ص ن ـ ص .

قال :

(بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيق إلا بالله .

قال أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي : الحمد لله ربّ العالمين وصلواته على سيدنا محمد وعترته المنتخبين ، ديانة مولاي الشيخ ـ أدام الله عزّه ، وسلّم جسده ونفسه ـ تبعث مَنْ سمع بذكره على الشوق الى حضرته ، فإذا أضيف اليها علمه وأدبه ، همّ أن يطير بالمشتاق أريه . وليس مولاي الشيخ بأول رائد ظعن الى الارض العازبة فوجدها من النبات قفراً ولا بآخر شائم ظن الخير بالسحابة فكانت من قطر صفرا ، وقد شهر بالفضل وسمه والمعرفة به اسمه . جاءتني منه فوائد كأنها في الحسن بنات فَخْرٍ فانشات متمثلًا ببيت صخر :

لعمري لقد نبهت مَنْ كان نائماً

وأسمعت مَنْ كانت له أذنان

ان الله يُسمع مَنْ يشاء ، وما أنت بمسمع مَنْ في القبور ؛ أولئك ينادون مَنْ كان بعيداً[٩٥] . وكنت في غيسان الشبيبة أود انني من أهل العلم فشجنكني[٩٦] عنه شواجن غادرتني مثل الكرة وهي المحاجن ، فالآن مشيت رويداً ، وتركت عمراً للضارب ، وزيداً ، وما أوثر أن يزاد في صحيفتي خطأ في النحو فيخلد آمناً من المحو ، وإذا صدق فجر اللّمّة ، فلا عذر لصاحبها في الكذب ، ومَنْ لمعذّب العطش بالعذْب ، وصدق الشَعَر في المفرق يوجب صدق الإنسان الفرق ، وكونُ الحالية بلا خُرْص أجملُ من التخرص ، وقيام النادبة بالمعانب أحسنُ بالرجل من أقوال الكاذب .

---

(٩٥) كذا العبارة فهل الاصل (ينادون من مكان بعيد) .

(٩٦) في الاصل : (فشجتني) وهو خطأ مطبعي على ما يبدو .

وهو ـ أدام الله الجمال به ـ يلزمه البحث عن غوامض الاشياء ؛ لانه يعتمد بسؤال رائح وغاد ، وحاضر يرجو الفائدة وباد ، فلا غرو إن كشف عن حقائق التصريف وأصبح للنكرة التعريف ، وتكلم في همزٍ وإدغام ، وأزال الشبه من صدور الطغام .

فاما أنا فحلس البيت ، إلا أكن الميت ، فشبيه بالميت ، لو أعرضت الاغربة عن النصيب إعراضي عن الادب والاديب ، لاصبحتْ لا تحسن نعيبا ، ولا يطيق هرِمُها زعيبا .

ولما وافى شيخنا أبو القاسم علي بن محمد بن همّام بتلك المسائل ألفيتها في اللذة كانها الراح يستفزّ من سمعها المراح ، فكانت الصهباء الجرجانية طُرِف بها عميد كفر بعد ميل الجوزاء وسقوط الغفْر ، وكان عليٌ يحياها ، جلب إلينا الشمس وإياها ، فلما جليت الهَدِيّ ذكرتُ ما قال الاسدي :

فقلت اصطحِّبها أو لغيري فاهدها
فما أنا بعد الشيبِ وبيك والخمر
تجاللت عنها في السنين التي مضت
فكيف التصابي بعدما كلا العمر

وما رغبتي في كوني كبعض الكروان تكلم في الخطب جرى ، والظليم يسمع ويرى . فقال الاخنس أو الفراء ، أطرق كرا أطرق كرا ، ان النعام في القرى ، وحق لمثلي ألا يسال ، فإن سئل تعين عليه ألا يجيب ، فإن أجاب ففرض على السامع ألا يسمع منه ، فإن خالف باستماعه ففريضة ألا يكتب ما يقول ، فإن كتبه فواجب ألا ينظر فيه ، فإن نظر فيه فقد خبط في عشواء ، وقد بلغت سنّ الاشياخ وما حار بيدي نفع من هذا الهذيان . والظعن الى الآخرة قريب افتراني أدافع ملك النفوس فاقول : أصل ملك مالك . وإنما أخذ من الالوكة وهي الرسالة ، ثم قلب ويدلنا على ذلك قولهم : الملائكة في الجمع ؛ لا الجموع تردّ الاشياء الى أصولها . وأنشد

قول الشاعر :

فلست لا نسيٍّ ولكن لمـــــلاكٍ
تنـــزل من جـوّ السمـــاء يصـــوب

فيعجبه ما سمع فينظر في ساعة لاشتغاله بما قلت . فإذا همَّ بالقبض قلت : وزن ملك على هذا القول مَعَل ؛ لأن الميم زائدة . وإذا كان الملك من الالوكة فهو مقلوب من ألك الى لاك ، والقلب في الهمزة وحروف العلة معروف عند أهل المقاييس . فأما جذب وجبذ ولقم الطرق ولمقه ، فهو عند أهل اللغة قلب ، والنحويون لا يريدونه مقلوباً ، بل يريدون اللفظين كل واحد منهما أصل في بابه . فوزن الملائكة على هذا معافلة ؛ لأنها مقلوبة عن مألكة ، ومنه قالوا : الكني الى فلان ، قال الشاعر :

الكني الى قـومي السلام رســالـة
بـآيـة مـا كـانـوا ضعـافـاً ولا عـزلا

وقال الاعشى في المألكة :

أبلـــغ يـزيـد بني شيبـان مـألكـة
أبـــا ثُبَيْت أمـــا تنفـــكّ تـــأتكـــل

فكأنهم فروا في الملائكة من ابتدائهم بالهمزة ، ثم يجيئون بعدها بالألف فرأوا ان مجيء الالف أولًا أخفّ ، كما فروا من شأى الى شاء ، ومن نأى الى ناء . قال عمر بن أبي ربيعة :

بــان الحمـول فمـا شـأونـك نَقـرة
ولقـــد أراك تشـــاء بـــالاظعـــانِ

وأنشد أبو عبيدة :

أقـول وقـد نـاءت بهم غـربـة النـوى
نـــوىً خَبتقـــورُ لا تشِطّ ديـــارُكِ

فيقول الملك : مَنْ ابنُ ربيعة ، وما أبو عبيدة ، وما هذه الاباطيل ، إن كان لك عمل صالح فانت السعيد ، وإلا فاخسأ وراءك ، فاقول امهلني ساعة حتى أخبرك بوزن عزرائيل فأقيم الدليل على ان الهمزة زائدة فيه ، فيقول الملك : هيهات ليس الامر إليّ ، ﴿ إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون ﴾ . أم تراني أداري منكراً ونكيرا ، فاقول : كيف جاء اسماكما عربيين منصرفين ، وأسماء الملائكة أكثرها من الاعجمية ، مثل : اسرافيل وجبريل وميكاييل ، فيقولان : هات حجتك ، وخل الزخرف عنك ، فاقول متقرباً إليها : قد كان ينبغي لكما ان تعرفا ما وزن ميكاييل وجبريل على اختلاف اللغات فيهما ، إذ كانا أخويكما في عبادة الله ، فلا يزيدهما ذلك عليّ إلا غلظة ، ولو علمت انهما يرغبان في مثل هذه العلل لاعددت لهما شيئاً كثيراً من ذلك ...)[٩٧] .

* * *

ومن رسائله المطولة (رسالة الصاهل والشاحج) ، وهي في حقيقتها كتاب كبير[٩٨] ، كتبها لعزيز الدولة أبي شجاع فاتك صاحب حلب[٩٩] : (تحت ضغط إلحاح من أبناء أخيه ، لكي يرفع مظلمتهم الى والي حلب (السيد عزيز الدولة ، وتاج الملّة أمير الامراء ، أعزّ الله نصره) ، وهي تتعلق بأرض لهم قاحلة . رفع الجباة الى العزيز ان عليها مالًا ينبغي أن يؤدوه الى بيت المال)[١٠٠] .

---

(٩٧) ص ١ - ٩ .

(٩٨) تقع الرسالة مع مقدمة المحققة في (٨٠٦) صفحات ، علماً ان المقدمة والفهارس استغرقت (١٧٦) صفحة .

(٩٩) أنظر عن عزيز الدولة الذي عين والياً على حلب سنة ٤٠٧هـ ، وما كان يتحلى به من صفات ، مقدمة المحققة ، ص ١٦ .

(١٠٠) مقدمة المحققة ، ص ٢٣ .

والرسالة تسجل أحداثاً مهمة وقعت في زمن إنشائها[١٠١] ، يبيّن ذلك الحوار بين الشاحج والصاهل الذي (يدور كله حول جفلة الناس من شائعة غزو متوقع ، ثم عودة الجالين بعد صفاء الجو بين حلب ومصر . وفيه ينقل أبو العلاء بلباقة أخباراً عن مفاوضات وهدايا بين عزيز الدولة وملك الروم ، وعشرات من غلمان الروم جاءوا الى حضرة عزيز الدولة هدية من الطاغية ...)[١٠٢] .

والرسالة عبارة عن حوار بين فرس وبغل ، ووقفت محققتها وقفة علمية حول علاقة هذه الرسالة بكتاب كليلة ودمنة ، وبعد ان سردت معرفة العرب لمنطق الحيوان قبل كليلة ودمنة ، قالت :

(الامر يختلف اختلافاً جوهرياً في (رسالة الصاهل والشاحج) : فليست مجموعة من حكايات شتى ، بل قصة واحدة مترابطة الفصول والمشاهد . وهي لا تؤدّى بطريق الحكاية والسمر لسوق العبرة ومضرب المثل ، بل صيغ الحوار فيها على طريق التشخيص والإخراج التمثيلي الزاخرة بالحركة والحيوية ، وكاننا نشهد تمثيلية يؤديها شخوص من البهائم ، مكانها حيث يقف (الشاحج) معصوب العينين في موضعه بمعرة النعمان ، وموضوعها الرئيسي تصوير لما كان من جفلة الناس لما يتوقعون من خروج باسيل ملك الروم لغزو حلب ، رغم ظاهر القطيعة بينه وبين عزيز الدولة)[١٠٣] .

ولطول الرسالة سنجتزىء بأمثلة منها للدلالة على اسلوب المعري فيها . فمما جاء في أولها قوله :

---

(١٠١) ترى المحققة ان زمن إنشائها لا يتجاوز ما بين أواخر سنة ٤١١ وسنة ٤١٢هـ ، (المقدمة ، ٢٧) .

(١٠٢) رسالة الصاهل والشاحج ، مقدمة المحققة ، ص ٢٨ .

(١٠٣) رسالة الصاهل والشاحج ، ٣٩ .

(بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم تسليما ،

قال أبو العلاء ، أحمد بن عبدالله بن سليمان رحمه الله :

أسلّم على الحضرة العالية تسليم العاجز المقصّر ، كما ينظر الهادي المدلج الى فرقد الليل ، واليمانيّ المُشيم الى سهيل ، وأصحاب الراح يتعوذون من مُغنٍ إذا ارتجل شُتِم ، وإذا سكت صين وأُكرم . وأنا أمتّ بحق التخفيف ، قال بعض الرُعاة : (لا تذموا القتادة فان لها علينا حقاً) . قيل : وما ذاك ؟ قال : (انها لم تنبت بأرضنا) .

ولو كنت بالغاً في الادب أطواري لكنت في تلك الحضرة كالقطرة تحت الصَّبير ، والحصاة الى جانب ثبير . فما بالي وأنا مثقل استعان بذَقْن ، وطفل يهشّ الى يَفَن ، وذليل عاذ بقرملة ، وعبد هتف بأمة ، والربيع أغفلتُ الكماة ، وعند المنهل نسيت المزادة . كل امرىء يغدو بما استعدّ ، وقبل الرماء تملأ الكنائن ، فماذا يصنع مَنْ لا كنانة له ولا عدّة عنده ...) .

ومما جاء في سبب إنشاء الرسالة قوله :

(وأذكر حاجتي قبل أن أُبرم فاجرم ؛ لان مَنْ أتى بالإبرام وقع في عظيم الإجرام :

لي ـ أطال الله بقاء السيد عزيز الدولة وتاج الملّة أمير الأمراء ـ أولاد أخ قد أوذموا على أنفسهم من خدمتي ما ليس بلازم ، وأصغرهم سناً طفل صغير قد وُكل بي في الصّبّارة ، كلما أحسّ بحمام اليانوسة لديّ أحياها بالحمم ، الى غير ذلك من المآرب ، لا يمكن قضاؤها بنفسي . ولهم أوالب في مدينة (حماة) ولتلك الحويات أشقاص في أملاك يامل هؤلاء الحسكل ـ والأمل ساحر وساخر ، وربما وجدَ وهو الصادق . وله نوعان كانهما برقان : هذا خالب ، وهذا للمطر جالب ـ أن يصيبهم نفع من تلك السّهمة . ورفع رافع الى الحضرة العالية ، ان حقاً يجب للاخزانة

المعمورة على أرض أولئك النُزد النهابل ، وسألوني : والمسألة حرمة ، أن أسأل (السيد عزيز الدولة وتاج الملّة أمير الامراء) في ذلك ...

وكان يجب عليّ ا من فرط الإجلال ، أن أقول لهم ما قال (زرارة) لولد (سويد بن ربيعة) وقد تعلقوا به عند (عمرو بن هند) : (يا بعضي دع بعضاً) .

ولكن حملني أطيط الحاسّة وعلمي بكرم الشيمة ، على النهضة بغير جناح ، وركوب الصعبة بلا أحلاس ، وأنا أجلّه لفهمه وفطنته ، مثل ما أجلّه لعزه وسلطانه ..

وقد وصلوا بهذه الرسالة رقعة يرجون بها من اليد العالية توقيعاً مؤبّداً لا يكون بعده القول مردداً ، بل يحسم بإيجاب طمع كل ناظر وجاب ...) .

ومنها قوله :

(ولهؤلاء القوم أريضة ليست بالاريضة ، هي من قلة العمل كالمريضة ، غراسها ليس بعميم ، وثمرها بين الثمر كبني يربوع في بني تميم ، إلا ان أولئك حُمدوا في الغارة ، وذُمّ هذا حين يغير ، وحين يُختبز لا يطيب منه الخبز ...) .

ومنها قوله في الثناء على المكتوب اليه :

(فيقول الصاهل :

الى حضرة مواس آس ، قد بسط آمال الناس ، أديب آدب ما هو بجديب ولا جادب ، كاد يكون عدله في الآفاق مطراً ، وتارجت البلاد بثناء عليه فهمّ الجوّ ان يكون عِطرا . أقام السوق للفصاحة ، وأذكى القلوب بالتذكرة ، وأيقظ العيون من طول الرقدة .

ليقول الشاحج :

صدق زاعم فيما زعم ، انه لكما تصف وأنعم . وهو على إدراكه جدّ العظماء ، ضارب بالسهم الفائز من سهام العلماء . وليس كذلك جماعة

الملوك ، لانهم يُرهبون فلا يؤدَّبون ، وإذا كان أحدهم صغيراً ، كان في الباطل واللعب مغيرا ، حتى إذا كبِرَ أنف فلم يستأنف . وهذا الامير كما نطق به الكتاب الكريم من قوله تعالى :

﴿ ولمّا بلغَ أشدّه واستوى آتيناهُ حُكْمَاً وعِلْمَاً وكذلك نُجزي المحسنين ﴾ .

ويستمر في الثناء ، فيقول :

(وقد عزمت أن أنظم هذه الصفة في بيتين من الشعر أو ثلاثة ، فانه أسرع الى حفظ المرسَل ، وأخصر تكلفاً من اللفظ المهمل ، والموزون أذهب لما في صدر المحزون ، وما سُجِعَ ، دونه وان رُجّع . والقول المبثوث كالبعير الأورق لا ينبعث وهو محثوث .

وحَملني على ذلك ، ما قد ظهر على ألسن الناس من ان السيد عزيز الدولة وتاج المِلّة أمير الامراء ـ أعزّ الله نصره ـ قد رفع من قدر الشعراء ، يُعلي مجيدهم ويكرمه . ويعطي المقصّر ولا يحرمه ، وينقد المنظوم السائر نَقد الصيرفيّ ماله . ويعرف مشكله معرفة السعديّ ماله . ولقد تحدث الناس بأن رجلًا من النظمة مدحه ثم لفظ عَصَبه من قبل أن تخرج اليه الجائزة ، فامر بإعطائها ورثته ...) .

ومنها قوله على لسان الصاهل وقد مال المعري الى غرابة الالفاظ والسجع والجناس وكثرة إيراد الاسماء :

(فيجوز والله قدير ، أن ينطق الصاهل ، وهو تعالى مُنطق كل الحيوان ، فيقول :

اطرقي يا ماعلة ، وأطِري فانك ناعلة ، وانغلي في الشاكة فان عليها بُرجداً ، وأوضعي في الجَرَدِ تحتكِ أُجُداً . وعداك من قلّة رَغواك ، ومَنْ ادّعى فبئس ما سعى ، إن كان صادقاً فالشاهد لنفسه لا يقبل ، وإن كان كاذباً فالكذب خَبْل وخَبَل ..

زعمت اني خالك ؟ وأين الافق من اللئيم ولدثه غافق ؟ وما بين

الشَرية والصَّرية من سُهمة ؟ وما قرابة البيدانة الى الزَّيدانة ؟ ليست الرقلة عمّةً للشِيحة ولا خاله . وما للجبس الهدان وتنسُبا في عبدالمدان ! ان حليف الزارة قد يقربُ من الفزارة ولا يكون السُبَد أخا لبد . فلا تغرنك الأسماء ، قبل الشائم كانت السماء ، ما العِكرمة هتفتْ بدهل ، كعكرمة ولد أبي جهل ، ولا الطلحة رعتها الإبل في الروحات ، كطلحة الطلحات ، ولا السَّلَمة عضبها راع ، كسلمة أخي القراع ، ولا التمامة ضعف عودها ، مثل نفس تنجز وعودها ، ولا العبس المشموم عند البكرات ، من عبس التي هي إحدى الجمرات . إنما السمة علم يُهدَى المكلَّم به والمكلِّم . ليس قتادة راوي الاخبار مثل القتادة هَناتها كالإبار ، ولا العوسجة ذات المُصَع مثل عوسجة فتى المصاع ... ومنها في شكوى الصاهل :

(فأما نحن معاشر الجبهة ، فترمى بهوادينا الغمرات وتشهد على ظهورنا الغارات . وقلَّما أطرد فريقان من العرب إلا وأجلَى النقع الثائر عن قتيل منا وعقير . وبذلك سلفت العادة من قديم الزمن . ألم يبلغك المثل في يوم شِعب جبلة وهو قول القائل :كالاشقر إن تقدّم لم نُحِر ، وإن تأخّر عُقِر؟ وقال الجرمي في يوم الكُلاب :

فــدىً لكمــا رِجليَّ أُمّي وخــالتي
غــداة الكــلاب إذ تُحَــزُّ الــدوابــرُ

كم بين معيشة في دعة ، وكبد بالأسنّة متصدعة ، وإن كانت الشواحج في شقاء فانها لا تهلك أوان اللقاء ، إنما تحضر الهيجاء معينة على حمل الاثقال ، فلا يعمد اليها الطاعن بإرقال ...)[١٠٤] .

---

(١٠٤) رسالة الصاهل والشاحج ، ٨١ ـ ٨٢ ، ٨٤ـ ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٥ـ ٩٦ ، ١٠٣ ـ ١٠٤ ، ١٠٨ ـ ١٠٩ ، ١١٠ ـ ١١٢ ، ١١٣ ـ ١١٤ ، ١١٥ ـ ١١٦ .

ويعد أن يسهب المعري ويستطرد ويخوض في أمور كثيرة ينهي الرسالة بقوله :

(قال منشىء هذه الرسالة أحمد بن عبدالله بن سليمان : قد أسهبت والمسهب كحاطب الليل ، ربما أخذ بنت طبق ، فجعلها في بعض الرِّبَق . هذا إذا كان أبصرَ من غراب ، فكيف إذا لم يبصر أدنى الآداب .

وكان محمد بن عبدالله بن سليمان ورد من الحضرة العالية موقراً بالمنن ، فإذا أراد أن يشكر فغرق في الإحسان فصمت صمت الغريق ، فذهبت لاعينه ، فأعداني بالغرق ، فاستعنت أفواه الحيوان ليدوم شكرها في كل أوان . وجهّزت هذه الرسالة ، فرُدّت اليّ كراستان من الجزء الثاني وقد غرقتا في الماء ، فلعلّي أعديت الرسالة بالغرق .

والذي للسيد عزيز الدولة ـ أعز الله نصره ـ في نفسي من الهيبة والإجلال ، يخيّل إليّ انها في صبوة عجوز شمطاء قد جلّيتها ببَرَد وخلّيتها تُرعَد من الصَّرَد . ولو أدركتُ ليلة نُعمى رُوز لكان حُلّيها في ظني أول ذائب ، فهل كانت ترجع بعنصر النار المشبوبة الى عصور الشبائب ؟ وهيهات ان ما سلف لا يعود . ولو مشت الى حضرته العالية من بِرَك ونعام أو أطراف البنان لا مِشية الإبل والافراس ، ولكن مشية القلَم على الرأس ، لرأيت ان ذلك قليل فيما يجب .

وقد اتفق لها من المعاني ، ما إن كان حسناً ، فما أنسبُه إلا الى إقبال السيد عزيز الدولة . أعزّ الله نصره .

وإن بَعَرَت الاعتدة وحملت الجراء ، فقد صهل بهذا البيت فشهُر أخو جُدَيّ وابن عتود ، وإنما عنيت قول الوليد :

ولـك السـلامـة والسـلام فـإنني
مـاضٍ وهُنَّ على عُلاك حبـائس)[١٠٥]

---

(١٠٥) رسالة الصاهل والشاحج ، ص ٧٠٨ ـ ٧٠٩ . المراد بمحمد بن عبدالله العم الاكبر لابي العلاء .

والرسالة مفعمة بالامثلة الشعرية ، وهي تكاد تكون معقودة على السجع ، وقائمة على الجناس ، مع ما أشيع فيها من الاعلام ، وأسماء الاماكن والحيوان والكتب ، والإكثار من الامثال ونظرة عجلى في فهارس الرسالة تبين الى أيّ مدى بالغ الرجل وأفرط في الغرابة ، والتعقيد ، وفي مدّ الكلام وتشقيقه ، مع ان الموضوع برمته لا يتطلب أكثر من أسطر يمليها الكاتب البصير على مَنْ يكتب له وإليه .

ولكن مع ذلك حريّ بنا ان نستأنس بقول محققة الكتاب في هذه الرسالة ، قالت :

(وليست (رسالة الصاهل والشاحج) كتاب تاريخ بالمصطلح النقدي ، لكنها تقدم تفسيراً تاريخياً لأحداث البيئة والعصر ، في رؤية بصيرة أبي العلاء الثاقبة ، وتسجّل وقعها على وجدان السجين الحر ، فتضيء لنا تلك الفترة التاريخية الدقيقة الحرجة ، وتصحح أخطاء من تناقض المرويات وأوهام الدارسين .

وهي الى جانب ذلك كله ، تضيف الى ما اقتصر عليه المؤرخون من سرد الأحداث السياسية وتتبع تعاقب الحكام والولاة والصراع الدامي المحموم على السلطة ، عرضاً حافلًا مثيراً لاحوال المجتمع وأوضاعه وطبقاته وصناعاته وحرفه ومتاجره ، وتصور الانماط البشرية للأفراد والجماعات والطوائف ، وقد سقطت عنها أقنعتها في جفلة الخوف من غزو العدو .

وهذا من عطاء (الصاهل والشاحج) تاريخ لما أهمله التاريخ ، يقدمه شاهد أمين ثقة ، من شهود ذلك العصر .

وأبو العلاء في تاريخه للمرحلة ، يعيّن الشخصيات التاريخية باسمائها ، ويسجل أحداث الزمان والمكان ، لكنه يحكي ذلك كله على ألسنة البهائم ، في نمط فني فريد ..)[١٠٦] .

---

(١٠٦) نفسه ، ٣٠ ـ ٣١ .

وآخر رسالة للمعري نقف عندها ـ في بحثنا هذا ـ من رسائله هي رسالته المشهورة في عالم الادب المعروفة بـ (رسالة الغفران) ، التي أنشاها بعد رسالته السابقة (الصاهل والشاحج) بخمس عشرة سنة(١٠٧) ، وهي جواب لرسالة بعث بها اليه الاديب ابن القارح .

وهذه الرسالة طويلة أيضاً ، بل هي كتاب قائم بذاته(١٠٨) ، ونرى من المفيد اقتباس ما لخصه بعض دارسيها من الباحثين ، قال :

(والرسالة تنقسم الى قسمين عامين . قسم يعتبر مقدمة ، وفيه نجد أبا العلاء يستطرد في وصفه لكلمات ابن القارح في رسالته بانها تشبه أشجار الجنة الى وصف الجنة نفسها وما بها من نعيم . وفي أثناء ذلك يعرض لندماء ابن القارح من علماء اللغة ، ويتراءى له ان يجعله يتنزه في الجنة ، فيلقى طائفة من شعراء الجاهلية ، ثم يعنّ له أن يرجع به الى يوم الموقف فيرده اليه ليصف ما هنالك من أهوال ، ويمر به على الصراط حتى يصل الى الجنة فيحاوره رضوان محاورة طريفة ، إذ يسأله : هل معك من جواز ؟ فيقول : لا ، فيقول رضوان : لا سبيل لك الى الدخول بغير جواز ، ويرى ابن القارح ابراهيم بن محمد صلوات الله عليه فيتشبّث به وهو يدخل الجنة ، فيجذبه معه . ويدخل ابن القارح الجنة ويلتقي مرة أخرى بالشعراء ويحاورهم ويشترك معهم في مأدبة وغناء وقصف ، ثم يركب بعض دوابّ الجنة ويسير فيصل الى مدائن غريبة ، ويطلّع فيرى طائفة من الجنّ فيسألهم عن الاشعار التي تنسب في العربية اليهم ، ثم يُرخي من عنان دابته حتى يصل الى أقصى الجنة ، حيث يلتقي بالحطيئة والخنساء وهي تنظر الى أخيها صخر في

---

(١٠٧) أنظر : رسالة الصاهل والشاحج ، مقدمة المحققة ، ص ٤٢ .

(١٠٨) تقع الرسالة مع مقدمات طبعاتها ومقدمة المحققة حول مخطوطاتها ورسالة ابن القارح والفهارس في ٦٦٣ صفحة ، منها ٢١٦ صفحة للمقدمة ورسالة ابن القارح والفهارس .

الجحيم ، وينظر كما تنظر الخنساء ، فيجد إبليس وبشاراً وبعض شعراء الجاهلية ويحاورهم جميعاً ثم يعود فيلتقي ببعض الحيّات التي ظُلمت في الدنيا ثم كوفئت في الآخرة بدخول الفردوس ، ويمر في جنة الرُّجّاز ، وأخيراً يُقبل على كأس من كؤوس الجنة التي لا تُنزف عقلاً .

وهذا هو القسم الاول من الرسالة ، وهو يعطيها لوناً مدرسياً ، إذ قصد فيه أبو العلاء - من خلال حوارات القارح مع الشعراء - أن يظهر علمه باشعارهم وما فيها من مسائل عويصة في لفظها ونحوها ووزنها . وينتقل من هذا القسم الى القسم الثاني وهو خاص بالرد على سؤال ابن القارح عن الزنادقة والزندقة ، وتعرّض في أثناء هذا القسم لكثير من النحل في عصره ، ومن ثم كان هذا القسم من الرسالة ذا قيمة خاصة . على ان أهمية الرسالة إنما ترجع الى القسم الاول منها ، إذ قرنها الباحثون بسببه الى (الكوميديا الإلهية) لدانتي)[١٠٩] .

وأول هذه الرسالة قوله :

(بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهم يسّرْ وأيمنْ .

قد علم الجبر الذي نسب إليه جبرئيل ، وهو في كل الخيرات سبيل ، ان مسكني حماطة ما كانت قطّ أفانية ، ولا الناكزة بها غانية ، تثمر من مودّة مولاي الشيخ الجليل - كبت الله عدوّه ، وأدام رواحه الى الفضل وغدوّه - ما لو حملته العالية من الشجر ، لدنت الى الارض غصونها ، وأُنيل من تلك الثمرة مصونها .

والحماطة : ضرب من الشجر ، يقال لها إذا كانت رطبة : أفانية ، فإذا يبست فهي : حماطة . قال الشاعر :

---

(١٠٩) الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ٢٧٥ - ٢٧٦ .

إذا أمّ الـــوُليّــدِ لم تطعني
حنــوتُ لهــا يــدي بعصَــا خَمــاطِ

وقلت لهــا : عليــكِ بني أُقَيْشٍ
فــإنــكَ غيــرُ معجبــةِ الشَّطــاطِ

وتوصف الحماطة بإلف الحيّات لها ، قال :

أُتيــح لهــا وكــان أخــا عِيــالٍ
شجــاعٌ في الحمـــاطـــة مستكنُّ

وان الحماطة التي في مَقَرِّي لتجدُ من الشوق حماطة ، ليست بالمصادفة إماطة ، والحماطة حرقة القلب ، قال الشاعر :

وهمّ تُمــلأ الاحشــاء منــه
....)(١١٠)

ومنها قوله في وصول رسالة ابن القارح ونعتها :

(وقد وصلت الرسالة التي بحرها بالحكم مسجور ، ومَنْ قرأها ماجور ، إذ كانت تامر بتقبّل الشرع ، وتعيب من ترك أصلًا الى فرع . وغرقت في أمواج بدعها الزاخرة ، وعجبتُ من اتساق عقودها الفاخرة ، ومثلها شفَع ونفَع ، وقرّب عند الله ورفع . وألفيتها مفتتحة بتمجيد ، صدر عن بليغ مجيد . وفي قدرة ربنا ـ جلّت عظمته ـ أن يجعل كل حرف منها شبح نور ، لا يمتزج بمقال الزور ، يستغفر لمَنْ أنشاها الى يوم الدين ، ويذكره ذكر محبّ خدين . ولعله ـ سبحانه ـ قد نصب لسطورها المنجية من اللهب ، معاريج من الفضة أو الذهب ، تعرج بها الملائكة من الارض الراكدة الى السماء ، وتكشف سجوف الظلماء ، بدليل الآية : ﴿ إليهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطيِّبُ والعَمَلُ الصالحُ يَرفعُه ﴾ .

---

(١١٠) رسالة الغفران ، ١٢٩ ـ ١٣١ .

وهذه الكلمة الطيبة كأنها المعنية بقوله : ﴿ أَلَمْ تَـرَ كيفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ ، أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماءِ ، تُؤتي أُكلها كُلَّ حينٍ بإذنِ ربِّهَا ﴾ .

وفي تلك السطور كلم كثير ، كله عند الباري - تقدّس - أثير . فقد غُرِس لمولاي الشيخ الجليل - إن شاء الله - بذلك الثناء ، شجر في الجنة لذيذ اجتناء ، كل شجرة منه تاخذ ما بين المشرق الى المغرب بظلٍ غاطٍ ، ليست في الاعين كذات أنواط ، وذات أنواط - كما يعلم - شجرة يعظمونها في الجاهلية . وقد رويَ ان بعض الناس قال : (يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط ، كما لهم ذاتُ أنواط . وقال بعض الشعراء :

لنـــا المهيمن يكفينـــا أعـــادينـــا
كمـــا رفضنـــا إليـــه ذات أنـــواطِ

....)[111] .

ومنها قوله في النقد :

(ويقول الشيخ - كتب الله له مثوبة المتقين - لنابغة بني جعدة : يا أبا ليلى ، أنشدنا كلمتك التي على الشين التي تقول فيها :

ولقـــد أغـــدو بِشَـــرب أُنُفِ
قبـــلَ أن يظهـــر في الأرض ربش
مَعنـــا زِقّ الى سُمّهـــة
تَسِق الآكـــال من رطب وهشّ
فنـــزلنـــا بمليـــع مقفـــرٍ
مسّـــهُ طـــلٌ من الـــدَّجْن وَرِش

(١١١) رسالة الغفران ، ١٣٩ - ١٤١ .

ولــــديـنـــا قيـنـــة مُسمعـــة
ضخمـــــة الارداف من غيـــر نفَش

....

....

فــــاتــــانـــا بشبــوب نـــاشط
وظليم معـــــــــــه أمّ خُشَش

....

فيقول نابغة بني جعدة : ما جعلت الشين قطّ رويّاً . وفي هذا الشعر ألفاظ لم أسمع بها قطّ : ريش ، وسمّهة ، وخشش . فيقول مولاي الشيخ الاديب المغرم بالعلم : يا أبا ليلى ، لقد طال عهدك بألفاظ الفصحاء ، وشغلك شراب ما جاءتك بمثله بابل ولا أذرعات ، وثنتك لحوم الطير الراتعة في رياض الجنة ، فنسيت ما كنت عرفت . ولا ملامة إذا نسيت ذلك : ﴿ إنّ أصحابَ الجنةِ اليوم في شغلٍ فاكهون . هُم وأزواجهم في ظِلال على الارائكِ متكئون . لهم فيها فاكهةٌ ولهم ما يَدَّعُون ﴾ .

أما ريش ، فمن قولهم : أرض ريشاء إذا ظهرت فيها قِطَع من النبات ، وكأنها مقلوبة عن برشاء . وأما السمّهة : فشبيهة بالسُفْرة تتخذ من الخوص ، وأما خشش : فان أبا عمرو الشيباني ذكر في (كتاب الخاء) ان الخشش : ولد الظبية .

فكيف تنشد قولك :

وليس بمعـــروفٍ لنـــا أن نـــردَّهـــا
صحـــاحـــاً ، ولا مستنكـــراً أن تعقَـــرا

أتقول : ولا مستنكراً ، أم مستنكرٍ ؟ فيقول الجعدي : بل مستنكراً . فيقول الشيخ : فإن أنشد منشد : مستنكرٍ ، ما تصنع به ؟ فيقول : أزجره وأزيره ، نطق بأمر لا يخبره . فيقول الشيخ - طوّل الله له أمد البقاء - إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ما أرى سيبويه إلا وهمَ في هذا البيت ؛ لإن أبا ليلى أدرك جاهلية وإسلاماً ، وغُذِي بالفصاحة غلاماً ...)[١١٢] .

وينهي الرسالة بقوله :

(وأنا أعتذر الى مولاي الشيخ الجليل من تاخير الإجابة ، فان عوائق الزمن منعت من إملاء السوداء ، كأنها سوداء التي عناها القائل :

نبئتُ سوداءَ تنآني وأتبعها
لقد تباعد شكلانا وما اقتربا
وجدتها في شبابي غير مُطلِبةٍ
فكيف والرأس جون تُسعِفُ الطلبا

وأنا مستطيع بغيري ، فإذا غاب الكاتب ، فلا إملاء . ولا ينكر الإطالة عليّ ، فان الخالص من النضار العَين ، طالما اشتُرِي بأضعافه في الزّنة من اللجين ، فكيف إذا كان الثمن من النُمِيّات ، يوجدن في الطريق مرميات ؟

وعلى حضرته الجليلة سلام يتبع قرومَه إنالُه ، وتلحق بعُوذهِ أطفالُه)[١١٣] .

يتضح من النصوص التي تمثلنا بها شغف المعري بالغريب من الالفاظ ، وولعه بإيراد الأمثال والأشعار ، وميله الشديد الى التجنيس والتفنن فيه ، مع الإكثار - إن لم يكن التزام - السجع في عامة الرسالة . وهو بهذا يمثل خير تمثيل طبقة الكتّاب الرابعة في العصر العباسي التي

---

(١١٢) رسالة الغفران ، ٢٠٨ - ٢١١ .
(١١٣) نفسه ، ٥٨٣ .

أولعت بالبديع ، وخاصة الجناس حتى قال الحريري بعد ذلك : (إني مولع من أنواع البلاغة بالتجنيس ، وأراه لها كالرئيس)[١١٤] .

وقد أحسّ بعض دارسي أدب المعري بتعقيد اسلوبه وغموض معانيه ، بسبب تغليفهما بغرابة اللفظ ، وتوشيحهما بنوافر السجع ، وتقيدهما بكلفة السجع ، مما دعاه الى شرح الكثير مما بثّه في تضاعيف رسالته هذه وسواها من الألفاظ والأسماء ، فقال (... ولعل المهم أن نعرف ان أبا العلاء لم يجيء في هذه الرسالة بصياغة جديدة غير الصياغة التي رأيناها آنفاً ، ونراه يُعنى فيها بالتزام ما لا يلتزم في قرائن سجعه ، كما يعنى باللفظ الغريب ، وانه ليعنى عناية خاصة بالجناس ، ولكن دائماً في ثنايا ألفاظه الغريبة ، بل المهجورة أحياناً ، وهو يحشد مع ذلك كثيراً من الإشارات التاريخية ... وكما كان يعنى بالوقوف عند الشعر الغريب كان هو نفسه يلتزم الإغراب في كثير من ألفاظ رسالته على عادته في كل ما يكتب ...

ومهما يكن فان اللغة هي أهم الجوانب التي استمد منها أبو العلاء أكثر عُقده في صناعة نثره ، وقد أضاف اليها عقداً أخرى تتصل بها من كثرة الأمثال والإشارات التاريخية والإستشهاد بالشعر الغريب خاصة . وإذا نظرت بعد ذلك في سجعه برسالة الغفران وجدته يلتزم في أكثر جوانبه ان تكون نهاية السجعة لا حرفاً بل حرفين أو أكثر ، كما يلتزم ـ غالباً ـ الجناس في عباراته ، ولكنا نحسّ إزاء استخدامه لهذا اللون من ألوان البديع انه فارق بعض ألوانه البهيجة التي كنا نعرفها عند أصحاب مذهب التصنيع ، وما ذلك إلا لان أبا العلاء يعتمد في جناسه كثيراً على الإغراب في الالفاظ ، ومن ثم كنا نشعر إزاء كثير من جناساته انها جناسات لغوية أكثر منها فنية ، فهي الى اللغة والإغراب اللغوي

---

(١١٤) نصوص أدبية ، ٧٦ .

أقرب منها الى الفن الخالص . والحق ان أبا العلاء عمد في فنه الى التعقيد من حيث هو ، ولذلك إذا ذهبنا الى انه زعيم مذهب التصنع لعصره لم نكن مبالغين ولا مغالين)[115] .

إن روح السخرية اللاذعة تتجلى في هذه الرسالة كما تتجلى في رسالته السابقة (الصاهل والشاحج) ، وقد أشارت الى هذا محققة الرسالتين قائله :

(وتتجلى في الرسالتين كلتيهما روح السخرية المُرة والدعابة اللاذعة ، وكأن هذه التعرية الساخرة لعالم البشر ، تعبّر عن موقف أبي العلاء من أوضاع مجتمعه ، ويستعين بها في مجاهدته الشاقة لقهر ما رسخ في فطرته من تعلّق بالدنيا التي رفضها في بسالة تقرب من الإستشهاد . لتسلم له كرامة إنسانيته وعفة نفسه وحرية ضميره وفكره . وأمانة رسالته وصدق كلمته)[116] .

* * *

ومَنْ عُرفت له رسائل ومكاتبات من شعراء العصر العباسي المتأخرين الحيص بيص[117] .

ويبدو ان رسائله ومكاتباته تنحو منحىً يخالف ما كانت عليه أساليب العصر ، ففيها من الغريب والتقعر والتعقيد ما لا يوجد في رسائل آخرين سبقوه أو عاصروه ، كما كانت تترجح بين السجع والإزدواج ، وهي مع ذلك فصيحة بليغة[118] .

---

(١١٥) الفن وتطوره في النثر العربي ، ٢٧٦ - ٢٨٠ .

(١١٦) رسالة الصاهل والشاحج ، ٤٢ .

(١١٧) اسمه سعد بن محمد ينتهي نسبه الى اكثم بن صيفي . توفي ببغداد سنة ٥٧٤هـ . (وفيات الأعيان ، ٢/٣٦٥) .

(١١٨) الوفيات ٢/٣٦٣ ، وفيه ان ابن السمعاني ذكره في الذيل وأثنى عليه ، وحدّث بشيء من مسموعاته ، وقرأ عليه ديوانه ورسائله . ويظهر انه من القلائل جداً الذين قرئت عليهم رسائلهم .

جاء في الخريدة :

(وله رسائل ومكاتبات معدول بها عن الفن والمعتاد والأسلوب المعروف ، وهي كثيرة وسأورد منها نبذاً يستدل بها على الباقيات)[١١٩] .

لقد أورد العماد مجموعة من الفصول أو أجزاء من رسائله ومكاتباته ، سنتمثل ببعض منها ذات موضوعات شتى .

ولعل ما أورده صاحب الخريدة من كتاباته هو ما قدم به الشاعر لديوانه ، وهو يقع في قسمين : الأول الحديث عن تفضيل الشعر على النثر ، والثاني وصف حاله هو .

وهذه المقدمة مسجوعة في أكثرها ، وتشتمل كذلك على الإزدواج ، وتتراوح جملها بين القصر والطول ، وهي كثيرة الغريب والتعقيد . ويبدو ان هذه السمات وليدة حياة الرجل ونشأته وشخصيته وحتى زيه وهندامه ، فانه كان غريباً في هذه الأمور كلها[١٢٠] .

فمن مكاتباته قوله في شفاعة وقد التزم في أكثره السجع :

(أسلم يا فارس الكتيبة ، وجواد السنة الجديبة ، غمر الرداء ، نصيرَ النعماء ، مجدوداً . أجل يا فكّاك العُناة ، ومِطعام العُفاة . أنشط ابن جابر ، من الخطب الجائر ، مكتسباً عند الله ثوابه ، وعندي شكره وثناءه ، فثم أب حدب ، دمعه دافق سرب ، أسرع من سهم الى مرمى ، ومنك الى ابتدار المجد ببأس ونُعمى)[١٢١] .

ومنها قوله وهو لا يخلو من التعقيد والغريب وان خلا من السجع :

(وأيمُ الله ، لقد اخلولقت في الأندية الحاشدة من طول جدال

---

(١١٩) القسم العراقي ، ١/٣٥٠ - ٣٥١ .

(١٢٠) جاء في الوفيات ، ٢/٣٦٣ (ويقال انه كان فيه تيه وتعاظم ، وكان لا يخاطب أحداً إلا بالكلام العربي ... وكان يلبس زي العرب ويتقلد سيفاً) .

(١٢١) الخريدة ، ١/٣٥٧ - ٣٥٨ .

كاتبكم ، وهو مُوجف الى الفتنة ، يأبى الا المنع ، وإني لقائلها شنعاء ولو جرّت حتفاً ، حذارِ حذارِ من اشتياط فوه إذا جنى الخامل عاتب الشهير ، ولئن جنّ الليل دون بعث المساجد المستقرة ، لتبعثن كتائب القول مشمعلة لا تخصّ مقالًا ، ولا تستثني حمى ، ولغيركم مثل السوء ، والسلام)(١٢٢) .

ومنها مكاتبة بعض الأكابر :

(أهلًا بها من شيم مكارم ما برح صوبها على غبراء فضلي المجدب ـ لفقد حنوّ الأكرمين ـ هامياً ، والحمد لله حيث وجدت في زماني إنعاماً يكاثر اخلاصي ، ووداً يعصمني من وحشة غربتي ووحدتي ، حتى أراني منه في مثل الخميس الجحفل يُرهج الوادي بحوافر خيله ، ويدلهمّ رونق الضحى من هبوات عثيره ، مللت السجايا العراقية ، وبعلت بالهمّ ، فطفقت أعوم في الفلوات النازحة عوم النينان في جمّة الخضرم ، وأحببت الخلوة حب مجلس الشرب الكرام طاب شاديه ، وأنصف ساقيه ، ولولا خدمة غيركم لصرت الى ناديكم ، ولئن شاء الله لأفعلن ، والسلام)(١٢٣) .

ومنها قوله في تقريع شخص ذمّه :

(ما مثلك مَنْ ألحف ظلا ، ولا أوسع حمى ، بل جدير بك أن تنبذ بالعراء نبذ الجيف المستحيلة . ما هذا الإقدام على أمر لو خطر ببالي ، فعله في خواص أحوالي ، رحتُ جاهلًا عاصياً مزاحماً للمنيّة . إبشر بما ساءك من اعراض وجوه عنايتي عنك . وأيم الله ، لئن لم تقم باستدراك الفارط في ذلك مقام العبد العاجز عند الملك القادر ، بما يحصّن نفسك من حتفك ، ويصونني عن مقام العيب ، لاقلبن لك مجن العناية ، ولآخذن

---

(١٢٢) نفسه ، ١/٣٥٤ ـ ٣٥٥ .

(١٢٣) نفسه ، ١/٣٥٦ ـ ٣٥٧ .

بكل معونة قتلةً لك فاضحة ، شوّهت عقلي وذكري عند السراة الأخيار ، أبعدك الله)[١٢٤] .

وواضح ان الحيص بيص في ما تقدم من نماذج رسائله وكتاباته يحاكي في اسلوبه هذا المتمثل بالتعقيد وحشد الغريب والتراوح بين السجع والإزدواج اسلوب الطبقة الرابعة من الكتّاب في كثير من السمات والخصائص . وهو يقرب كثيراً من اسلوب أبي العلاء الذي تقدم والذي كان يجنح فيه الى الغريب والإكثار من الغموض في عباراته حدّ الإغراق والإغلاق .

* * *

يتضح مما قدمنا من رسائل أدبية نثرية لعدد من الشعراء العباسيين بالمشرق :

١ ــ ان بعضها قصير حتى ليكاد يكون جزء من رسالة أو فصلًا منها ، وبعضها كان متوسطاً وآخر طويلًا يؤلف كتاباً قائماً بذاته .

٢ ــ انها تتراوح بيت الرسالة الواحدة أو أكثر .

٣ ــ ان الشعراء في كتاباتهم ساروا على نهج ما عُرف من طبقات الكتّاب أو أساليبهم الكتابية في هذا العصر الطويل الذي أربى على خمسة قرون ونصف .

٤ ــ ان أساليب الرسائل لدى الشعراء لم تمثل الأساليب أو المدارس النثرية في هذا العصر بحسب أزمان وجودهم ومعايشتهم للأدباء ، فقد كانت خصائص بعض هذه الرسائل تتمثل في خصائص الطبقة الأولى ، مع ان صاحبها من أرباب الطبقة الثانية أو الثالثة وبالعكس .

---

(١٢٤) الخريدة ، ٣٦٠/١ .

٥ ـ ان روح الشاعرية تبدو في تضاعيف الكثير من تلك الرسائل ، وهذا دليل على ان الشاعر لا يمكنه الإفلات من طاقته الشعرية المرزوقة والتي تأبى إلا ان تظهر وتبرز في عمله الأدبي من أيّ نوع كان .

٦ ـ ان الكثير من الرسائل كان يُشفع بأبيات من الشعر تقصر أو تطول ، مما يمكن تفسيره بقصر نَفَس الشاعر النثري ، وطغيان الروح الشعرية لديه للاستعانة بها في إنجاز عمله الأدبي .

٧ ـ ان أغلب الرسائل كان مما يتراسل به الشعراء ويتكاتبون ، وهي لذلك تعدّ من الرسائل الإخوانية .

٨ ـ ان هذه الرسائل دليل على شيوع فن الأدب بصنويه ، وإن كان ميدان بعضهم أفسح من ميدان سواه في هذا الشأن .

٩ ـ يغلب على الكثير من هذه الرسائل الطابع الأدبي الذي يسمو كثيراً في مجال الفن النثري الرائع .

فهرس المصادر والمراجع

- آل وهب من الأسر الأدبية في العصر العباسي . د. يونس أحمد السامرائي ، بغداد ، ١٩٧٩ .
- أبحاث في الشعر العربي ـ د. يونس أحمد السامرائي ، الموصل ، ١٩٨٩ .
- أخبار أبي تمام ـ للصولي ، ط ١ ، ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م ، القاهرة .
- الأعلام للزركلي ، بيروت ، ط ٢ .
- الأغاني لأبي الفرج ، مصور طبعة دار الكتب .
- البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ، تحـ . د. ابراهيم الكيلاني ، ١٩٦٤ .
- البيان والتبيين للجاحظ ، تحـ . عبدالسلام هارون ، ط ٤ .
- تاريخ الأدب العربي للزيات ، ط ٢٥ .
- جمهرة رسائل العرب ، أحمد صفوت ، ط ١ ، مصر ، ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م .
- خريدة القصر ـ القسم العراقي .
- ديوان ابن الرومي ، تحـ . د. حسين نصار ، القاهرة .
- ديوان بشار ، تحـ . محمد الطاهر بن عاشور ، القاهرة ، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م .
- رسائل الصابي والشريف الرضي ، تحـ . د . محمد يوسف نجم ، الكويت .
- رسالة الصاهل والشاحج ، لأبي العلاء المعري ، تحـ . د . عائشة عبدالرحمن ، ١٩٧٥ .

- رسالة الغفران ، لابي العلاء المعري ، تحـ . د . عائشة عبدالرحمن .
- رسالة الملائكة ، لابي العلاء المعري ، باشراف لجنة من العلماء ، بيروت .
- رسالة الهناء ـ لابي العلاء المعري ، لكامل كيلاني ، بيروت ، ط (٢) ، ١٩٧٧ .
- شعراء عباسيون ، د . يونس أحمد السامرائي ، بيروت .
- صبح الأعشى للقلقشندي ، مصور طبعة دار الكتب .
- طبقات الشعراء لابن المعتز ، تحـ . عبدالستار أحمد فراج ، مصر .
- العصر العباسي الأول ، للدكتور شوقي ضيف ، القاهرة .
- الفن ومذاهبه في النثر العربي ، د. شوقي ضيف ، ١٩٦٥ .
- نصوص لابن المعتز لم ترد فيما نُشر من مؤلفاته (مسودة) . د . يونس أحمد السامرائي .
- نصوص أدبيه ، د . نوري القيسي ، د . يونس أحمد السامرائي ، ١٩٨٢ ، الموصل .
- وفيات الأعيان لابن خلكان ، تحـ . د . احسان عباس ، بيروت .

ولاية الشعراء حتى نهاية العصر العباسي بالمشرق

جاء في اللسان حول المعنى اللغوي لفعل الولاية :

أوليته الامر وولّيته وتولّى الشيء ؛ لزمه . وأوليته الشيء فَوَليه وكذلك وَليَ الوالي البلد . وولّاه الامير عمل كذا . وتولّى العمل : تقلّد . وتكون التولية مصدراً ، كقولك : ولّيت فلاناً أمر كذا وكذا : إذا قلّدته ولايته[١] .

وجاء في المعجم الوسيط :

وَليَ الشيء وعليه : ولاية : ملك أمره وقام به . والبلدَ : تسلّط عليه فهو والٍ (ج) ولاة .

يتضح من هذا ان هناك أكثر من فعل تصرّف من الفعل الثلاثي (ولي) : كاولى ، وولّى ، وتولّى ، وهذه الافعال كلها تؤدي معنىً واحداً أو متقارباً جداً وهو تقلّد الشيء أو الامر .

والجدير بالذكر ان هناك أفعالًا أخرى الى جانب الفعل (ولى) وتصريفاته استعملت للدلالة على المعنى الذي دلّ عليه هذا الفعل ، أمثال : أجاز وعقد واستعمل وقلّد وتقلّد وعهد .

أما المعنى الاصطلاحي للفظة الولاية : فهي : السلطان ، أو البلاد يتسلّط عليها الوالي ، كما في المعجم الوسيط .

(وقال ابن الاثير : وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والعقل وما لم يجتمع فيها لم يطلق عليه اسم (الوالي) .

---

(١) أنظر : اللسان .

وهناك ألفاظ أخرى تدل على الولاية أيضاً ، أمثال : الإجازة والعقد والعهد والعمل والتصرّف .

ونحن في بحثنا هذا لا نريد بالولاية المفهوم العام لها وهو السلطان أو التسلط على البلاد ، وإنما نريد بها كل عمل تولاه الشعراء من أعمال الدولة الكثيرة المتشعبة الممتدة في نواحيها وأقاليمها كما سيأتي .

• • •

والتنافس بين فني الأدب : النثر والشعر قديم ، يتمثل في أوليتهما وأهميتهما بالقياس الى الفكر والعاطفة ، وحاجة المجتمع إليهما ، وموقع مُعانيهما بين الناس والمجتمعات . وظهر هذا التنافس أو الصراع لدى مَنْ تعاطاهما أو أرّخهما ، أو تطرق إليهما من الباحثين والدارسين منذ زمن ليس بالقصير . وقد أدلى كل مَنْ تناولهما أو مال الى واحد منهما بما لديه من حجج وبراهين مستقاة من الأخبار والحياة[٢] .

ولا نبغي الخوض في مثل هذه الأمور ، ونكتفي بما جاء في العمدة من الموازنة أو المفاضلة بين الشعراء والكتّاب . قال ابن رشيق :

(واحتج بعضهم بأن الشعراء أبداً يخدمون الكتّاب ، ولا تجد كاتباً يخدم شاعراً ، وقد عمّيت عليهم الأنباء ، وإنما ذلك ؛ لأن الشاعر واثق بنفسه ، مدلّ بما عنده على الكاتب والملك ، فهو يطلب ما في أيديهما وياخذه ، والكاتب باي آية يفضل الشاعر فيرجوه ما في يده ، وإنما صناعته فضلة عن صناعته ، على ان يكون كاتب بلاغة ، فاما كاتب الخدمة في القانون وما شاكله فصانع مستاجر ، مع انه قد كان لابي تمام والبحتري قهارمة[٣] وكتّاب ، وكان من عميان الشعراء كتّاب

---

(٢) أنظر : العمدة ١٩/١ وما بعدها .

(٣) القهارمة : جمع قهرمان : أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخرجه .

أزمة كبشار وأبي علي البصير ، وكان ابن الرومي من أكبر كتّاب الدواوين ، فغلب عليه الشعر ؛ لانه غلّاب)[٤] .

ويبدو لنا انه على الرغم من دفاع ابن رشيق عن الشعراء وتفضيلهم على الكتّاب ، فان الامر لم يكن كما ذهب اليه ، والدليل على هذا اختلاف الكثيرين من الشعراء وحتى الكبار منهم الى أبواب أو دواوين الكتّاب طلباً للرفد ، والتماساً للمعروف ، كما ترك بعضهم الشعر حين تولّى عملًا ، وطلب آخر ان يتولى عملًا من الاعمال على الرغم من شهرته الشعرية ، وألحّ بعضهم وألحف في السعي للحصول على ولاية . كل هذه أدلة على ان الشعر في ظرف معيّن قد تخلّف عن النثر ، ومن ثم لحق هذا التأخر بمتعاطيه .

ويكشف لنا نص ابن رشيق عن أمور أخرى مهمة لعلها لم تكن معروفة لدى الكثيرين من الدارسين والباحثين ، منها انه كان لابي تمام قهارمة وكتّاب ، ولا ندري مصداق هذا الامر ، إذا ما تذكّرنا ان أبا تمام لم يكن من ذوّي الثراء والاقطاع ، كما كان عليه البحتري . اللهم إلا إذا حصل له مثل هذا عند توليه بريد الموصل .

وإذا صحّ هذا فهو دليل آخر على تأخر الشعر أو الشعراء عن النثر أو الكتّاب ، إذ ان هؤلاء القهارمة والكتّاب المزعومين كانوا في أثناء ولايته وليس قبلها .

أما البحتري فذكر ابن رشيق الى جانب ما ذكره عنه من اقتنائه للقهارمة والكتّاب ، انه كان يركب في موكب من عبيده[٥] ، كما كان من ذوي الاقطاع[٦] ، ولكن انفراد ابن رشيق في هذه المسألة مع استحضار

---

(٤) ١/٢١ - ٢٢ .

(٥) العمدة ٢/١٨٥ .

(٦) أنظر : البحتري في سامراء بعد عصر المتوكل ، ٢٦٣ - ٢٧٥ للوقوف على ثروة البحتري .

ما اتصف به البحتري من الشحّ والاقتصاد يحمل الدارس على ان يخامره شيء من الشك فيها أو في بعض جوانبها .

ومنها ان ابن الرومي كان من أكبر كتّاب الدواوين ، ولم يشر أحد ممن ترجمه أو كتب عنه الى مثل هذا ، على الرغم من اننا وجدنا له بعض الرسائل التي وجهها الى بعض مَنَ شملهم شعره ، قدّم بها بعض مقطوعاته أو قصائده[٧] .

ومنها أيضاً كتابة بشار وأبي علي البصير ، وهو مما انفرد به ابن رشيق أيضاً . ومع ان شيئاً من النثر أو الرسائل لم يؤثر لبشار ، فان هناك رسائل وفصولًا ليست قليلة أثرت للبصير ، وهي تمثل نماذج عالية في الفصاحة والبلاغة والاقتدار[٨] .

ان هذا البحث معقود على أولئك الذين عُرفوا بالشاعرية أكثر من عرفانهم بفن الكتابة ، وعلى هذا فسنبعد عنه مَنْ جمعوا بين الفنين وغلب عليهم أو على عرفانهم فن النثر ، أو وُصفوا بالكُتّاب أو الشعراء الكتّاب[٩] ، كالذي فعلناه في بحثنا (رسائل الشعراء في العصر العباسي بالمشرق) .

* * *

إن الولاية أو التولية على الأعمال المختلفة بدأ منذ قيام الدولة الإسلامية ، أي منذ عهد الرسول (ﷺ) ، وتشعبت وإزدادت أنواعها

---

(٧) أنظر : رسائل الشعراء .

(٨) أنظر : شعراء عباسيون ، ١٧٨/٢ - ١٨٤ ، ١٩٧ - ٢٢٠ .

(٩) أمثال : ابراهيم الصولي وسعيد بن حميد ، وابراهيم بن المدبر ، وابن الزيات والحسن بن وهب ، والصاحب بن عباد وأبي اسحاق الصابي والوزير المهلبي والقاضي الفاضل والعماد وسواهم ، فكان منهم الوزراء والولاة ورؤساء دواوين الإنشاء ...

بانفساح أقطار الدولة واتساعها ، ونتيجة التطور الحاصل في كل مرفق من مرافق الحياة الاجتماعية والسياسية والادارية والثقافية والقضائية وغيرها .

وان الولايات أو الأعمال التي كان يتولاها الشعراء ـ كما نكرت أخبارهم ـ كانت على أنواع شتى تختلف في أهميتها واتساعها ومركزها الحيوي : كالإمارة والوزارة ، والاقاليم والمدن والثغور والقضاء وبيت المال والمظالم والصدقات والبريد والضياع والحِسبة وديوان الأزمّة والنقابة والحج وغير نلك[١٠] .

وكان يشترط فيمَنْ يُختار للولاية ان يكون من الشخصيات المرموقة في المجتمع تتمثل به صفات حميدة وخصال نبيلة تؤهله للمنصب الخطير الذي يتقلده ؛ لانه في حقيقته ، يمثل السلطة تمثيلًا دقيقاً في تصرفاته وإدارته ومعاملته ، فكان مما يتحلّى به أولئك الولاة :

الخلق السمح ، والعلم والذكاء ، والجرأة والشجاعة ، والعدل والمساواة والأمانة ، والعفة والتصوّن ، والكرم ، والفصاحة والبلاغة ، والتقيد بأمور الدين ، والاقتدار على الادارة وحُسن القيام بها . وهذه الصفات استقطبها ابن الاثير في قوله المتقدم وهو (التدبير والقدرة والعقل) .

ومع ان أكثر الولاة من الشعراء الذين وقفنا على أخبارهم كانت تتمثل فيهم هذه الصفات أو أكثرها ، فان بعضهم كان فاقداً ما يتحلّى به سواه من هذه الصفات ، فكان مصيره العزل والإبعاد عما كان يتولاه ، كما كان يُحاسب ويُعاقب على أفعاله غير الحميدة ، وتنكبه عن جادة الحق والفعل الحسن .

---

(١٠) عقد القلقشندي في صبح الاعشى المقالة الخامسة في الولايات وجعل طبقاتها ثلاثاً ، وهي الخلافة والسلطنة والولايات عن الخلفاء والملوك ... (أنظر المصدر ٢٥٢/٩ وما بعدها للوقوف على تفصيل هذا .

أما العقوبات التي كانت تنال مَنْ يقصّر في عمله أو يخون ما أؤتمن عليه ، فكانت تختلف باختلاف نوع التقصير ودرجته ، فمنها : الإكتفاء بالعزل ، أو العزل والتغريم ، أو العزل مع الحبس ، أو العزل والتغريم والحبس أو الإكتفاء بواحدة من تلك العقوبات ، وقد تُعقد مناظرة للوالي المقصّر ويُحاسب على أفعاله وأعماله ، وقد يؤدي به الأمر الى التعذيب لانتزاع اعترافاته وأسباب تصرفه وتقصيره في إدارته .

وخشية التنكيل والتعذيب ، فقد امتنع بعض الشعراء أن يتولى عملًا لئلا يقع له من المكروه ما وقع لسواه ، فقد روى ان أحدهم قال للشاعر اسماعيل بن عمار[11] ، هلمّ اركبْ معك الى يوسف بن عمر ، فانه صديق ، حتى أكلّمه فيك يستعملك على عمل تنتفع به ، فقال له اسماعيل دعني حتى يحول الحول . فنظر اسماعيل الى عمّال يوسف يعذّبون ، فقال في ذلك هذه الأبيات يشرح فيها ما تعرّض له بعض العمال المقصّرين من الضرب بالسياط ، والمشي بالقيود ، والإلقاء في الحبوس ، ويعلن اكتفاءه بما ينال من عطاء ، وجوائز لقاء ما يقدم من قريض :

رأيتُ صبيحـــــةَ النَّيــــروز أمــــراً
فظيعـــــاً عن إمــــارتهم نهــــاني
فـــروتُ من العِمــــالة بعـــد يحيى
وبعـــــدَ النَّهشليّ أبي أَبـــــانِ
وبعـــــد الـــــزور وابن أبي كثيـــرٍ
وفيقـــدِ أشجــــعِ وأبي بطـــانِ

---

(١١) توفي نحو سنة ١٥٧هـ ، (الاعلام ١/٣١٧) .

فحـــابِ بهـــا أبـــا عثمـانَ غيــرِيَ
فمـــا شـــانُ الإمـــارةِ لي بشـــانِ
أحـــائِرٌ أنْ أُقصّـــرَ في خَـــراجي
الى النيـــروزِ أو في المِهْـــرجـــانِ
أعجَـــلُ إنْ أتى أجلي بـــوقتٍ
وحسبي بـــالمجَـــرّحـــةِ المِتـــانِ[١٢]
فمـــا عـــذري إذا عَـــرَضتُ ظهـري
لِألفٍ من سِيـــاطِ الشـــاهِجـــانِ
تُعَـــدُّ ليـــوسفٍ عـــدّاً صحيحـــاً
ويحفظهـــا عليـــه الجـــالـــدانِ
وأُسحبُ في ســـراويلي بقيـــدي
الى خَسّـــانَ مُعتقَـــلَ اللّســـانِ
فمنهم قـــائلٌ بُعـــداً وسُحقـــاً
ومنهم آخـــرانِ يُفـــدّيـــانِ
كفـــاني من إمـــارتهم غَطـــائي
ومـــا أُحـــذيتُ من سَبَقِ الـــرِّهـــانِ[١٣]

---

(١٢) يريد بالمجرّحة المتان : السياط الشديدة التي تقطع جلد مَنْ يُضرب بها ، والشاعر يريد بهذا الاخبار : الإشفاق والخوف .. (الحاشية ٢) .

(١٣) أحذيت : أعطيت . السبق : ما يُجعل من المال رهناً على المسابقة بين الخيل وغيرها . وأحسب انه يريد ما يعطاه جوائز على إجادته في شعره وسبقه الشعراء (الحاشية ٥) .

كفـــاني كـــذاكَ منهم مـــا بقِينـــا

كمـا فيمـا مضى لي قـــد كفَـــاني[١٤] .

وقد يعاد العامل أو الوالي المعزول الى عمله حين يشفع له أحدهم ، أو حين يتنصل الوالي مما اتهم به ، وقد يكون للشعر : أثر في هذه الإعادة .

ومن جهة أخرى كان الإعجاب بكفاءة المتولي على الإدارة وفعاله الحسن وعمله الباهر سبباً قوياً في اختياره وتوليته ، غير ان هذا لا يمنع ان يكون من أسباب التولية وشيجة الرحم وصلة القربى .

وكان بعض مَنْ عُرفوا بعمق التجربة ، وبُعد النظر ، وسلامة النية ينصح لمَنْ يتولى عملًا أن يتحلّى بصفات معينة ، ويتجنب صفات أخرى يصوغ ذلك كله في أبيات شعرية ليهتدي بها ذلك الوالي أو العامل .

وقد لا تقتصر ولاية بعضهم على عمل واحد ومدة واحدة ، وإنما قد يتولى أكثر من عمل ، وأكثر من مرة وفقاً لمقدرته من جهة ورغبة المولّي الذي يراه أهلًا لاكثر من عمل وأكثر من مرة من جهة ثانية .

كما كان بعضهم يخيّر بين الولاية لمدة معينة وبين الحصول على المال لقضاء ما عليه من دين .

وقد يكون الوالي أو العامل ذا سمعة طيبة وخلق متين وعفة ونزاهة ولكنه يفشل في إدارة ولايته أو عمله كما يجب فيُنحّى عن عمله ويُبعد ، فيعمد من أجل هذا الفشل أو العزل الى الدفاع عما آل اليه مصيره ، عازياً ذلك الى خصومة الآخرين له وحسدهم له على ولايته .

والملاحظ ان الولاة من الشعراء قبل العصر العباسي كانوا يتحلون بصفات البطولة والاقتدار والبراعة في الخطابة أكثر من سواهم ممن جاءوا في هذا العصر ، إذ لم يكن من بين شعراء العصر العباسي مَنْ

---

(١٤) الاغاني ١١/٢٦٩ - ٢٧٠ .

خطب على منبر ، كما كان يفعل الشعراء السابقون لهم إلا النادر .

كما يلحظ ان عدد الشعراء الولاة قليل بالقياس الى كثرتهم على مدى العصور الادبية من جهة وعلى كثرة ما في تلك العصور من مجالات التولية في أقطار الدولة المترامية الاطراف من جهة ثانية .

* * *

ولكن ما الأسباب التي تدعو أولئك الشعراء الى طلب الولاية والسعي الحثيث حدّ الإلحاف في بعض الاحيان الى نيلها والتمتع بها ، مع انهم يمتلكون قدرات شعرية ضخمة قد لا تتوفر إلا للقلة النادرة من أبناء جنسهم ، وان هذه القدرة الشعرية وفّرت وتوفر لهم المكانة المرموقة في المجتمع والزلفى من أُولي الامر ، وإغداق الهبات والجوائز عليهم مما لم يكن بوسع الكثيرين من شرائح المجتمع الحصول على شيء مما كانوا يحصلون عليه من وجاهة وتقدير ومال ، بل وشهرة في حياتهم وخلود بعد مماتهم ؟(١٥)

فهل من أسباب ذلك :

حاجة الشاعر الى المال المستمر لسد حاجاته من جهة ، وضمان أكيد لحاضره ومستقبله الذي يدره عليه عمله في الولاية ؟

أو انه وجد لدى الوالي من التجلة والاحترام ، وميل الناس الى خدمته والتزلف اليه ، ونيل رضاه رغبة في الحصول على المال ، ومنهم الشعراء ، ما لم يجده في الشعر والشعراء ؟

أو ان إحساس الشاعر بموهبته الشعرية التي امتاز بها عن سواه وعن الكثيرين من الولاة كانت تضغط عليه بشدة حدّ الحسد والغيرة والانفعال ليكون في مصاف أولئك الولاة الذين يأمرون وينهون ، ويعطون ويمنعون ؟

---

(١٥) للوقوف على ما كان يتمتع به الشعراء من جاه ومال يحسن الرجوع الى كتابنا (أبحاث في الشعر العربي) ، البحث الخاص بجوائز الشعراء .

وان هذا الإحساس تعمّق نفسيات بعض الشعراء فتحول الى أشبه ما يكون بالعقدة النفسية أو النقص حيال الولاية والولاة ؟

قد يكون سبب من هذه الاسباب أو كلها مجتمعة هي الدافع الحقيقي لطلب الشعراء الولاية أو الرغبة الشديدة في الحصول عليها ، حتى لو أدى بهم ذلك الى الطلب أو الإلحاح ، بل التصريح ، بل التضرّع .

والمتنبي[١٦] أوضح مثل على هذا ، فقد أحب الولاية ، وسعى اليها بكل وسيلة حتى طامنَ من نخوته في سبيلها ، وتنازل عن كبريائه في نيلها ، ولو كانت ولاية مدينة في بلد ناء[١٧] .

ويظهر ان ميله هذا وشغفه الذي لا حدود له في الوصول الى منصب الولاية كان قد نشأ معه منذ صباه ، وبقي يعتمل في نفسه ويشتد حتى ظهر واضحاً جلياً في أشعاره بعد ذلك .

قال الثعالبي :

(وما زال في بُرْد صباه الى ان أخلق بُرْد شبابه ، وتضاعفت عقود عمره ، يدور حب الولاية والرياسة في رأسه ، ويظهر ما يضمر مَنْ كامن وسواسه في الخروج على السلطان ، والاستظهار بالشجعان ، والاستيلاء على بعض الأطراف ، ويستكثر من التصريح في مثل قوله .. و ..)[١٨] .

إن تهالك الشاعر على الولاية مع تعاظمه في شعره وسمّوه بنفسه أخافا مَنْ كان وعده بشيء من هذه الولاية . قال ابن رشيق :

(وكان كافور الاخشيدي قد وعد أبا الطيب بولاية بعض أعماله ، فلما رأى تعاظمه في شعره وسمّوه بنفسه خافه ، وعوتب فيه ، فقال :

---

(١٦) توفي سنة ٣٥٤هـ ، (وفيات الاعيان ١/١٢٣) .

(١٧) ذكر البديعي ان المتنبي سأل كافوراً أن يولّيه صيداء من بلاد الشام أو غيرها من بلاد الصعيد . الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، ١١٢ .

(١٨) يتيمة الدهر ١/١٢٩ ، وفيه نماذج من شعره في هذا الصدد .

يا قوم مَنْ ادّعى النبوة مع محمد صلى الله عليه وسلّم لا يدعي المملكة مع كافور؟ حسبكم)[19] .

إن المتنبي أكثر الشعراء طلباً وإلحاحاً لنيل منصب الولاية ، ولكنه من القلائل جداً الذين حرموا منها .

ومَنْ يدري فلعل المتنبي لو حصل على ولاية في عهد كافور لا نقطع عن قول الشعر ولما أتحفنا بكافورياته الهجائية ومدائحه وأوصافه لسوى كافور ممن انتجعهم من شخصيات ذلك العصر !

ومن الشعراء الذين طلبوا الولاية وألحوا عليها وكتبوا الرسائل في إجازتها ، الشاعر الحيص بيص[20] . فقد كتب سبع رقاع الى الخليفة المسترشد شفعها بمائة بيت في مدحه طالباً إجازته ببعض البلاد ، كما يفعل أسلافه من الخلفاء العباسيين . ولكن المسترشد تغاضى عن ذلك وأناله خمسمائة دينار فردها ، وطلب منه إجازته بـ (بعقوبا) ، فأناله ثانية مثل النائل الاول ، فرده وأكد له رغبته في (بعقوبا) ، فبرز الجواب من المسترشد بالله شعراً حوشي الألفاظ ، غريب الكلم ، تهكماً به ، واستخفافاً بقدره في أقواله وأعماله ، واعتماداً على مقابلته بنقيض قصده ...)[21] .

والشاعران ـ المتنبي والحيص بيص ـ في تهالكهما على طلب الولاية يمثلان ـ في رأينا ـ الى حد كبير ما انطوت عليه نفسيات أكثر الشعراء من رغبة جامحة ، وميل شديد لنيل هذا المنصب !

ولعل مصداق ما ذكرناه من أسباب طلب الشعراء الولاية وإلحاحهم

---

(١٩) العمدة ١/٧٥ . وأنظر أمثلة كثيرة له في طلب الولاية ، (أمراء الشعر في العصر العباسي ، ٣٣٥) .

(٢٠) توفي سنة ٥٧٤هـ ، (الوفيات ٢/٣٦٥) .

(٢١) أنظر : خريدة القصر ، القسم العراقي ١/٣٦٣ ، الحاشية (٩) .

عليها ائتلاف بعضهم لشعره أو محاولة التخلص منه ، كالذي فعله مسلم بن الوليد ، أو امتناعه عن مواصلة النظم بعد حصوله على ولاية أو عمل من الاعمال ، كالذي فعله أبو تمام مثلًا !

ويلاحظ ان هذه الأسباب كثرت وبرزت لدى الشاعر العباسي أكثر من بروزها لدى أي شاعر آخر ، ولعل ذلك راجع الى طبيعة الحياة وتشعب مرافقها واختلال الموازين في تقدير المواهب ، وتسلّط الغرباء ، وكثرة الولاة غير الأكفاء من جهة ، وظهور عدد من كبار الموهوبين من الشعراء من جهة أخرى[٢٢] .

* * *

وبعد هذه المقدمة المركّزة - التي سيتضح الكثير مما جاء فيها من خلال استطرادنا مع الشعراء الولاة على مدى العصور الادبية حتى نهاية العصر العباسي - سنمضي في الحديث عن أولئك الشعراء الولاة مسترسلين معهم بحسب التسلسل الزمني لهم .

١ - الوليد بن عُقبة[٢٣] :

ولعله أول ما يطالعنا من أولئك الشعراء الولاة و (كان من فتيان قريش وشعرائهم وشجعانهم وأجوادهم)[٢٤] . وهو أخو عثمان بن عفان (رض) لامه . وكان فيه ظرف ولهو . وقد (بعثه) الرسول (ﷺ) على صدقات بني المصطلق ، ثم (ولّاه) عمر (رض) صدقات بني تغلب ،

(٢٢) جاء في أمراء الشعر في ترجمة المتنبي ، ٣٤٩ : (... ولما ترعرع ونال من الادب قسطاً ظهرت عليه بوادر الطموح الى العلى ، ورأى تطاول المماليك والموالي على أسيادهم ، وكثرة القائمين بالدعوات في المملكة العباسية والإمارات المختلفة ، فحدثته نفسه أن يقوم باعراب البادية ...) .

(٢٣) توفي سنة ٦١هـ ، (الاعلام ٨/١٤٣) .

(٢٤) الاغاني ٥/١٢٢ .

و (ولّاه) عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة ٢٥هـ ، وبقي والياً عليها الى سنة ٢٩هـ . وجرى بينه وبين سعد حوار حول سبب قدوم الوليد الكوفة ، فتمثل سعد ببيت من الشعر يغمز فيه الوليد . فقال الوليد : أما والله لانا أقْوَلُ للشعر وأروى له منك ، ولو شئت لاجبتك ولكني أدع ذلك لما نعلم ، نعم والله قد أُمرت بمحاسبتك والنظر في أمر عمالك ، ثم بعث الى عماله فحبسهم وضيّق عليهم ، فاستغاثوا بسعد فكلمه وخلّى سبيلهم[٢٥] . ولكن هذا الوالي احتسى الخمر فشهد عليه بذلك فحدّه عثمان وعزله[٢٦] .

جمع شعره وحققه ونشره الزميل الدكتور نوري القيسي ضمن سلسلة (شعراء أمويون) ـ القسم الثالث ، ص ٢٩ ـ ٦٤ .

٢ ـ النعمان بن بشير الانصاري[٢٧] :

له صحبة بالنبي (ﷺ) ولابيه بشير بن سعد ، وكان من أصحاب معاوية والمقربين اليه والى ابنه يزيد . (ولّي) القضاء بدمشق بعد فضالة بن عبيد سنة ٥٣هـ ، و (ولي) اليمن لمعاوية ، ثم (استعمله) على الكوفة تسعة أشهر ثم عزله . و (ولّاه) حمص واستمر فيها الى وفاة معاوية ، فلما بويع لمروان بن الحكم ، دعا النعمان الى ابن الزبير وخالف على مروان ، فلم يجب أهل حمص ذلك فهرب منهم وتبعوه فادركوه وقتلوه .

وكان النعمان يقدر الشعراء ويعطف عليهم ، وموقفه من أعشى همدان الذي قصده بعد ان خاب أمله في الشام في ولاية مروان بن

---

(٢٥) الاغاني ١٢٣/٥ ـ ١٢٤ .

(٢٦) نفسه ١٢٢/٥ ، وانظر : الاعلام ١٤٣/٨ ، وشعراء أمويون ٢٩/٣ ـ ٦٤ .

(٢٧) توفي سنة ٦٥هـ ، الاغاني ٢٩/١٦ ، والاعلام ٤/٩ .

الحكم ، فجمع له من اليمانية عشرين ألف دينار ، دليل على هذا . كما كان يرعى مَنْ يصنع معه معروفاً ، ويحسن صلته ، وحكايته مع الامرأة التي أهدت له هدية وهو في حداثة السن وقد قصدته وهو والٍ على حمص نعرفها وقال فيها بيتين من الشعر ، وأحسن صلتها ورفدها طول مقامها الى ان رحلت عنه ، دليل آخر على هذه الخلّة الكريمة فيه .

حقق شعره وقدّم له ونشره الزميل الدكتور يحيى الجبوري وقال فيه :

(والنعمان بعد ذلك شاعر له أثره ، في شعره عذوبة ورواء وفنّ ، وفيه روح إسلامي ظاهر وشخصيته كريمة كبيرة ...)[٢٨] .

٣ ـ أبو الاسود الدؤلي[٢٩] :

(كان من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثيهم ، وقد روى عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وروى عن ابن عباس وغيره)[٣٠] . كما كان معدوداً من الاعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب)[٣١] .

(استعمله) عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب . ولم يذكر نوع عمله في عهد عمر وعثمان . وذكر ان علياً (استعمله) على البصرة بعد ابن عباس[٣٢] .

نشر ديوانه المرحوم عبدالكريم الدجيلي في بغداد سنة ١٩٥٤ ، كما ذكر الشيخ محمد حسن آل ياسين في ملحقه على ديوان أبي الأسود

---

(٢٨) شعر النعمان بن بشير الانصاري ، المقدمة ، ص ٥ .

(٢٩) توفي سنة ٦٩هـ ، (الاعلام ٣/٣٤٠) .

(٣٠) الاغاني ، ١٢/٢٩٧ .

(٣١) الاعلام ، ٣/٣٤٠ .

(٣٢) الاغاني ، ١٢/٢٩٧ .

الدؤلي انه دفع نسخة الديوان الى إحدى المطابع في بيروت وانه لم يقف عليه على الرغم من مرور ثلاث سنوات على ذلك . أما الملحق فننشره في بغداد سنة ١٩٧٥ .

٤ ـ الحارث بن خالد المخزومي[٣٣] :

أحد شعراء قريش المعدودين الغزلين ، نشأ في أواخر أيام عمر بن أبي ربيعة ، وكان يذهب مذهبه لا يتجاوز الغزل الى المديح والهجاء . وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبّب بها ، وكان ذا قَدْر وخطر ومنظر في قريش .

ولما ولي عبدالملك الخلافة وفد عليه الحارث في دين كان عليه سنة ٧٥هـ ، وأقام ببابه شهراً لا يصل اليه ، فانصرف عنه وقال في ذلك شعراً ، فلما وقف عبدالملك على شعره أرسل مَنْ جاء به اليه فعاتبه على قوله ، فاعتذر الحارث وخيّره عبدالملك بين مائة ألف درهم أو قضاء الدين أو (توليته) مكة سنة[٣٤] . فاختار (الولاية) وحج بالناس .

ومن الطريف ان عائشة بنت طلحة كانت قد حجت في تلك السنة فطلبت منه تأخير الصلاة حتى تفرغ من طوافها فأخرها ، وأنكر أهل الموسم ذلك الفعل وأعظموه ، (فعزله) عبدالملك وكتبَ اليه يؤنبه على فعله .

ومن طرائفه انه لما (ولي) مكة بعث الى الغريض المغني الذي كان على خلاف معه ، لانه كان يمتنع عن الحضور عنده وعن الغناء بشعره ، طالباً منه أن لا يراه في (عمله) على مكة ، وان يغادرها ، فلما خرج الغريض الى ناحية الطائف رقّ له الحارث فردّه وعاتبه على امتناعه عن استجابته له وعدم الغناء بشعره ، فاعتذر الغريض مما كان

---

(٣٣) توفي نحو ٨٠هـ ، (الاعلام ، ١٥٥/٢) .

(٣٤) في الاعلام ١٥٥/٢ ، ان الذي ولّاه إمارة مكة يزيد بن معاوية .

يفعله ، ثم غنى بشيء من شعر الحارث ، فأعجب بما سمعه وعقب على ذلك بقوله :

(يا غريض لو لم يكن لي في (ولايتي) مكة حظ إلا أنت لكان حظاً كافياً وافياً ، يا غريض إنما الدنيا زينة ، فازين الزينة ما فرَّح النفس ، ولقد فهم قدر الدنيا على حقيقته مَنْ فهم قدر الغناء)(٣٥) .

٥ - عبدالله بن الحشرج(٣٦) :

سيد من سادات قيس وأمير من أمرائها وشعرائها . (ولّيَ) أكثر أعمال خراسان ومن أعمال فارس وكرمان في أيام عبدالملك بن مروان ، وكان جواداً ممدّحاً ، ومقرّباً من محمد بن مروان وصديقاً له معجباً بأخلاقه وكرمه ، يشفع له عند أخيه عبدالملك (فيولّيه) الأعمال ، وله مدائح في محمد هذا(٣٧) .

٦ - مالك بن أسماء(٣٨) :

شاعر غزل ظريف من (الولاة) ، كان هو وأبوه من أشراف الكوفة (ولّاه) الحجاج بن يوسف خوارزم وأصبهان بعد ان تزوج أخته هنداً . وظهرت عليه خيانة - يبدو انها تتصل بجباية الأموال - فحبسه ، وناله بكل مكروه ، وضيّق عليه في مأكله ومشربه . ودار بينه وبين الحجاج حوار دافع فيه مالك عن نفسه وأصله بأسلوب بليغ وحجج دامغة فأفحم الحجاج ، فوكله لأخته ليكف عنه . ونصح له بعض أقاربه أن يستجير ببعض بني أُمية حتى يأمن ، ثم يعود الى مصر(٣٩) .

---

(٣٥) الاغاني ، ٣/٣٢٥ - ٣٢٧ .

(٣٦) توفي سنة ٩٠هـ ، (الاعلام ، ٤/١٢١ - ٢١٣) .

(٣٧) أنظر : الاغاني ، ١٢/١٣ ، والاعلام ، ٤/٢١٢ - ٢١٣ .

(٣٨) توفي سنة ١٠٠هـ ، (الاعلام ، ٦/١٢٧) .

(٣٩) أنظر : الاغاني ، ١٧/٣٠ - ٢٣٩ ، والاعلام ٦/١٢٧ .

٧ ـ حارثة بن بدر الغدّاني[٤٠] :

من فرسان بني تميم ووجوهها وجُوَدائها . ويظهر انه أدرك النبي (ﷺ) في حال صباه وحداثته ، وهو من ولد الأحنف بن قيس . كان حارثة فصيحاً بليغاً عارفاً بأخبار الناس وأيامهم ، حلواً شاعراً ذا فكاهة ، وصاحب شراب . وكان زياد بن أبيه يأنس به طول حياته ؛ لما وجده فيه من صفات كريمة يندر توفرها عند الكثير ممن كانوا يتصلون به . ودليل هذا قول زياد فيه وقد عوقب على تقريبه له مع تعاطيه الشراب :

(أتلومونني على حارثة ؟ فواللّه ما تفل في مجلسي قط ، ولا حكًّ ركابه ركابي ، ولا سار معي في عُلاوة[٤١] الريح فغبَّر عليّ ، ولا دعوته قطّ فأحتجت الى تجشم الالتفات اليه حتى يوازيني ، ولا شاورته في شيء إلا نصحني ، ولا سألته عن شيء من أمر العرب ، وأخبارها إلا وجدته به بصيراً) .

وقال فيه الأحنف بن قيس : (ما غبت عن أمر قط فحضره حارثة بن بدر إلا وثقت بإحكامه إياه وجودة عقده له . وكان حارثة بن بدر من الدهاة ، (تولّى) حارثة أكثر من عمل في عهد زياد بن أبيه ، فقد (استعمله) على كُوَار[٤٢] . وهو إذ ذاك عامل عليّ بن أبي طالب (رض) على فارس ، فكتب زياد اليه يحثه على جباية الخراج . (واستعمله) على سُرَّق[٤٣] فلما مات زياد رثاه حارثة . وفيما يتصل

---

(٤٠) كان حياً في خلافة الوليد بن عبدالملك الذي استخلف سنة ٨٦هـ وتوفي سنة ٩٦هـ ، (تاريخ الخلفاء ، ٢٢٤) ، فقد كان أحد الحضور عندما أجرى الوليد الخيل ، (الاغاني ٣٩٦/٨) .

(٤١) في علاوة الريح : مهبها .

(٤٢) كوار : من نواحي فارس .

(٤٣) سرّق : كورة بالاحواز .

(بولايته) هذه الكورة ان المشيعين من البصرة خرجوا معه وفيهم أبو الأسود الدؤلي ، فلما انصرف المشيعون دنا منه أبو الأسود فقال له موصياً وناصحاً هذه الابيات :

أحـــارِ بن بـــدرٍ قـــد وَليتَ إمـــارة
فكُنْ جُـــرَذاً فيها تخـــون وتســـرقُ[٤٤]
ولا تَحقـرنْ يـــا حـــارِ شيئاً تُصيبـــهُ
فحظُّـــكَ من مُلْـــك العِـــراقينِ سُـــرَّقُ
فـــانَّ جميـــعَ النـــاسِ إمّـــا مكـــذِّبٌ
يقـــول بمـــا يهـــوَى وإمـــا مُصـــدِّقُ
يقـــولـــون أقـــوالًا بظنٍّ وشُبْهـــةٍ
فـــإنْ قيلَ هـــاتـــوا حقِّقُـــوا لم يُحقّقـــوا
فـــلا تعجـــزنْ فـــالعجـــزُ أبطـــأُ مَـــركبٍ
ومـــا كلُّ مَنْ يُـــدْعى الى الرِّزقِ يُـــرزقُ
وكـــاثـــرْ تميمـــاً بـــالغنى إنَّ لِلغنى
لســـانـــاً بـــه يسطـــو العييُّ وينطِقُ

فأجابه حارة عن أبياته هذه بأبيات يشكره فيها ، ويعده باتباع نصيحته الثمينة هذه على هذه الشاكلة :

جـــزاك مليكُ النـــاس خيرَ جـــزائـــه
فقـــد قلتَ معروفـــاً وأوصيتَ كـــافيـــا
أمـــرتَ بحـــزمٍ لـــو أمـــرتَ بغيـــره
لَألفيتني فيـــه لـــرأيـــك عـــاصيـــا

---

(٤٤) أحار : أي أحارثة ، منادى مرخم .

ستلقى أخـــاً يُصفيك بـالـودّ حـاضـراً
ويُـولـيـك حفظ الغيب إنْ كنت نـائيـا

ولما تولى عبيدالله بن زياد بعد وفاة أبيه أخَّر حارثة بعض التأخير بسبب تعاطيه الشراب ، فعاتبه الشاعر على ذلك مذكّراً إياه بتقريب والده له وإكرامه مع علمه بما كان عليه ، فاحتج عبيدالله بأنه يخاف القالة ، فقال حارثة أبياتاً يفخر بنفسه وشجاعته وحاجة الآخرين له . وحين شاوره عبيدالله مرة قال حارثة شارحاً حاله واطراحه في عهده :

أُهـــان وأُقصى ثم ينتصحـــــونني
ومَنْ ذا الـذي يُعطى نصحيته قَسْـرا
رأيتُ أكفَّ المُصلتين عليكمُ
مِـلاءً وكفّي من عطـايـاكمُ صِفـرا
متى تسـألـوني مـا عليَّ وتمنعـ
ـوا الذي ليَ لم أسطِعْ على ذلكمْ صبرا

فقال له عبيدالله : فاني معوّضك (ومولّيك) ، (فولّاه) على نيسابور ، وفي رواية جندنيسابور ، فغاب أشهراً ثم قدم فدخل عليه وقد استوفى الخراج وجاء به ، فلم يرضَ عنه عبيدالله ، وأمره بالرجوع الى عمله وإعادة الخراج الى أهله طالباً منه استيفاء ذلك منجّماً[٤٥] حتى تنقضي السنة ، لأن ذلك أرفق بالرعية وبه . وحذره من حملهم على بيع غلاتهم ومواشيهم أو التعنيف عليهم ، فرجع وعمل بما أمره به عبيدالله . وقيل انه طلب (توليته) لرامهرمز[٤٦] .

---

(٤٥) منجماً : مقسّطاً .

(٤٦) أنظر عن حارثة : الاغاني ٨/ ٣٨٤ ـ ٤٢٥ ، وتاريخ الطبري ، الفهارس ، وشعراء أمويون .

وفيما يتصل بأخبار حارثة مع عبيدالله ان سلم بن زياد قدم من يزيد بن معاوية عاملًا على خراسان وسجستان ، وكان بينه وبين عبيدالله بن زياد شيء ، فبعث سلم الى الشاعر أنس بن زنيم الليثي يعرض عليه صحبته وجعل له ان (يستعمله على كورة) ، فقال أنس في ذلك شعراً وبعث به الى عبيدالله يشرح فيه ما عرضه عليه سلم وخيّره ، ويعرّض بعبيدالله ، فلما قرأ عبيدالله الشعر طلب الى حارثة إجابته فأجابه بأبيات يهجوه فيها وينال منه ويحط من قيمته وادعائه ، مما كان سبباً في التهاجي بينهما ، بعدما كانا صديقين حميمين(٤٧) . جمع شعره وحققه ونشره الزميل الدكتور نوري القيسي ضمن كتابه (شعراء أمويون) ، القسم الثاني ، ص ٣٢٥ - ٣٦٧ .

٨ - ثابت قطنة(٤٨) :

هو أبو العلاء ثابت بن كعب(٤٩) ، وقطنة لقب له : لأن سهماً أصابه في إحدى عينيه فذهب بها في بعض حروب الترك فكان يجعل عليها قطنة . وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية ، وكان في صحابة يزيد بن المهلب الذي (ولّاه) أكثر من عمل ، فقد (ولّاه) أعمالًا من أعمال الثغور فاحمد فيها مكانه لكفايته وشجاعته . كما (ولّاه) عملًا من أعمال خراسان وخراجها ، وشهد الوقائع فيها سنة ١٠٢هـ .

وكان فصيحاً بليغاً ، ويذكر بعض مترجميه انه حين (ولّي) عملًا من أعمال خراسان صعد المنبر يوم الجمعة ورام الكلام ، فتعذر عليه وحصر ، فقال :

---

(٤٧) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان .

(٤٨) توفي سنة ١١٠هـ ، (الاعلام ٨٢/٢) .

(٤٩) في الفاضل في صفة الادب الكامل ٧٦/١ (ثابت بن قطنة) وهو خطا .

(سيجعل الله بعد عسر يسرا) وبعد عيّ بياناً ، وأنتم الى أمير فقال أحوج منكم الى أمير قوّال :

وإلا أكنْ فيكمْ خطيباً فانني
بسيفي إذا جدّ الوغى لخطيبُ

فبلغت كلماته خالد بن صفوان ، ويقال : الاحنف بن قيس ـ فقال : والله ما علا ذلك المنبر أخطب منه في كلماته هذه ، ولو ان كلاماً استخفني ، فأخرجني من بلادي الى قائله استحساناً له ، لاخرجتني هذه الكلمات الى قائلها ...

جمع شعر ثابت قطنة وحققه ونشره في بغداد سنة ١٩٦٨ ماجد أحمد السامرائي(٥٠) .

٩ ـ مساور الوراق(٥١) :

هو مساور بن سوّار بن عبدالحميد ، كوفي ، قليل الشعر(٥٢) ، من أصحاب الحديث ورواته ، وقد روى عن صدر من التابعين ، وروى عنه وجوه أصحاب الحديث .

له أشعار في التعريض بابن أبي ليلى وجعفر بن أبي بردة وبأصحاب أبي حنيفة ، كما له شعر في الثناء على طريقة أبي حنيفة ، وفي رثاء حميد الطوسي الذي كان صديقه وفي غيره .

وأهم ما يتعلق بموضوع البحث وصيته لابنه و (ولايته) عملاً لم يحسن القيام به ، وشعره في الحالين . فقد روى انه قال لابنه يوصيه :

---

(٥٠) يُنظر : الاغاني ٢٦٣/١٤ ـ ٢٨٢ ، والفاضل في صفة الادب الكامل ٧٦/١ ـ ٧٧ ، والاعلام ٨٢/٢ ، وشعر ثابت قطنة .

(٥١) توفي نحو ١٥٠هـ ، (الاعلام ١٠٥/٨) .

(٥٢) في الاعلام ١٠٥/٨ (له أخبار وأشعار كثيرة) .

شمر ثيابك واستعدَّ لقائل
واحكُكْ جبينك للعهود بثومِ
إنَّ العهودَ صفت لكل مشمّرٍ
دَبِرِ الجبين مُصَفَّرٍ موسومِ
أحسِنْ وصاحِبْ كلَّ قارٍ ناسِكٍ
حسن التعهُّدِ للصلاةِ صَؤُومِ
من ضربِ حِمَّادٍ هُناك ومِسْعَرٍ
وسِماكِ العَتَكي وابنِ حكيمِ
وعليكَ بالغنويِّ فاجلسْ عندَه
حتى تُصيبَ وَديعةً ليتيمِ
تُغنيك عن طلبِ البيوعِ نَسيئةً
وتلفُّ عنك لسان كُلِّ غريمِ
وإذا دخلت على الرَّبيعِ مُسلِّماً
فاخصُصْ شبابةَ منكَ بالتسليمِ

ففعل ما أوصاه به أبوه ، فلم يلبث مساور ان (ولّاه) عيسى بن موسى عملًا ودفع اليه (عهده) ، فانكسر الخراج ، فدُفع الى بطين صاحب عذاب عيسى يستأديه ، فقال مساور :

وجدت دواهر البقّال أهْنَى
من الفُزنيِّ والجدي السمينِ[٥٣]

(٥٣) الدواهر : الشدائد . الفزني : نوع من الخبز يُعجن بالسمن والسكر ، (الهامش ١) .

وخيـــراً في العـــواقب حين تُبلي
إذا كـــان المَـــردُ الى بَطينِ
فكُنْ يـــاذا المُطيف بقـــاضيينـــا
غـــداً من علم ذاك على يقينِ
وقـــل لهمـــا إذا عـــرضـــا بعهـــدٍ
بَـــرِئتُ الى عُـــزَيْنـــة من عـــرينِ
فـــإنـــك طـــالمـــا بَهـــرجتَ فيهـــا
بمثـــل الخنفســـاءِ على الجبينِ[٥٤]

١٠ ـ يحيى بن زياد الحارثي[٥٥] :

المكنى بأبي الفضل ، ينتمي الى أسرة لها وجاهتها ومركزها السياسي والاجتماعي في العصر الأموي ، وهو من مخضرمي الدولتين : الأموية والعباسية . ولد ونشأ في الكوفة ، وكان يتردد أحياناً الى بغداد . عاصر جماعة من الشعراء اللاهين وطالبي اللذة ، وله معهم أخبار ومجالسات لا تخلو من الطرافة واللهو والتطارح في المسائل الأدبية وخاصة الشعر . وكان صديقاً حميماً لمطيع بن إياس الذي رثاه بمراثٍ جياد . وكان يحيى دمث الخلق ، سمح الطبع ، كريماً ، وقد أقلع عن غوايته وتاب وأناب وتزهد .

(ولّاه) المنصور ـ بعد تلكّؤ وتمنع بسبب خلاعته وتخرّقه في النفقة ومجونه ـ بطلب من ابنه المهدي بعض أعمال الأحواز ، فقصده بعض مجالسيه من الشعراء فاحتفى به وأكرمه ، فمدحه ذلك الشاعر

---

(٥٤) يُنظر في ترجمة مساور : الاغاني ١٨/١٤٩ ـ ١٥٣ ، والاعلام ٨/١٠٥ .
(٥٥) توفي قبل سنة ١٦٦هـ ، (يُنظر : كتابنا دراسات في الشعر والشعراء) ، ص ١٢٥ .

بمقطوعتين من الشعر .

ومما يجدر ذكره ان يحيى وصحبه من الشعراء كانوا موسعين مرفهين في العصر الأموي ومعوزين محتاجين في العصر العباسي ، وفي عهد المنصور بالذات . ولا شك في ان هذا من أهم الأسباب في رغبة الشعراء الحصول على عمل من الأعمال يدرّ عليهم المال لسد الحاجة ، وهو ما لم يجدوه في مهنة الشعر إذا صحّ التعبير . جاء في الأغاني في هذا الصدد :

(كان مطيع بن إياس منقطعاً الى جعفر بن المنصور فطالت صحبته له بغير فائدة ، فاجتمع يوماً مطيع بن إياس وحماد عجرد ويحيى بن زياد فتذاكروا أيام بني أُمية وسعتها ونضرتها وكثرة ما أفادوا منها ، وحسن مملكتهم وطيب دارهم بالشام ، وما هم فيه ببغداد من القحط في أيام المنصور وخشونة العيش وشكوا الفقر فأكثروا ...) .

جمعت شعره وحققته وأودعته القسم الثالث من سلسلة كتابي (شعراء عباسيون) ، كما درست حياته وشعره مفصلة في كتابي (دراسات في الشعر والشعراء)[٥٦] .

١١ ـ مطيع بن إياس[٥٧] :

أبو سلمى شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وليس من فحول الشعراء في تلك ، كان ظريفاً خليعاً حلو العشرة ، مليح النادرة . مولده ومنشؤه الكوفة ، وكان منقطعاً الى الوليد بن يزيد بن عبدالملك ، متصرّفاً بعده في دولتهم ، ومع أوليائهم وعمّالهم وأقاربهم ، ثم انقطع في الدولة العباسية الى جعفر بن أبي جعفر المنصور ، وكان مصاحباً لعدد من الشعراء في العهدين الأموي والعباسي ، كما تقدم في

---

(٥٦) يُنظر : كتابنا (دراسات في الشعر والشعراء) ، ص ١٠٤ وما بعدها .
(٥٧) توفي سنة ١٦٦هـ ، (الاعلام ٨/٦١) .

ترجمة يحيى بن زياد ، وله معهم مجالسات وطرائف ومطارحات .

قدم مطيع على سليمان بن علي بالبصرة - وواليها على الصدقة داود بن أبي هند - فعزله و (ولّى) عليها مطيعاً . ويظهر انه - كما يرى أبو الفرج - مات في تلك الأيام فانه أشار الى عمل (ولّاه) إياه سليمان ولم يسمّهِ[٥٨] . وأشار الزركلي الى ان الذي (ولّاه) على الصدقات بالبصرة المهدي العباسي[٥٩] .

١٢ - بشار بن برد[٦٠] :

الشاعر المعروف الذي يعدّ عند بعضهم أشعر المولدين . نشأ بالبصرة ، وتردد الى بغداد فمدح المهدي ، كما مدح كثيراً من رجال الدولتين الأموية والعباسية . وتراجمه كثيرة لا نرى ما يدعو الى الإطالة فيها .

انفرد ابن رشيق - على ما نرى - في ان بشاراً كان من عميان كتّاب الأزمّة[٦١] .

---

(٥٨) يُنظر : الاغاني ، ٢٧٤/١٣ - ٣٣٦ .

(٥٩) الاعلام ١٦٢/٨ .

(٦٠) توفي سنة ١٦٧هـ ، (الاعلام ٢٤/٢ .

(٦١) أنظر : شعراء عباسيون ١٥٩/٢ . من الجدير بالذكر اني استفسرت عن هذا الديوان من قسم التاريخ فافادتني طالبة الدكتوراه خولة عيسى صالح بما ياتي : (اختص ديوان الازمة بضبط حسابات الدولة ومراجعتها ، والإشراف عليها ، فكان لهذا الديوان مندوب خاص في كل ديوان من دواوين الدولة مهمته ضبط حسابات الديوان ومراجعتها ورفعها الى صاحب الديوان الذي يرفعها بدوره الى الخليفة ، وكان هذا المندوب يُطلق عليه زمام الديوان ... وتقول : حتى يمكننا تشبيهه الآن بـ «ديوان الرقابة المالية ...») .

١٣ ـ الأسود بن عمارة بن الوليد[٦٢] :

أحد الشعراء الذين وردت بعض أخباره في عهد المنصور وموسى الهادي . وكان الأسود (يتولّى) بيت المال بالمدينة . ولا نعلم السنة التي تولّى فيها هذا العمل ولا الذي ولّاه إياه[٦٣] .

١٤ ـ عبدالله بن مصعب الزبيري[٦٤] :

أبو بكر الأسدي : شاعر فصيح خطيب ذو عارضة وبيان واعتبار بين الرجال وكلام في المحافل . وكان يُلقب (عائد الكلب) لشعر قاله . اتصل بأوائل الخلفاء العباسيين ونادمهم ، وكان محموداً في (ولايته) ، جميل السيرة ، تردد الى بغداد مرات . وكان لورعه ونزاهته يكره (الولاية) ، وقد ألزمه الرشيد وهو في السبعين من عمره (ولاية) المدينة فأبى ذلك إلا وفق شروط منها : ان يكون مال الصدقات غير موكول لأحد من الناس ، ولا ينبغي ان يكون ارتزاقه والمرتزقة منه .

(ولّى) اليمامة في أيام المهدي ثم الهادي ، وهذا معنى قول أبي الفرج (وتولّى) لهم أعمالًا . (وتولى) في عهد الرشيد إمارة المدينة واليمن . وتوفي بالرقة في صحبة الرشيد .

ذكر له أبو الفرج والخطيب البغدادي نماذج من شعره[٦٥] .

---

(٦٢) كان حياً في خلافة الهادي المتوفى سنة ١٧٠هـ والذي أقام في الخلافة سنة وأشهراً ، (تاريخ الخلفاء ٢٧٩ ، ٢٨٠) .

(٦٣) تُنظر ترجمته في الاغاني ١٦٩/١٤ ـ ١٧٣ .

(٦٤) توفي سنة ١٨٤هـ ، (تاريخ بغداد ١٧٦/١٠) .

(٦٥) ترجمته في الأغاني ٢٣٧/٢٤ ـ ٢٤٢ ، وتاريخ بغداد ١٧٣/١٠ ـ ١٧٦ ، والاعلام ٢٨١/٤ .

١٥ ـ نصيب الاصفر[٦٦] :

مولى المهدي ، نشأ باليمامة ، أعجب بشعره المهدي فقرّبه ثم أعتقه وكنّاه أبا الحجناء وأقطعه ضيعة بالسواد . كان نصيب يجيد الغزل والمدح والهجو والوصف . له مدائح في المهدي والرشيد . ورثى بعض قواد المهدي . (ولّاه) الرشيد بعض كور الشام ، فأفاد من ذلك مالًا جزيلًا[٦٧] .

١٦ ـ أشجع السلمي[٦٨] :

أبو الوليد ، ولد باليمامة وربّي ونشأ بالبصرة ، ثم كبر وقال الشعر وأجاد وعدّ في الفحول ، ثم خرج الى الرقة واتصل بالرشيد فأعجب به فأثرى وحسنت حاله في أيامه وتقدّم عنده . وكان حلواً ظريفاً ، سائر الشعر ، له كلام جزل ومدح رصين .

(ولّاه) بعضهم عملًا ، فرفع اليه أهله رفائع[٦٩] كثيرة ، وتظلموا منه وشكوه ، فصرفه عنهم ، فلما رجع من (عمله) مثل بين يديه ، ثم أنشأ قصيدة يذكر فيها ان مَنْ شكوه كانوا حاضرين وهو غائب ، ثم أخذ

---

(٦٦) توفي بعد التسعين والمائة ، (طبقات الشعراء) ١٥٧ ، وفوات الوفيات ٢٠٥/٤ . وذكر الزركلي ان وفاته كانت في سنة ١٧٥هـ ، ولا دليل على هذا . وفي الاغاني ١/٢٣ انه عمّر بعد المهدي .

(٦٧) ترجمته في : طبقات الشعراء ، ١٥٥ ـ ١٥٧ ، والاغاني ، ١/٢٣ ـ ٢١ ، وفوات الوفيات ، ٢٠٣/٤ ـ ٢٠٥ ، والاعلام ، ٣٥٤/٨ ، وغيرها .

(٦٨) توفي نحو ١٩٥هـ ، (الاعلام ١٣٢/١) ، وذهب الدكتور خليل بنيان في كتابه (أشجع السلمي ـ حياته وشعره) الى ان وفاته كانت في آخر خلافة المامون أو بعدها بيسير ، ص ٥٠ ، علماً ان وفاة المامون كانت في سنة ٢١٨هـ .

(٦٩) الرفائع : جمع رفيعة وهي القصة المرفوعة الى الحاكم (الحاشية) .

في الثناء على نفسه وشجاعته وأثر شعره في الآخرين ، وما دبجه في الثناء على مَنْ ولّاه ، ويطلب أن يجمع بينه وبين أولئك المتظلمين ليتبين المتهم من البرىء . وهذا دليل على ان الادارة فن ومهارة ، وان الشاعر قد يكون كبيراً في شعره ، مجيداً في قريضه ، ولكنه لا يفلح ولا ينجح في عمل آخر وفي مجال غير مجال تخصصه .

فمن قصيدته قوله :

أطـافـوا بي لـديـك وغبتُ عنهمْ
ولـــو أدنيتني لتجنبـــوني
وقـد شهـدت عيـونهمُ فمـالتْ
عليّ وغيّبت عنهمْ عيــــوني
وكنت إذا هجـوت رئيسَ قـومٍ
وسمتُ على الـذؤابـةِ والجبينِ
ولـو كشفت سـرائـرنـا جميعـاً
علمت مَنْ البـريء من الظنينِ
عـلامَ وأنت تعلم نصـح جنبي
وأخـذي منـك بـالسبب المتينِ
تقـرّب منـك أعـدائي وأنـأى
ويجلس مجلسي مَنْ لا يليني[70]

درس حياته وجمع شعره الدكتور خليل بنيان الحسون .

---

(٧٠) ترجمته في : ٢١٢/١٨ - ٢٥٢ ، وتاريخ بغداد ٤٥/٧ ، والاعلام ١٩٥/١ ، وأشجع السلمي حياته وشعره ، وغيرها .

١٧ ـ مسلم بن الوليد[٧١] :

المعروف بصريع الغواني لبيت قاله . وهو من أهل الكوفة ومن شعراء القرن الثاني الهجري المبرزين المشهورين . اتصل بالرشيد وعدد من الأمراء والوزراء والقواد فمدحهم وأشاد بهم . وعرف بميله الشديد الى البديع فاكثر منه وأجاد فيه وتبعه الشعراء في ذلك . وهو من الشهرة ما لا نرى مندوحة في الاسترسال عنه وعن شعره ، فقد كتب فيه وعن شعره غير واحد من الدارسين والباحثين والمحققين .

(قلّده) الفضل بن سهل المظالم بجرجان ، وقيل : (ولّاه) البريد بجرجان ، وقيل : قطائع جرجان . ثم (قلّده) الضياع بأصبهان . فقد روي ان الشاعر دخل على الفضل ينشده شعراً فقال له : أيها الكهل اني لأجلّك عن الشعر ، فسل حاجتك . قال : بل تستتم اليد عندي بأن تسمع ، فأنشده (ثلاثة أبيات) ، فقال له الفضل : اني لأجلّك عن الشعر . قال : فاغنني بما أحببت من عملك . (فولّاه) البريد بجرجان وكانت وفاته فيها .

ومن الطريف في أمر مسلم ـ ولعله الوحيد من الشعراء والولاة الذي فعل ما فعل ـ انه حين ولّي العمل جاءه راويته يعرض عليه شعره فتفافله ، ثم أخذ منه الدفتر الذي في يده ، فقنف به في البحر ، فلهذا قلّ شعره ، فليس في أيدي الناس منه إلا ما كان بالعراق . وما كان في أيدي الممدوحين من مدائحهم . وهذا ما قاله أبو الفرج ، أما محقق ديوانه وناشره فقال في هذه المسألة :

فهل نفهم من ذلك ان الشاعر أتلف من الديوان ما كان في الفضل بن سهل[٧٢] خوفاً على نفسه ، فرمى به في نهر جرجان ، أم نرى

---

(٧١) توفي سنة ٢٠٨هـ ، (الاعلام ٨/ ١٢٠) .

(٧٢) مات مقتولًا سنة ٢٠٢هـ .

في ذلك حجة النقاد والرواة حين بحثوا عن شعر مسلم بعد سفره الى جرجان فلم يقعوا على شيء فقالوا انه زهد ونسك وتاب . وما أمر هذا النسك والزهد ؟ أهو العزوف عن الغزل وما إليه ونحن نملك كثيراً منه كان حقه أن يتلف ويزول . أم هو الخوف من الموت والسلطان قد عقل لسانه فسكن وزهد ، أم ان المنصب الذي كان فيه جعله أرفع من أن يدفعه الى درك الشاعرية ، وكانت مهنة السائل المحتاج آنذاك .

وقال محقق الديوان أيضاً في طموح الشاعر وسواه من الشعراء الى الحكم :

وليس معنى ذلك انه قليل الهم في الأمور الخطيرة ، لا يطمح الى مُلك أو حكم ، فقد رأينا فيما بعد انه طمح الى ولاية فاصبح عاملًا للبريد بجرجان ، كما طمح غيره في عصره وبعد عصره ، لأن الشعراء أصبحوا يمسكون بزمام الأمور في مواضع كثيرة من الحكم[٧٣] .

وقد أفاد الشاعر من عمله هذا الكثير فاتسعت حاله وتيسّرت أموره وابتاع الضياع[٧٤] .

١٨ ـ أبو تمام الطائي :

من أشهر شعراء القرن الثالث الهجري وأبرزهم . ونجتزىء في التعريف المقتضب به وبشعره بفقرة قدم بها ترجمته أبو الفرج ، فقال :

(أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، من نفس طيء صليبة ، مولده ومنشؤه منبج ، بقرية منها يقال لها جاسم . شاعر مطبوع ، لطيف الفطنة ، دقيق المعاني ، غوّاص على ما يستصعب منها ، ويعسر متناوله على غيره . وله مذهب في المطابق هو كالسابق اليه جميع الشعراء ، وإن كانوا قد فتحوه قبله ، وقالوا القليل منه ، فان له فضل الإكثار منه ،

---

(٧٣) في هذا شيء من المبالغة وعدم الدقة إن لم يكن متناقضاً في الحكم .

(٧٤) ترجمته في الاغاني ١٩/٣١ - ٧٢ ، وديوانه تحقيق خليل مردم .

والسلوك في جميع طرقه . والسليم من شعره النادر شيء لا يتعلق به أحد ، وله أشعار متوسطة ، ورديئة رذلة جداً)[٧٥] .

ولعل أبا تمام أو شعره على الأصح له الفضل الأكبر في الحركة النقدية التي ظهرت في القرنين الثالث والرابع الهجريين .

كان على صلة وطيدة بالخليفة المعتصم ، فكان شاعره ، كما اتصل بابنه الواثق وبالكثير من الأمراء والوزراء والقواد والكتّاب . فكان صديقاً حميماً للحسن بن وهب الذي كان أحد المقربين من الوزير الخطير ابن الزيات وكاتباً له . وكان الحسن معجباً بشعر أبي تمام ، يحفظه ويفهمه ويدافع عنه . وللشاعر مدائح فيه ووصف بلاغته . وللحسن رثاء في أبي تمام .

هذه العلاقة المتينة بين الشاعر وبين ابن وهب كانت السبب في (تولية) الشاعر عملًا من الأعمال . فقد ذكر الصولي عن بعضهم قوله :

(عُني الحسن بن وهب بأبي تمام ، وكان يكتب لمحمد بن عبدالملك الزيات ، (فولّاه) بريد الموصل . فأقام بها سنة ، ومات في جمادى الاولى سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، ودُفن بالموصل)[٧٦] .

ويبدو ان هذا العمل أو الولاية قد توسع فيها مما حدا بابن خلكان الوقوف عندها موضحاً ملابساتها أو التوسع فيها . فقال :

(وأخباره كثيرة ، ورأيت الناس مطبقين على انه مدح الخليفة بقصيدته السينية ، فلما انتهى الى قوله :

إقـــدام عمـــرو في سمـــاحـــة حـــاتم
في حلم أحنف في ذكـــاء إيـــاسِ

قال الوزير : أتشبه أمير المؤمنين بأجلاف العرب ، فأطرق ساعة ، ثم رفع

---

(٧٥) الاغاني ١٦/٢٨٣ .

(٧٦) أخبار أبي تمام ٢٧٢ .

رأسه وأنشد :

لا تنكروا ضربي له مَنْ دونه
مثلًا شروداً في الندى والباسِ
فاللّهُ قد جعل الأقلّ لنوره
مثلًا من المشكاة والنبراسِ

فقال الوزير للخليفة : أي شيء طلبه فاعطه ، فانه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً . لأنه قد ظهر في عينيه الدم من شدة الفكرة ، وصاحب هذا لا يعيش إلا هذا القدر ، فقال له الخليفة ما تشتهي ؟ قال : أريد الموصل ، فأعطاه إياه ، فتوجه اليها وبقيَ هذه المدة ومات .

وهذه القصة لا صحة لها أصلًا ... فقد تتبعتها وحققت صورة (ولايته) للموصل فلم أجد سوى ان الحسن بن وهب (ولّاه) بريد الموصل فأقام بها أقل من سنتين ثم مات بها ...)[٧٧] .

١٩ - مروان بن أبي الجنوب[٧٨] .

يكنّى بأبي السمط ويُلقب (غبار العسكر) ، لبيت قاله . وهو من بيت معروف أبناؤه بتوارث الشعر ، كما كانوا معروفين باتجاههم السياسي وميلهم الى العباسيين ، فاتصلوا بخلفائهم وأمرائهم ووزرائهم وقادتهم . وكان مروان هذا يُعرف بمروان الاصغر تمييزاً له عن جده . مدح المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، وحظي عند الاخير حتى كاد يصبح من شعرائه المقربين .

اتهمه بعض الادباء بانه كان مرزوقاً بشعره مع تخلفه فيه ، وهي تهمة لا نراها صحيحة ، وإنما مبعثها الحقيقي اتجاهه السياسي الذي

---

(٧٧) وفيات الاعيان ٢/١١ - ١٦ . ما كتب عن أبي تمام قديماً وحديثاً أكثر من ان نمثل له بمصدر أو مرجع .

(٧٨) توفي سنة ٢٤٠هـ ، (الاعلام ٨/٩٨) .

كان يملنه ، ففي نماذج شعره التي وصلت الينا ما يبطل دعوى مَنْ اتهمه بضعف الشعر أو تخلفه بالقياس الى أشعار الاخرين الذين تمثلت بعض المصادر بنماذج منها .

(عقد) له المتوكل - بعد استماعه الى شيء من شعره - على البحرين واليمامة وطريق مكة[79] .

ولنا فيه وفي شعره بحث مستفيض سننشره متى سنحت الفرصة بذلك .

٢٠ - دعبل بن علي[80] :

كنيته أبو علي ، أصله من الكوفة ، وكان ينتقل في البلاد ، وأقام ببغداد مدة ، ثم خرج منها هارباً من المعتصم لما هجاه وعاد اليها بعد ذلك .

وأحسن مَنْ عرف بشاعريته ونفسيته أبو الفرج ، حيث قال : (شاعر متقدم مطبوع هجّاء خبيث اللسان ، لم يسلم عليه أحد من الخلفاء ولا وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهة أحسن اليه أو لم يحسن ، ولا أفلت منه كبير أحد ...)[81] .

إن اتجاه دعبل في ضوء هذا النص يشبه الى حد كبير اتجاه شاعر جاء بعده وهو ابن بسام الذي اشتهر بالهجاء لكل أحد ، ولهذا نرى من المفيد الاستئناس بما قلناه عنه في دراستنا له .

(ويخيل الينا ان من دوافع اتجاهه هذا هو حدّة مزاجه الذي قد يقرب من حالة المرض ، ولعل ما مرّ من أخباره وعلاقته السيئة مع سائر

---

(٧٩) ترجمته وأخباره في : الطبري ٩/ ٢٣٠ - ٢٣٣ ، والاغاني ١٢/ ٨٠- ٨٨ ، والاعلام ٨/ ٩٨ ، وغيرها .

(٨٠) توفي سنة ٢٤٦هـ ، (تاريخ بغداد ٨/ ٣٨٥) .

(٨١) الاغاني ٢٠/ ١٢٠ .

الناس ابتداءً من أبويه وأبناء أسرته وآله وانتهاءً بسائر أبناء المجتمع دليل على هذا . ولعل هذا الدافع أو السبب جعله ينظر الى الناس نظرة ازدراء واحتقار وتهيب وحذر مما جعله لا يرضى عن أحد : خليفة كان أو وزيراً أو أميراً أو والياً أو سوى ذلك ...)[٨٢] .

ولعل قول دعبل الآتي ونظرته المتشائمة الى الناس يستقطب ما انطوت عليه نفسيته من كره وبغض وانحراف طبع حياته كلها :

ما أكثر النـــاس لا بل مـا أقلَّهم
اللّـــهُ يعلم أني لم أقـــل فنـــدا
اني لأفتـــح عيني حين أفتحهـــا
على كثيـــرٍ ولكنْ لا أرى أحـــدا[٨٣]

وذكرت بعض مصادر ترجمته قولًا منسوباً اليه في معرض التباهي بالشجاعة والإقدام والتحدي للناس وللسلطة وهو :

(لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على مَنْ يصلبني عليها فما أجد مَنْ يفعل ذلك ...)[٨٤] .

والحق ان دعبلًا لم يستقرّ في مكان معين مدة طويلة ، وإنما كان هارباً طريداً شريداً من وجه العدالة ـ كما يقال في الوقت الحاضر ، ولعل الخبر الآتي دليل قاطع وبرهان ساطع على ان الرجل لم يكن من طراز الابطال والشجعان وأرباب التحدي للآخرين .

فقد رويَ عن أبي خالد الخزاعي الأسلمي ، قوله :

(قلت لدعبل : ويحك قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد ووترت الناس جميعاً ، فانت دهرك كله شريد طريد هارب خائف ...)[٨٥] .

---

(٨٢) شعراء عباسيون ٢/٣٦٤ .

(٨٣) شعر دعبل ٩٧ .

(٨٤) الوفيات ٢/٢٦٦ .

(٨٥) الاغاني ٢٠/١٢٥ .

(ولّاه) المطلب بن عبدالله وهو بمصر على أسوان ، ثم عزله عنها حين بلغ المطلب هجاء دعبل له .

ولاهمية هذا الخبر ودلالته على خبث طوية الشاعر ونكرانه للجميل نرى أن نسوقه كما جاء في المصدر الذي ذكره . رويَ عن دعبل قوله :

(حججت أنا وأخي رزين وأخذنا كتباً الى المطلب بن عبدالله بن مروان وهو بمصر يتولاها ، فصرنا من مكة الى مصر ،... فمكثنا أياماً ، ثم (ولّي) دعبل بن عليّ أسوان ، وكان دعبل قد هجا المطلب غيظاً منه ، فقال :

تعلّقُ مصـــر بـــك المخـــزيـــات
وتبصقُ في وجهــك المـــوصـــلُ
وعـــاديتَ قـــومـــاً فمـــا ضـرّهمْ
وشـــرّفتَ قـــومـــاً فلم ينبلـــوا
شعـــارك عنـــد الحـــروب النجـــاء
وصـــاحبـــك الاخـــورُ الافشـــلُ
فـــانت إذا مـــا التقـــوا آخـــرٌ
وأنت إذا انهـــزمـــوا أوّلُ

وقال فيه :

اضـربْ ندى طلحـة الطلحات متئداً
بلـــؤم مطّلب فينـــا وكن حكمـــا
تخـــرج خزاعـــة من لـــؤمٍ ومن كـــرم
فـــلا تعـدّ لهـــا لـــؤمـــاً ولا كـــرمـــا

... قال : وبلغ المطلب هجاؤه إياه بعد ان (ولّاه) ، فعزله عن أسوان

فانفذ اليه كتاب العزل مع مولى له . وقال : انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة ، فإذا علاه فأوصل الكتاب اليه ، وامنعه من الخطبة وأنزله عن المنبر ، واصعد مكانه . فلما إن علا المنبر وتنحنح ليخطب ناوله الكتاب ، فقال له دعبل : دعني أخطب ، فإذا نزلت قرأته . قال : لا ، قد أمرني أن أمنعك الخطبة حتى تقرأه ، فقرأه وأنزله عن المنبر معزولًا)[٨٦] .

وأشار الى هذه الولاية أيضاً أبو دلف العجلي في اجابته المأمون عن دعبل وهجائه وسوء مجازاته لِمَنْ يحسن اليه ، فقال :

(وأيّ شيء أقول في رجل لم يسلم عليه أهل بيته حتى هجاهم ، فقرن إحسانهم بالإساءة ، وبذلهم بالمنع ، وجودهم بالبخل ، حتى جعل كل حسنة منهم بإزاء سيئة ! قال : حين يقول ماذا ؟ قال ؟ حين يقول في المطلب بن عبدالله بن مالك ، وهو أصدق الناس له ، وأقربهم منه ، وقد وفد اليه الى مصر فأعطاه العطايا الجزيلة ، و (ولّاه) ولم يمنعه ذلك من أن قال فيه (اضرب ندى طلحة الطلحات ... البيتان)[٨٧] .

حقق شعره ونشره في دمشق . الدكتور عبدالكريم الأشتر .

٢١ ـ عليّ بن الجهم[٨٨] :

أبو الحسن ، شاعر فصيح مطبوع مُفلق ، وسيم الوجه ، حسن الجسم ، فارس شجاع ، جمع بين الثقافة والفتوة وقول الشعر والعلم بفنونه ، وأدب النفس وشرف النسب والثروة والجاه ، فاضل متدين حتى قال فيه بعضهم : (كان علي بن الجهم من كملة الرجال) .

اتصل بالواثق واختص بالمتوكل ، فكان يأنس به ويقرّبه ، ولكن غير

---

(٨٦) نفسه ، ١٥٩/٢٠ ـ ١٦١ .

(٨٧) نفسه ١٥٢/٢٠ . ترجمة دعبل في : الاغاني ١٢٠/٢٠ ـ ١٨٦ ، وتاريخ بغداد ٣٨/٨ ـ ٣٨٥ ، والاعلام ١٨/٣ ، وغيرها .

(٨٨) توفي سنة ٢٤٩هـ ، (تاريخ بغداد ٣٦٩/١١) .

واحد ممن كان يحضر مجالس المتوكل من الشعراء والادباء وغيرهم قد حسدوا الشاعر على منزلته عند الخليفة ، فما زالوا بالمتوكل يؤلبونه على الشاعر ويوغرون صدره ضده باختلاق الاخبار والحوادث حتى أمر بحبسه ثم نفيه ومصادرته . ولعل اتجاهه السياسي أو المذهبي هو السبب الأساس في تأليب أولئك الحسدة وتغيير قلب الخليفة عليه ، ومن ثم حكم بعض الأدباء على الرجل وتحاملهم عليه كأبي الفرج مثلًا .

ان شعر ابن الجهم كان من الجودة بحيث قال فيه ابن المعتز : (وهو ممن شهر بشعره ، ووجد عند الخاصة والعامة) . أما شجاعته فلعل خير ما يمثلها ثباته عندما تعرّضت القافلة التي كان في صحبتها الى الثغر الى هجوم نفر من الأعراب عليها ، وفرار مَنْ كان في القافلة من المقاتلة ، فقاتلهم قتالًا شديداً حتى صرع .

نكر أبو الفرج ان ابن الجهم كان (يتولّى) المظالم في حلوان[٨٩] . جاء نلك في قوله الذي أسند روايته الى ابن الجهم نفسه .

(كان الحارثي يجيء الى حلوان ، وأنا (أتولاها ـ وكان علي بن الجهم على مظالمها ـ فإذا وردها وقع الإرجاف[٩٠] ، فلم يزل متصلًا حتى يخرج فإذا خرج سكن الإرجاف ، فأتاه في مرة وظهر كوكب الذنب في تلك الليلة فقلت (بيتان)[٩١] .

حقق ديوانه ونشره في بيروت خليل مردم .

---

(٨٩) مدينة بالعراق .

(٩٠) الارجاف : الزلزلة .

(٩١) ترجمة ابن الجهم في : طبقات الشعراء ٣١٩ ـ ٣٢٢ ، والاغاني ١٠/٢٠٣ ـ ٢٣٤ ، وتاريخ بغداد ١١/٣٦٧ ـ ٣٦٩ ، ومقدمة محقق ديوانه وغيرها .

٢٢ ـ أبو عليّ البصير[٩٢] :

هو الفضل بن جعفر ، أصل أسلافه من الانبار ، انتقلوا الى الكوفة فنزلوا في النخع ، كنيته أبو علي ولقبه البصير ، ولقب بذلك لذكائه وفطنته .

ولد في الكوفة في سنة غير معلومة ، ونشأ فيها ، وكان فيه ميل الى اللهو والمجون والظرف ، كما عُرف بحدّة الذكاء وكرم النفس والإباء والوفاء .

اتصل بعدد من رجالات العصر فقرّبوه وحبوه وخاصة أسرة آل خاقان ، كما كان على صلة بعدد من شعراء العصر وأدبائه وظرفائه وخاصة أبا العيناء الضرير ، الذي كان له معه طرائف ومداعبات قد تصل أحياناً الى حدّ الهجاء المقذع .

كان البصير من القلة التي عانت فني الأدب : شعره ونثره وبرّزت فيهما . وقد أطراه غير واحد ممن ترجم له .

أشار ابن رشيق الى ان البصير كان من كتّاب الأزمّة[٩٣] .

جمعت شعره وحققته ونشرته في بيروت ضمن سلسلة كتابي (شعراء عباسيون) ، القسم الثاني .

٢٣ ـ ابن بسام[٩٤] :

هو أبو الحسن علي بن محمد بن نصر الملقب بالبسامي والعَبَرتائي . ولد في عَبَرتا ونشأ في بغداد في رعاية أبيه . وهو ينتمي الى أسرة معروفة ذات مركز اجتماعي مقرّبة من بعض خلفاء العباسيين .

---

(٩٢) توفي بعد سنة ٢٥٨هـ ، (شعراء عباسيون ١٧٦/٢) .

(٩٣) يحسن الرجوع الى كتابنا (شعراء عباسيون) للوقوف على تفصيلات عن حياة الشاعر وأدبه وشعره .

(٩٤) توفي سنة ٣٠٣هـ ، (شعراء عباسيون ٣٣٧/٢) .

كانت علاقة الشاعر بأسرته وأبناء المجتمع متوترة متازمة ، لذلك فقد أكثر من فن الهجاء الذي كاد يطغى على سائر شعره حتى لم يُعرف إلا به ، فقد هجا أباه وأمه وأخاه والكثيرين من أبناء أسرته ، فضلًا عن معاصريه . وكان قاسي الهجاء لا يخلو من الفحش أحياناً ، وفسّرنا سبب ميله الى هذا اللون من فن الشعر في اقتباسنا شيئاً مما ورد في دراستنا الموسعة عنه في ترجمة دعبل .

والغالب على شعره المقطعات ، فهو من ذوي النفس القصير في الشعر . وكان ابن بسام الى جانب معاناته الشعر ، يعاني فن الكتابة والتأليف ، وذكرت له مؤلفات عدة ، لم يصل الينا منها واحد ، وإنما وصلت الينا بعض النصوص .

وفي أخباره انه (تولّى) البريد والجسر بجند قنسرين والعواصم من أرض الشام ، جاء ذلك في قول المسعودي :

(وما كان من قوله في القاسم بن عبيدالله[٩٥] ، ودخوله الى المعتضد ، وهو يلعب بالشطرنج ، ويتمثل بقول علي بن بسام :

حيـــاة هـــذا كمـوتِ هـــذا
فليس تخلـــو من المصـــائب

فلما شال رأسه نظر الى القاسم فاستحيا ، فقال يا (قاسـم ، اقطع لسان ابن بسام عنك ، فخرج القاسم مبادراً لقطع لسانه . حتى قال له المعتضد : بالبر والشغل ولا تعرض له بسوء . (فولّاه) القاسم البريد والجسر بجند قنسرين والعواصم من أرض الشام) .

ويظهر انه ظل متولياً البريد مدة غير قصيرة امتدت الى أيام

---

(٩٥) توفي سنة ٢٩١هـ ، (آل وهب من الاسر الادبية في العصر العباسي) ، ٣٦٨ .

ابن الفرات في وزارته الاولى[٩٦] .

وروىَ عن بعضهم قوله :

(حدثني ابن بسام قال : كنت (أتقلّد) البريد (بقلم) في أيام عبيدالله بن سليمان[٩٧] ، والعامل فيها أبو عيسى أحمد بن محمد بن خالد) . كما رويَ عن ابن مقلة[٩٨] ، قوله :

(كنت أحقد على ابن بسام لهجائه إياي ، فخوطب ابن الفرات في وزارته الأولى في (تصريفه) ، فاعترضت ، وقلت : إذا صرف فلا يحتبس الناس على مجالسنا ، وقد افترقت ، فإذا لم يضره الوزير فلا أقلّ من ألا ينفعه ، فامتنع من (تصريفه) قضاء لحقي ، فبلغ ذلك ابن بسام فجاءني وخضع لي ، ثم لا زمني نحو سنة حتى صار يختص بي ويعاشرني على البريد ...) .

جمعت شعره وحققته ونشرته ضمن سلسلة كتابي (شعراء عباسيون) ، القسم الثاني .

٢٤ ـ ابن الحجاج[٩٩] :

أبو عبدالله حسين بن أحمد النيلي البغدادي ، أحد شعراء الهزل والفكاهة والمجون والسخف ، اتصل بعدد من وزراء الدولة العباسية في العهد البويهي ، كالوزير المهلبي وابن العميد والصاحب بن عباد ، كما

---

(٩٦) كانت وزارته الأولى في سنة ٢٩٦هـ ، وامتدت الى سنة ٢٩٩هـ (الاعلام ١٤١/٥) .

(٩٧) توفي سنة ٢٨٨هـ ، (آل وهب ، ٣٠٦) .

(٩٨) توفي سنة ٣٢٨هـ ، (الاعلام ١٥٧/٧) ـ يحسن الرجوع الى كتابنا (شعراء عباسيون) ، ٣٢١/٢ ـ ٥١٦ ، للوقوف على تفصيل حياته وأدبه وشعره .

(٩٩) توفي سنة ٣٩١هـ في قرية النيل على الفرات بين بغداد والكوفة .

اتصل بعضد الدولة .

ولعل أفضل مَنْ عرّف به وبشعره الثعالبي الذي أفرد له فصلًا كبيراً في يتيمته(١٠٠) ، قال في مقدمته :

(هو وإن كان في أكثر شعره لا يستتر من العقل بسجف ، ولا يبني جل قوله إلا على سخف ؛ فانه من سحرة الشعر ، وعجائب العصر ، وقد اتفق مَنْ رأيت وسمعت به من أهل البصيرة في الأدب وحسن المعرفة بالشعر على انه فرد زمانه في فنه الذي شهر به ، وانه لم يُسبق الى طريقته ، ولم يلحق شأوه في نمطه ، ولم يُـرَ كاقتداره على ما يرده من المعاني التي تقع في طَرْزه ، مع سلامة الألفاظ وعذوبتها ، وانتظامها في سلك الملاحة والبلاغة ، وإن كانت مفصحة عن السخافة ، مشوبة بلغات الخلديين والمكدّين وأهل الشطارة ، ولولا ان جدَّ الأدب جدّ وهزله هزل ، كما قال ابراهيم بن المهدي لصُنت كتابي هذا عن كثير من كلام مَنْ يمدّ يد المجون فيعرك بها أذن الحرام ، ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفا العقل ، ولكنه على علاته تتفكّه الفضلاء بثمار شعره ، وتستملح الكبراء ببنات طبعه ، وتستخف الأدباء أرواح نظمه ، ويحتمل المحتشمون فرط رفثه وقذعه ، ومنهم مَنْ يغلو في الميل الى ما يضحك ويمتع من نوادره ، ولقد مدح الملوك والأمراء ، والوزراء والرؤساء فلم يُخلِ قصيدة فيهم من سفاتج هزله ، ونتائج فحشه ، وهو عندهم مقبول الجملة ، غالي مهر الكلام ، موفور الحظ من الإكرام والإنعام ، مجاب الى مقترحه من الصلات الجسام ، (والاعمال المجدية) التي ينقلب منها الى خير حال ، وكان طول عمره يتحكم على وزراء الوقت ورؤساء العصر ، تحكّم الصبي على أهله ، ويعيش في أكنافهم عيشة راضية ، ويستثمر نعمة صافية ضافية . وديوان شعره أسير في الآفاق من الأمثال ، وأسرى من الخيال ...)(١٠١) .

---

(١٠٠) يتيمة الدهر ٣/٣١ - ١٠٤ .

(١٠١) يتيمة الدهر ٣/٣١ - ٣٢ .

ونعته آخر بأنه شاعر العصر وسفيه الادب ، وأمير الفحش ، كان أمة وحده في نظم القبائح وخفة الروح . وقال ثان : يُضرب به المثل في السخف والمداعبة ، والاهاجي ، وقال ثالث : بعيد من الجد ، قريع الهزل ، ليس للعقل من شعره منال ، على انه قويم اللفظ سهل الكلام .

ذكر انه خدم بالكتابة في جهات متعددة وانه (تولّى) حسبة[١٠٢] بغداد وأقام بها مدة ، ويقال انه عُزل بأبي سعيد الاصطخري الفقيه الشافعي[١٠٣] .

ولا ندري كيف يتولى مثل هذا المنصب الخطير المتصل بحياة الناس وأخلاقهم اتصالاً مباشراً رجلٌ طبعَ على السخف والمجانة والفحش كابن حجاج هذا ؟ ولعل عزله برجل فقيه كما ذكر دليل على انه تبوأ مكاناً لا يستحقه .

٢٥ ـ الشريف الرضي[١٠٤] :

أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي . مولده ووفاته في بغداد . وهو من الشهرة بحيث لا نرى ندحة في الحديث عنه وعن أبيه وشعره وشاعريته ، وسنقتصر كلامنا على الأعمال التي (تولاها) في حياته .

ويظهر ان الرضي كان يحسّ في أعماقه رغبة شديدة ملحّة (الى السلطان والولاية) ، وان هذا الإحساس والشعور الطاغي الذي احتبسه في نفسه ، إما خوفاً وإما انتهاز فرصة مناسبة أو غير ذلك قد طفح ومزّق

---

(١٠٢) أنظر : الوفيات ٢/١٦٩ ، والاعلام ٢/٢٤٩ . الحسبة : منصب كان (يتولّاه) في الدولة العباسية رئيس يشرف على الشؤون العامة : من مراقبة الاسعار ورعاية الآداب ، (المعجم الوسيط) .

(١٠٣) الوفيات ٢/١٦٨ ـ ١٦٩ ، وانظر عن ابن حجاج : يتيمة الدهر ٣/٣١ ـ ١٠٤ ، والوفيات ٢/١٦٨ ـ ١٧٢ ، والاعلام ٢/٢٤٩ .

(١٠٤) توفي سنة ٤٠٦هـ ، (الاعلام ٦/٣٢٩) .

الحجب الصفيقة التي كانت تحول دون بروزه أو إعلانه ، وذلك في قوله في مجلس القادر بالله[١٠٥] ، الذي رسم له حضوره على رسمه في السواد ، فحضر ، وذلك يوم الاثنين لخمس ليالٍ بقين من شهر صفر سنة ٣٨٢ ، والمجلس غاص بالناس :

عطفاً أمير المؤمنين فاننا
في دوحة العلياء لا نتفرّقُ
ما بيننا يوم الفخار تفاوت
أبداً كِلانا في العلاء معرّقُ
إلا الخلافة ميّزتك فانني
أنا عاطل منها وأنت مطوّقُ

وإذا كان الرضي عاطلًا من الخلافة فانه رضيَ بمنصب آخر أقلّ منها درجة في سلّم المناصب ، ففي رسائله المنشورة بينه وبين الصابي الوزير آنذاك رسالتان يطلب في الأولى منهما ويستعجل الصابي في إصدار عهد عن الخليفة الطائع[١٠٦] ، بتعيينه في (منصب نقابة الطالبيين) (وإناطة النظر) في مصالح المساجد بمدينة السلام (بغداد) ، و (خلافة) والده على المظالم ، والتسيير بالحجيج .

ويطلب في الثانية من الصابي إنشاء عهد ثان ، عن الخليفةَ الطائع لله أيضاً (بتقليد) عمل آخر ، كان شرع له في (تقلّده) وذلك في سنة ٣٨١هـ ، ولم يتبين نوع هذا العمل الآخر .

والجدير بالذكر ان هاتين الرسالتين تشيدان بالصابي وتثنيان عليه رغبة في الإسراع باصدار (العهد والتولية)[١٠٧] .

---

(١٠٥) استخلف سنة ٣٨١هـ بعد خلع الطائع لله ، (تاريخ الخلفاء ٤١١) .

(١٠٦) أُجبر على خلع نفسه من قبل البويهيين سنة ٣٨١هـ بعد اهانته ، (تاريخ الخلفاء ٤١٠) .

(١٠٧) أنظر : بحثنا (رسائل الشعراء) .

٢٦ - ابن أبي حصينة[١٠٨] :

الحسين بن عبدالله بن أحمد بن عبدالجبار الامير أبو الفتح المعروف بابن أبي حصينة المعريّ ، الاديب الشاعر.

مدح هذا الشاعر عدة شخصيات مهمة في عصره فقرّبوه وأغدقوا عليه من منحهم وعرض عليه بعض مَنْ مدحهم - استحساناً لمدحه له - أن يتمنى (فتمنّى أن يكون أميراً) فلبّى طلبه و (جعله أميراً) ، يجلس مع الأمراء ويُخاطَب بالأمير. قال ياقوت في هذا الشأن :

(وكان سبب تقدمه (ونواله الإمارة) ان الامير تاج الدولة بن مرداس أوفده الى حضرة المستنصر العبيدي رسولًا سنة سبع وثلاثين وأربعمائة فمدح المستنصر بقصيدة قال فيها ... وهي طويلة ، ثم مدحه سنة خمسين وأربعمائة (فوعده بالإمارة) من بين يدي الخليفة في ربيع الآخر سن السنة ، فمدحه بقصيدة منها ... وكان الذي سعى في تاميره وكتب له (سجل الإمارة) أبو علي صدقة بن اسماعيل بن فهد الكاتب ، فمدحه الأمير أبو الفتح بقصيدة منها ... ولما ملك محمود بن نصر بن صالح بن مرداس حلب سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة مدحه بقصيدة منها ... فلما تولّى إنشادها قال له : (تمنَّ ، قال : أتمنى أن أكون أميراً) ، فجعله أميراً يجلس مع الأمراء ، ويُخاطَب بالأمير وقرّبه)[١٠٩] .

وهذا دليل آخر على ان نشوة الحكم ، ونشدان السلطان ، وما يعتمل في ضمائر الشعراء من تبوء المراكز السياسية الحساسة أكبر وأهم لديهم من أي جائزة ينالونها أو عطية يعطونها ! فهي أمنية الاماني وغاية الغايات عندهم !

---

(١٠٨) توفي بسروج سنة ٤٥٧هـ ، (معجم الادباء ١٠/٩٠).

(١٠٩) معجم الادباء ١٠/٩٠ - ٩٩ .

٢٧ - ابن عُنين[١١٠] :

محمد بن نصر بن عنين الانصاري الملقب شرف الدين . أصله من الكوفة ، وولادته في دمشق . قال عنه ابن خلكان :

(الشاعر المشهور ، كان خاتمة الشعراء لم يأتِ بعده مثله ، ولا كان في أواخر عصره مَنْ يُقاس به ... وكان غزير المادة في الأدب ، مطلعاً على معظم أشعار العرب ... وكان من أظرف الناس وأخفهم روحاً وأحسنهم مجوناً ... وكان وافر الحرمة عند الملوك .

(تولّى) الوزارة بدمشق في آخر دولة الملك المعظم ومدة ولاية الملك الناصر ابن المعظم ، وانفصل عنها لما ملكها الملك الأشرف ، وأقام في بيته ، ولم يباشر بعدها خدمة)[١١١] .

ويبدو ان ابن عنين هو الوحيد من الشعراء الذي تسنم منصب الوزارة ، وإن كانت وزارة إقليم صغير من أقاليم الدولة المترامية الأطراف . كما يظهر انه آخر مَنْ وقفنا عليه من الشعراء الولاة حتى نهاية العصر العباسي بالمشرق .

---

(١١٠) توفي سنة ٦٣٠هـ ، (الوفيات ١٨/٥) .

(١١١) الوفيات ١٤/٥ - ١٨ ، ولعامر خلف طعمة رسالة ماجستير في ابن عنين وشعره من كلية الآداب - جامعة بغداد باشرافي .

فهرس المصادر والمراجع

- آل وهب من الأسر الأدبية في العصر العباسي . د. يونس أحمد السامرائي ، بغداد ، ١٩٧٩ .
- أبحاث في الشعر العربي ، د. يونس أحمد السامرائي ، الموصل ، ١٩٨٩ .
- ابن عنين ، حياته وشعره ، عامر خلف طعمة ، رسالة ماجستير بالرونيو ، بغداد .
- أخبار أبي تمام للصولي ، ط ١ ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م ، القاهرة .
- أشجع السلمي ، حياته وشعره ، د. خليل بنيان ، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- الأعلام للزركلي ، ط ٢ ، بيروت .
- الأغاني لأبي الفرج ، مصور طبعة دار الكتب .
- أمراء الشعر في العصر العباسي ، أنيس المقدسي .
- البحتري في سامراء بعد عصر المتوكل ، د. يونس السامرائي ، بغداد .
- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، بيروت .
- تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ط ٢ ، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م ، مصر .
- تاريخ الطبري ، ت. محمد أبو الفضل ابراهيم ، مصر .
- خريدة القصر ، القسم العراقي ، بغداد .
- دراسات في الشعر والشعراء د. يونس أحمد السامرائي .
- ديوان علي بن الجهم ، ت. خليل مردم ، ط ٢ ، بيروت .
- شرح ديوان صريع الغواني ، ت. د. سامي الدهان ، مصر .

- شعراء أمويون ، د. نوري حمودي القيسي ، بيروت .
- شعراء عباسيون ، د. يونس أحمد السامرائي ، بيروت .
- شعر ثابت قطنة ، جمع وتحقيق : ماجد أحمد السامرائي ، بغداد .
- شعر دعبل بن علي ، ت. د. عبدالكريم الأشتر ، دمشق .
- شعر النعمان بن بشير الأنصاري ، ت. د. يحيى الجبوري ، بغداد ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ، ط ١ .
- صبح الأعشى للقلقشندي ، مصور طبعة دار الكتب .
- طبقات الشعراء لابن المعتز ، ت. عبدالستار أحمد فراج ، مصر .
- العمدة لابن رشيق ، ط ٢ ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .
- الفاضل في صفة الأدب الكامل للوشاء ، ت. يوسف يعقوب مسكوني في بغداد ، ١٩٧١م - ١٣٩٢هـ .
- فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ، ت. د. احسان عباس .
- لسان العرب لابن منظور .
- معجم الأدباء لياقوت ، طبعة مصر .
- المعجم الوسيط .
- وفيات الأعيان لابن خلكان ، ت. د. احسان عباس .
- يتيمة الدهر للثعالبي ، ت. محيي الدين عبدالحميد ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .

امارة الشعر والشعراء
حتى نهاية العصر العباسي

من المعروف ان الشعر بدأ عند العرب - ولعله كذلك عند الأمم الاخرى - على شكل أبيات يقولها الشاعر بأمر من أمور حياته ، ثم ما لبث ان امتد نفَس الشاعر فكانت القصيدة التي وجد فيها الميدان الفسيح للتعبير عمّا يضطرب في وجدانه من أحاسيس ومشاعر مختلفة[1] .

وتلقى الناس هذا الشعر فأعجب به بعض ووقف منه موقف المعقّب بعض آخر فنشأ من جراء ذلك ما يسمى بعلم النقد .

وما وصل الينا من آراء حول هذا الشعر ينحل الى نقد البيت اعجاباً أو تنديداً به ، ثم امتد النقد ليشمل المقطوعة فالقصيدة فغالبية الشعر ، فكله أي ما يضمه ديوان الشاعر كله . كما شمل النقد بجانبيه الشعراء أنفسهم .

ومَنْ يتصفح كتب الأدب والنقد والبلاغة التي وصلت الينا - وهي غير قليلة - يجد مصداق هذ القول فيما اشتملت عليه هذه المصنفات من آراء النقاد والشعراء والعلماء والادباء[2] . فقد أكثر النقاد من الحديث عن أغزل بيت ، وأمدح بيت ، وأهجى بيت[3] ... فذهب بعضهم الى ان الفرزدق كان (أكثرهم بيتاً مقلّداً ، والمقلّد : المستغني بنفسه ، المشهور

---

(١) أنظر : أبحاث في الشعر العربي ، ١٠ .

(٢) أنظر : الشعراء نقاداً ، ٢٢ - ٥٩ ، ٩٥ .

(٣) أنظر : المرجع نفس ، ٧٠ .

الذي يُضرب به المثل)[٤] . (وقيل لابي عمرو بن العلاء : أي بيت تقوله العرب أشعر ؟ قال : البيت الذي إذا سمعه سامعه سوّلت له نفسه أن يقول مثله ... وقيل للاصمعي : أي بيت تقوله العرب أشعر ؟ قال : الذي يسابق لفظه معناه)[٥] .

وقال ابن المعتز في قول أبي الينبغي مفسراً سبب شهرته وشيوعه :

(صبراً على الذلِّ والصغارِ
يا خالق الليلِ والنهارِ
كم من حمارٍ بلا جوادٍ
ومن جوادٍ بلا حمارِ

وطار له البيت الثاني في الآفاق ولهج به الناس . فهو يُنشد في كل مجلس ومحفل وسوق وطريق . وإنما يرزق البيت من الشعر ذلك إذا كان جيد المعنى ، عذب اللفظ ، خفيفاً على اللسان)[٦] .

وقال عن بيت الحارثي :

(إذا نال من أقصى عرا المجد غاية
سما طالباً من تلك أسنى وأرفعا

هذا البيت سجدة للشعراء ، ولو لم يكن في كتابنا إلا شعر الحارثي لكان جليلًا)[٧] .

---

(٤) طبقات فحول الشعراء ، ٣٦٠/٢ ، وتمثل بعدد غير قليل من أبياته المقلّدة هذه .

(٥) العقد الفريد ، ٣٢٥/٥ .

(٦) طبقات الشعراء ، ١٣١ . وانظر مثل هذا قول سلم الخاسر في المصدر نفسه ، ١٠٠ ، وأبحاث الشعر العربي ، ١٢٣ .

(٧) نفسه ، ٢٨٠ .

وقال عن بيت بكر بن النطاح :

(كـأنّ غمـام العـز حشـو أكفهم
إذا طبّق الآفـاق بـالـديمـات

هذا البيت أقرت الشعراء قاطبة انه لا يكون وراءه حسن ، ولا جودة بعده)[٨] .

وفضّل غير واحد من النقاد أبياتاً أو مقطوعات لشعراء آخرين على سواها لأسباب يبيّنوها ، فقال الاصمعي :

(سمع كثير عزّة منشداً ينشد شعر جميل بن معمر الذي يقول فيه (أربعة أبيات) ، فقال كثيّر : هذا والله الشعر المطبوع . ما قال أحد مثل قول جميل ، وما كنت إلا راوية لجميل ، ولقد أبقى للشعراء مثالًا يحتذى عليه)[٩] .

وقال ابن المعتز : (ومما يستحسن له (أي مسلم بن الوليد) على ان شعره كله ديباج حسن لا يدفعه عن ذلك أحد ، قوله :

فـاني وإسمـاعيـل يـوم وداعـه
لكـالغمـد يـوم الـروع زايلـه النصـل
فـإن أغشَ قـومـاً بعـده أو أزورهم
فكـالوحش يـدنيها من الأنَس المحمـل

وهذا معنى لا يتفق للشاعر مثله في ألف سنة)[١٠] .

وقال ابن عبد ربه : (ومن الشعر المطبوع الذي يجري مع النفس رقة ، ويؤدي عن الضمير إبانة ، قول العباس بن الأحنف ...)[١١] .

---

(٨) نفسه ، ٢٢٥ .

(٩) العقد الفريد ، ٣١٧/٥ .

(١٠) طبقات الشعراء ، ٢٣٦ .

(١١) العقد الفريد ، ٣٩٦/٥ . وانظر مثل هذا : طبقات الشعراء ، ٢٢٩ ، والعقد الفريد ، ٢٨٠/١ - ٢٨١ .

وفضّل النقاد أيضاً قصائد للشعراء في فنون مختلفة ، فقال ابن المعتز ـ وهو يتحدث عن السيد الحميري :

(ومن جيد شعره قصيدته التي تسمى المذهبة ، وهي التي أولها :

أين التطـــرف بـــالـــولاء وبـــالهـــدى
أإلى الكـــــواذب من بـــــروق الخلّبِ

....

وهي قصيدة طويلة مشهورة جداً ...)[١٢] . ثم قال : (وقصائده الجياد كثيرة لو اشتغلنا بذكرها لطال شغلنا)[١٣] .

وقال عن لامية مسلم بن الوليد التي أولها :

أديـرا عليّ الكـأس لا تشـــربـا قبلي
ولا تطلبـــــا من عنـد قـــاتلتي ذحلي

وهي مشهورة سائرة جيدة عجيبة)[١٤] .

وقال ابن عبد ربه : (وقد يأتي من الشعر ما هو خارج عن طبقة الشعراء ، منفرد في غرائبه ، وبديع صنعته ، ولطيف تشبيهه ، كقول جعفر بن جدار كاتب ابن طولون :

كم بين بـــــارِي وبين بمُـــــا
وبين بَـــوْنِ الى دمِمَـــــا)[١٥]

---

(١٢) طبقات الشعراء ، ٣٥ .

(١٣) نفسه ، ٣٦ . وانظر أمثلة أخرى من هذا القبيل ، المصدر نفسه ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٨١ ، ٨٤ ، ١٢٢ ، ٢٤٢ ، ٢٨٦ .

(١٤) نفسه ، ٢٣٥ . وانظر أمثلة لمسلم في المصدر نفسه ، ٢٢٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(١٥) العقد الفريد ، ٣٤٨/٥ ، وهي قصيدة من (٥٥) بيتاً .

وقد يتجاوز تفضيل النقاد واعجابهم بشعر الشاعر حدود القصيدة ليشمل الشعر بعامته . قال ابن سلام عن شعر مهلهل : (وإنما سمّيَ مهلهلًا لهلهلة شعره كهلهلة الثوب ، وهو اضطرابه واختلافه) . وجاء في الحاشية (٣) (في النقائض : وإنما سميَ مهلهلًا ؛ لانه هلهل الشعر يعني سلسل بناءه ، كما يقال ثوب مهلهل ، إذا كان خفيفاً)[١٦] .

وقيل : (لابي عبيدة : ما تقول في شعر ابن مطير ؟ قال : انه ليقع من شعره الشيء بعد الشيء ، فيكثر تعجبي من كثرة بدائعه ، فإذا لقيته فاعلمه ان شعره من أعجب الشعر إليّ)[١٧] .

وقال الأصمعي : (ختم الشعر بابن هرمة ؛ فانه مدح ملوك بني مروان ، وبقي الى آخر أيام المنصور)[١٨] .

وقال ابن المعتز عن شعر بشار : (وكان شعره أنقى من الراحة ، وأصفى من الزجاجة ، وأسلس على اللسان من الماء العذب ، ومما يستحسن من شعره - وإن كان كله حسناً قوله ...)[١٩] .

وقال بعضهم : (إنما نفق شعر أبي نواس على الناس لسهولته وحسن ألفاظه ، وهو مع ذلك كثير البدائع ، والذي يُراد من الشعر هذان)[٢٠] .

وتوسع مجال النقد فشمل الشعراء أنفسهم ، وتفضيل بعضهم على بعض . فقد رويَ عن عمر بن الخطاب انه قال :

أيّ شعرائكم يقول :

---

(١٦) طبقات فحول الشعراء ، ١/٣٨ .

(١٧) طبقات الشعراء ، ١١٤ .

(١٨) نفسه ، ٢٠ .

(١٩) نفسه ، ٢٨ .

(٢٠) نفسه ، ٢٠٤ .

فلست بمستبق أخـــاً لا تلمّـــه
على شعثٍ أيّ الـــرجـال المهـذب ؟

قالوا : النابغة . قال : هو أشعرهم)[٢١] . كما رويَ عن ابن عباس قوله : (قال عمر : أنشدني لاشعر شعرائكم ، قلت : مَنْ هو يا أمير المؤمنين . قال : زهير . قلت : كان كذلك . قال : كان لا يعاظل بين الكلام ، ولا يتبع وحشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه)[٢٢] .

وقال ابن سلام : (شهدتُ خلفاً ، فقيل له : مَنْ أشعر الناس ؟ فقال : ما ننتهي الى واحد يجتمع عليه ، كما لا يجتمع على أشجع الناس وأخطب الناس وأجمل الناس . قلت : فأيهم أعجب اليك يا أبا محرز ، قال الاعشى ، قال : أظنه قال : كان أجمعهم)[٢٣] .

وذهب بعضهم الى ان أشعر الناس النابغة إذا رهب ، وزهير إذا غضب ، وجرير إذا رغب)[٢٤] .

وسئل بعضهم عن الفرزدق وجرير ، فقال : الفرزدق أشعر عامة ، وجرير أشعر خاصة[٢٥] .

* * *

إن اعجاب الناس والنقاد بالشعر والشعراء حداهم الى خلع القاب أو أوصاف عليهما جاءت مبثوثة في تضاعيف الاخبار التي تحدثت عنهما .

فمن ألقاب الشعر أو نعوته : لامية الفرزدق المسماة بالفيصل[٢٦] ،

---

(٢١) طبقات فحول الشعراء ، ٥٦/١ .
(٢٢) نفسه ، ٦٣/١ .
(٢٣) طبقات فحول الشعراء ، ٦٥/١ - ٦٦ .
(٢٤) العقد الفريد ، ٣٢٧/٥ .
(٢٥) طبقات فحول الشعراء ، ٢٩٩/٢ .
(٢٦) أنظر : الشعراء نقاداً ، ١٧ ، والنقائض ١٨٢/١ - ٢٠١ ، والقصيدة من (١٠٤) أبيات .

وبائية السيد الحميري المعروفة بالقصيدة المذهبة التي مرّ ذكرها .

والقصيدة الغراء وهي كافية مروان بن أبي حفصة التي قال عنها ابن المعتز : (وسنورد من شعر مروان وطبقته من المعروفين القصائد التي يقلّ وجودها عند أكثر الناس ، مثل كافيته وما أشبهها من مخزون شعره ، والكافية هذه ، وأولها :

لامَ في أمِّ مالكٍ عاذلاكا

ولَعمرُ الإلهِ ما أنصفاكا

... وهذه القصيدة تسمى الغراء أخذ عليها من أبي معن مالًا كثيراً)[٢٧] .

والقلائد :

كما في طبقات الشعراء في الحديث عن شعر مروان بن أبي حفصة[٢٨] ، وأبي الشيص[٢٩] ، وبكر بن النطاح[٣٠] .

والأمهات :

كما في حديث ابن المعتز أيضاً عن شعر ابن أبي حفصة[٣١] ، وابن النطاح أيضاً[٣٢] .

والعيون :

كما في شعر ابن أبي حفصة[٣٣] ، ومسلم بن الوليد[٣٤] .

والبديع والبدائع :

---

(٢٧) طبقات الشعراء ٤٨ - ٥١ ، وفي الحاشية ان القصيدة الغراء هي اللامية .

(٢٨) أنظر : طبقات الشعراء ٤٥ ، ٥١ .

(٢٩) نفسه ، ٥١ ، ٨٤ .

(٣٠) نفسه ، ٢١٩ .

(٣١) طبقات الشعراء ، ٢١٩ .

(٣٢) نفسه .

(٣٣) نفسه ، ٥٤ .

(٣٤) نفسه ، ٢٣٦ .

كما في نعت ابن المعتز شعر بشار[٣٥] ، وبكر بن النطاح[٣٦] ، ومسلم بن الوليد[٣٧] ، والعباس بن الأحنف[٣٨] .

والنادر والنوادر :

كما في شعر ابن أبي حفصة[٣٩] ، ومسلم بن الوليد[٤٠] .

والمرقصات والمطربات :

كما في نعت امرىء القيس[٤١] ، والنابغة الذبياني[٤٢] ، وعنترة[٤٣] ، وزهير بن أبي سلمى[٤٤] ، وأعشى بكر[٤٥] ، والحطيئة[٤٦] ، وذي الرمّة[٤٧] ، وأبي نواس[٤٨] ، وابن المعتز[٤٩] .

والمليح والمُلح :

كما في صفة شعر الوليد بن يزيد[٥٠] ، وبشار بن برد[٥١] ، وربيعة

---

(٣٥) نفسه ، ٢٤ .

(٣٦) نفسه ، ٢١٩ .

(٣٧) نفسه ، ٢٣٨ .

(٣٨) نفسه ، ٢٥٦ .

(٣٩) نفسه ، ٥١ .

(٤٠) الاغاني ، ٢١/٧ .

(٤١) المرقصات والمطربات ، ٢٠ .

(٤٢) نفسه ، ٢١ .

(٤٣) نفسه ، ٢٢ .

(٤٤) المرقصات والمطربات ، ٢٣ .

(٤٥) نفسه ، ٢٤ .

(٤٦) نفسه ، ٢٧ .

(٤٧) نفسه ، ٣٠ .

(٤٨) نفسه ، ٤٢ .

(٤٩) نفسه ، ٥٣ .

(٥٠) أنظر : الاغاني ، ٣٨/٧ .

(٥١) طبقات الشعراء ، ٣١ .

الرقي[٥٢] .

والجيد والجياد :

كما في نعت شعر الوليد بن يزيد[٥٣] ، والسيد الحميري[٥٤] ، وابن الطثرية[٥٥] ، ونصيب الأصفر[٥٦] ، وأبي تمام[٥٧] ، والعكوك[٥٨] ، والحسين بن الضحاك[٥٩] ، وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة[٦٠] .

والحسن والمستحسن :

كما في نعت أبي نخيلة[٦١] ، وابن أبي حفصة[٦٢] ، وبشار بن برد[٦٣] ، ومسلم بن الوليد[٦٤] ، وأبي تمام الطائي[٦٥] ، الى غير ذلك من النعوت والألقاب .

ولم تقتصر الألقاب والنعوت على الشعر ، بل تجاوزته الى الشعراء أنفسهم ، فلقبوا ونعتوا بألقاب ونعوت شتى على مدى العصور الأدبية المختلفة ، على انه ينبغي أن نشير الى اننا لا نريد بهذه الألقاب ما جاء

---

(٥٢) نفسه ، ١٦٣ .

(٥٣) الاغاني ، ٧/٢٠ .

(٥٤) طبقات الشعراء ، ٣٥ ، ٣٦ .

(٥٥) الاغاني ، ٨/١٦٩ .

(٥٦) نفسه ، ١/٢٣ .

(٥٧) طبقات الشعراء ، ٢٥٦ .

(٥٨) الاغاني ، ٨/٢٥٤ .

(٥٩) نفسه ، ٧/١٥١ .

(٦٠) نفسه ، ٩/١٤٧ .

(٦١) طبقات الشعراء ، ٦٣ ، ٦٤ .

(٦٢) نفسه ، ٥٤ .

(٦٣) نفسه ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

(٦٤) نفسه ، ٢٣٥ .

(٦٥) العقد الفريد ، ١/٢٨١ .

في معجم ألقاب الشعراء ، وإنما نريد بما لقب به أولئك الشعراء ونعتوا على غير ما جاء في الكتاب المذكور . فقد مرّ ان عمر بن الخطاب لقب أو نعت النابغة وزهيراً بـ (أشعر الشعراء) ، معللًا ذلك ومسبّبه . ونعت امرؤ القيس أيضاً بـ (شاعر الشعراء) من الأولين والآخرين[٦٦] ، كما نعت زهير بشاعر الجاهلية[٦٧] . وسبق سبب تلقيب المهلهل بهذا اللقب واسمه عدي . ولقب الأعشى (بصناجة العرب) ، وقيل في سبب تلقيبه هذا ان شعره كان يُغنى فيه ، فكانت العرب تسميه صناجة العرب[٦٨] . كما لُقب طفيل الغنوي بالمحبّر ، أي المحسّن لحسن شعره[٦٩] ، كما نعت المسيب بن علي (بسيد الشعراء) لقوله[٧٠] ، ولُقب غير واحد بالأستاذ : منهم أعشى بني قيس بن ثعلبة ، الذي لُقب (بأستاذ الشعراء) في الجاهلية ، وجرير الذي لُقب بأستاذهم في الإسلام[٧١] ، وبشار الذي نُعت (بأستاذ المحدثين) وسيدهم وصدرهم ومَنْ لا يقدم عليه ولا يجارى في ميدانه[٧٢] . كما كان أبو تمام يُلقب بالأستاذ والرئيس الأستاذ[٧٣] ، كما عدّ المهند أبو البركات بن بصيلة المزرفي من رؤساء الشعراء[٧٤] .

---

(٦٦) رسائل الجاحظ ، ١١٤/٢ .

(٦٧) أنظر : الاغاني ، ٣٤/٨ ، ٢٨٨/١٠ .

(٦٨) أنظر : نفسه ١٠٩/٩ ، ١٢٥ .

(٦٩) لباب الآداب ، ٢١/٢ .

(٧٠) أنظر : حلية المحاضرة ، ٢٣٠/٢ - ٢٣١ .

(٧١) الاغاني ، ١١٢/٩ .

(٧٢) أنظر : طبقات الشعراء ، ٢٤ ، ٢٦ ، وخاص الخاص ، ١٠٧ ، والإعجاز والإيجاز ، ١٥٧ .

(٧٣) أخبار أبي تمام ، ٦٦ ، ٦٧ ، وأخبار البحتري ، ٥٧ .

(٧٤) الخريدة ، قسم العراق ، ج ٤ ، م ١٠٩/١ .

وكان النمر بن تولب يسمى (الكيّس) لحسن شعره[٧٥] ، كما كان عبيد بن حصين بن نمير يُلقب بالراعي ؛ لجودة نعته الإبل ، وكان من أشرف قومه ، ولم يرعَ بعيراً ولا غنماً قط[٧٦] .

واختلف بعض الجلساءفي أي الشعراء أفتى ؟ فذهب بعضهم الى انه عمر بن أبي ربيعة ، وذهب بعض الى انه جميل ، وذهب آخر الى انه النمر بن تولب لقوله

أهيم بـــدعــدٍ مــا حييت وإن أمت
فــواحزنـاً مَنْ ذا يهيم بها بعـدي[٧٧]

ولُقب المتوكل الليثي بشاعر العرب[٧٨] ، ونعت جرير نفسه بـ (مدينة الشعر)[٧٩] ، كما نعت نفسه بـ (ناحر الشعر) ، والفرزدق بـ (نبعة الشعر) في خبر طريف نرى من المستحسن روايته .

(قال ابن سلام : أخبرني أبو قيس عن عكرمة بن جرير ، قال : قلت لابي : يا أبت مَنْ أشعر الناس ؟ فقال : الجاهلية تريد أم الإسلام ؟ قلت : أخبرني عن الجاهلية ، قال : شاعر الجاهلية زهير ، قلت : فالإسلام ؟ قال : نبعة الشعر الفرزدق ، قلت : فالاخطل ؟ قال : يجيد صفة الملوك ، ويصيب نعت الخمر ، قلت : فما تركت لنفسك ؟ قال : دعني فاني نحرت الشعر نحراً)[٨٠] .

ونُعت بشار بالباز والشعراء بالغرانيق[٨١] . كما نُعت ذو الرمة

---

(٧٥) الاغاني ، ٢٧٣/٢٢ .

(٧٦) لباب الآداب ، ٥٢/٢ .

(٧٧) الاغاني ، ٢٧٧/٢٢ ، وأنظر : الحاشية ففيها تعليق حول فتوة هذا البيت .

(٧٨) نفسه ، ١٦٦/١٢ .

(٧٩) نفسه ، ٧٣/٨ ، ٢٨٥ .

(٨٠) نفسه ، ٣٤/٨ .

(٨١) البصائر والذخائر ، ٤٨٢/٣ .

بـ (فارس الشعر) في عصره لتولعه بالتشبيب والتمثيل[٨٢] ، والقاضي أبو الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني بأنه (درة تاج الأدب وفارس عسكر الشعر)[٨٣] ، كما نعت آخرون بفرسان الشعر ، قال الحاتمي :

(أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال : اجتمعت أنا وجماعة من (فرسان الشعر) عند ابن المعتز)[٨٤] .

وقال صاحب المرقصات والمطربات في إشارته الى ابن عبد ربه انه (إمام أهل أدبها بالاندلس ومصنفيها وفرسان شعرائها ...)[٨٥] . وقال الثعالبي في ترجمة الصاحب بن عباد : (واحتف به من نجوم الارض ، وأفراد العصر وأبناء الفضل وفرسان الشعر مَنْ يربي عددهم على شعراء الرشيد)[٨٦] . ونُعت دعبل بن علي بشيطان العراق[٨٧] ، كما عُرف بهذا اللقب الشاعر انو شروان الضرير الذي غلب على شعره الخلاعة والمجون والهزل والفحش ، وهو من شعراء القرن السادس الهجري[٨٨] . ولقب أبو منصور البوشنجي بـ (مضراب الشعر)[٨٩] ، كما نُعت أبو الحسن علي بن الحسن الطوبي بـ (زمام الشعراء)[٩٠] .

ونُعت غير واحد من الشعراء بالامام ، ونصّ على السبب الذي أهلّ أولئك الائمة لهذا النعت أو اللقب .

---

(٨٢) المرقصات والمطربات ، ٣٠ .

(٨٣) يتيمة الدهر ، ٣/٤ .

(٨٤) حلية المحاضرة ، ١٦٣/١ .

(٨٥) المرقصات والمطربات ، ٧٥ .

(٨٦) يتيمة الدهر ، ١٩٣/٣ .

(٨٧) العمدة ، ١١٤/١ .

(٨٨) نكت الهيمان ، ١٢٢ .

(٨٩) يتيمة الدهر ، ١٥٩/٤ .

(٩٠) الخريدة ، قسم المغرب ، ٧٢/١ .

فقد جعل عدي بن الرقاع إماماً في وصف عين المرأة وحُسن التشبيه ، حيث قال :

وكـأنهـا بين النسـاء أعـارهـا
عينيـه أحـور من جـآذر جـاسمِ
وسنـان أقصـده النعـاس فـرنقت
في عينـه سِنـة وليس بنـائمِ[٩١]

ثم جعل ذو الرمة إماماً في قوله ، ثم البحتري في قوله[٩٢] ، واعتبر أبو تمام إماماً في تذكّر الأيام ، حيث قال[٩٣] ، وابراهيم بن العباس الصولي في وصف الليل بالقصر والطيب ، حيث قال :

وليلـة من حسنـات الـدهـرِ
قـابلت فيهـا بـدرهـا ببـدري
لم تـكُ غيـر شفقٍ وفجـرِ
حتى تـولّت وهي بكـر العمـرِ[٩٤]

وعلي بن الجهم في وصف اليوم المتلون ، حيث قال[٩٥] . وعدّ أبو نواس إماماً لجمعه أربعة تشبيهات في بيت واحد ، حيث قال[٩٦] . ثم الوأواء لبلوغه بالتشبيهات خمسة[٩٧] ، ثم المتنبي الذي جاء بأربعة

---

(٩١) مَنْ غاب عنه المطرب ، ١٥٤ .
(٩٢) نفسه ، ١٥٥ .
(٩٣) نفسه ، ١٤٦ .
(٩٤) نفسه ، ١١٤ .
(٩٥) نفسه ، ١٣٢ .
(٩٦) مَنْ غاب عنه المطرب ، ١٥٩ .
(٩٧) نفسه .

تشبيهات[٩٨] ، ثم الزاهي في قوله[٩٩] ، ثم بشار في قوله[١٠٠] .

وخطت ألقاب الشعر والشعراء ونعوتهم خطوة أخرى ـ وهي التي عقد البحث عليها ـ لم تكن معهودة قبل القرن الرابع الهجري فنعتا بالإمارة والتأمير ، وكان هذا على يد الثعالبي بصورة خاصة ، فقد أكثر من هذه النعوت والالقاب في تصانيفه التي وصلت الينا ، ويبدو انه كاد ينفرد من بين المؤلفين والنقاد بهذا الاتجاه . ولعل ما آلت اليه الدولة العباسية من انفراط عقد وحدتها المتماسكة من أسباب هذه النعوت والألقاب ، فمن المعروف ان في هذا القرن الرابع تناثرت الإمارات وتوزعت في الكثير من أركان الدولة ، فهناك إمارة في المغرب ، وأخرى في مصر ، وثالثة في الشام (حلب) ، وإمارات كثيرة في المشرق ، وكان الثعالبي يتردد الى بعض تلك الإمارات والى الأمراء الذين يحكمونها ويتسلطون عليها .

لقد انتقى الثعالبي في مؤلفاته نماذج شعرية جيدة معروفة مشهورة لدى النقاد والادباء والشعراء ، منها ما كان بيتاً أو مقطوعة أو جزء من قصيدة في موضوعات شتى على مدى العصور الأدبية العربية ، وخلع عليها نعت (الأمير) ، على انه ينبغي الإشارة الى ان هناك نصاً انفرد به الصولي أشار الى لفظة (الأمير) التي نعت أبو تمام بها البحتري بالقياس الى الشعراء بعده يعود الى القرن الثالث الهجري .

فمن الشعراء الذي نعت شعرهم بالإمارة أو التأثير : المثقب العبدي الذي قال عنه الثعالبي : (وأمير شعره قوله من القصيدة (التي) أولها :

---

(٩٨) نفسه .

(٩٩) نفسه ، ١٦٠ .

(١٠٠) نفسه ، ٢٠٠ ، لم نتمثل بالكثير من النصوص رغبة في الإيجاز .

أفـــاطم قبـــل بينـــك متعيني
ومنعُـك مـا سـألتُ كـأن تبيني)[101]

وحميد بن ثور الذي قال عنه أيضاً : (.. وأمير شعره قوله من قصيدته :

أرى بصــري قـد رابني بعـد صحة
وحسبـــك داء إن تصح وتسقمــا[102].

والمتنخل الهذلي الذي قال عنه : و (أمير شعره قوله)[103] . ودريد بن الصمة و (أمير قوله وشعره قوله) :

أمــرتهم أمــري بمنعــرج اللــوى
وهل يستبان الرشدُ إلا ضحى الغد)[104]

والصلتان العبدي و (أمير شعره قوله)[105] . وعبدة بن الطبيب و (أمير شعره قوله وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعجب من جودته وحُسن تقسيمه :

والمــرء ســاعٍ لأمــر ليس يـدركـه
والعيش شحٌ وإشفـاق وتــأميـل)[106]

وعمرو بن الأهتم و (أمير شعره وغرة كلامه قوله :

---

(١٠١) لباب الآداب ، ٢٥/٢ ، تمثل بثمانية أبيات .
(١٠٢) نفسه ، ٤١/٢ .
(١٠٣) لباب الآداب ، ٣٩/٢ ، سنمثل لبعض الشعراء دون غيرهم التماساً للاقتضاب .
(١٠٤) نفسه ، ٤١/٢ .
(١٠٥) نفسه ، ٥٣/٢ .
(١٠٦) خاص الخاص ، ١٠٤ ، ولباب الآداب ، ٤٠/٢ .

لعمـــرك مـا ضــاقت بــلاد بــأهلهــا

ولكن أخـــلاق الـــرجــال تضيق)[١٠٧]

ومعن بن أوس و (أمير شعره :

وفي النــاس إن رثت حبــالــك واصــل

وفي الأرض عن دار القلى متحـــوّل

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد

اليـــه بوجــه آخر الــدهــر تقبــل)[١٠٨]

وعبيدالله بن قيس الرقيات و (أمير شعره قوله في مصعب بن الزبير)[١٠٩] . ونصيب و (يقال ان أمير شعره قوله)[١١٠] . وصالح بن عبدالقدوس و (أمير شعره الذي لم يقل مثله :

ومـــا زرتكم عمـــداً ولكن ذا الهـــوى

الى حيث يهوى القلب تهوى به الرِجلُ)[١١١]

والمؤمل بن أميل و (أمير شعره ودرة تاجه قوله)[١١٢] . ومحمد بن أمية الكاتب و (أمير شعره وغرة ملحه قوله)[١١٣] . ومحمد بن وهيب الحميري و (غرة شعره وأمير كلامه قوله :

---

(١٠٧) لباب الآداب ، ٤٣/٢ .

(١٠٨) نفسه ، ٤٤/٢ .

(١٠٩) نفسه ، ٤٦/٢ .

(١١٠) الإعجاز والإيجاز ، ١٥٥ .

(١١١) نفسه ، ١٧٧ .

(١١٢) لباب الآداب ، ٧٨/٢ .

(١١٣) نفسه ، ٧٢/٢ .

وإني لأرجو اللـــهَ حتى كـأنني
أرى بجميل الظن ما اللّهُ صانعُ)[114]

والخبز أرزي و (أمير شعره قوله)[115] ، وسيدوك الواسطي و (أمير شعره قوله)[116] ، وهبة الله بن المنجم و (أمير شعره قوله :

شكـــا إليـــك مـــا وجـــد
مَنْ خـــانـــه فيـــك الجَلَـــد)[117]

وأبو نصر الهزيمي الايبوردي و (أمير شعره قوله)[118] ، وهبة الله بن الحسن بن العلاف و (أمير شعره قوله)[119] .

واختار الثعالبي أمثلة معينة من الشعر في موضوعات خاصة نعتها بالإمارة أيضاً ، منها في الوصف ، كوصف الربيع مثلًا ، فقد قال عن شعر سعيد بن حميد في هذا الشان : (من أحسن ما قيل في وصف الربيع وأكثره إطراباً وهو (أمير) شعره ، وغرة كلامه :

طلعت أوائــل الــربيــع فبشَّــرت
نَــور الريــاض بجدّه وشبــاب)[120]

وقال عن شعر المعوج و (أمير شعره قوله في الربيع :

---

(١١٤) نفسه ، ٢/٨٤ .
(١١٥) لباب الآداب ، ٢/١٠٨ .
(١١٦) نفسه ، ٢/١١٣ .
(١١٧) الإعجاز والإيجاز ، ٢٤٢ .
(١١٨) نفسه ، ٢٤٣ ، وخاص الخاص ، ١٨٠ ، ولباب الآداب ، ٢/١٢٢ .
(١١٩) لباب الآداب ، ٢/١١٢ .
(١٢٠) مَنْ غاب عنه المطرب ، ٦٣ .

ذهب حيثمـــــا ذهبنـــــا ودرّ

حيث درنـا وفضـة في الفضـاء)[١٢١]

ووصف العذار كقوله عن شعر أبي الحسن محمد بن عمران النقري الكاتب : (وأمير شعره في وصف العذار قوله)[١٢٢] .

ووصف الليل ، كقوله عن شعر عتاب بن ورقاء : (من أحسن وأصدق ما قيل فيه وهو أمير شعره)[١٢٣] . والمتنبي الذي قال عن بيته :

أزورهم وســـواد الليـــل يشفـــع لي

وأنثني وبيـــاض الصبـــح يغـــري بي

(قد وقع التنبيه على هذا البيت في شرف لفظه ومعناه ، وجودة تقسيمه وكونه أمير شعره)[١٢٤] .

والغزل كقوله عن شعر عوف بن محلم و (أمير شعره في الغزل قوله :

وصغيـــــــــرة علقتهـــــــا

كـــــانت من الفتن الكبـــــــار

كـــــالبـــــدر إلا انهـــــا

تبقى على ضــــوء النهــــار)[١٢٥]

وكقوله عن شعر أبي الفرج الدمشقي : و (أمير شعره في الغزل

---

(١٢١) خاص الخاص ، ١٣٨ .

(١٢٢) لباب الآداب ، ١١٣/٢ .

(١٢٣) مَنْ غاب عنه المطرب ، ١١٩ .

(١٢٤) يتيمة الدهر ، ١٩٣/١ . وانظر المصدر نفسه ، ١٥٣/١ ، حيث ذكر الثعالبي هذا البيت وعدّه من قلائده وأمير شعره ، وعلّق عليه وانه مسبوق به .

(١٢٥) لباب الآداب ، ٦٩/٢ .

قوله)[١٢٦] . وكقوله عن شعر أبي العشائر الحمداني : و (أمير شعره في الغزل قوله ـ ولم أسمع في معناه أحسن منه)[١٢٧] . وكقوله عن شعر أبي القاسم الزاهي : و (أمير طرائفه قوله في النسيب :

سفــــرن بـــــدوراً وانتقبن أهلّـــــةً
ومسنَ غصـــونـــاً والتفتنَ جـــآذرا
وأطلعن في الأجيـــاد بــالـدر أنجمـاً
جعلن لحبـــات الثغـور ضـرائـرا)[١٢٨]

وضرب الأمثال ، كقوله عن شعر والبة بن الحباب : و (أمير شعره في الأمثال السائرة :

إن كـــان يجزى بـالخيـر فـاعلـه
شـــراً ويجـــزى المسيء بـــالحسَنِ
فـويلٌ تـــالي القران في ظلمـة الـ
ـليـــل وطوبىٰ لعـابـدِ الـوثنِ)[١٢٩]

وقوله عن شعر منصور بن باذان : و (أمير شعره وأشهره وأذهبه في طريق المثل قوله)[١٣٠] .

والخطاب بالنفيس لطلب المال كقوله عن شعر عروة بن الورد : و (أمير شعره وغرة كلامه قوله :

ومَنْ يـــكُ ذا عيـــالٍ ومقتـــراً
من المـال يطـرحْ نفسـه كـلّ مطـرحِ

---

(١٢٦) لباب الآداب ، ٢/١٠٥ .

(١٢٧) نفسه ، ٢/١٠٥ ، وعجز البيت الثاني مختل الوزن .

(١٢٨) الإعجاز والإيجاز ، ٢١٧ ـ ٢١٨ .

(١٢٩) لباب الآداب ، ٢/٧١ .

(١٣٠) الإعجاز والإيجاز ، ٢٦٣ .

ليبلـــغ عُـــذراً أو ينـــال رغيبـــة
ومبلغ نفسي عذرُها مثلُ مُنجـحِ)[131]

وموضوعات أخرى كقوله عن شعر أبي الحسن البديهي الشهرزوري : و (أمير شعره قوله من مقطوعة)[132] . وقوله عن شعر أبي الحسن السلامي :

ونحن الآل نطلب من بعيـــــــد
لعـــزتنـــا ونـــدرك من قـــريبِ
تبسطنـــا على الآثـــام لمّـــا
رأينـا العفـو من ثمـر الـذنـوبِ)[133]

وأشار الثعالبي أيضاً الى قصائد مشهورة لشعراء معروفين عدّها أمراء شعرهم ، فقال عن تائية الشنفرى الأزدي : و (أمير شعره قصيدته التي أولها ، وهي :

ألا أمّ عمـــرو أجمعت فـــاستقلت
ومـــا ودّعت جيـــرانهـــا إذا تـــولتِ

وبيت القصيدة قوله في وصف امرأة :

فـــدقّت وجلّت واسبكـــرّت وأظلمت
فلو جُنَّ إنسان من الحسن جُنّتِ)[134]

---

(١٣١) لباب الآداب ، ٢/٢٨ .
(١٣٢) الإعجاز والإيجاز ، ٢٤٠ ، وخاص الخاص ، ١٧٦ ، ولباب الآداب ،
(١٣٣) الإعجاز والإيجاز ، ٢٣٦ ، وخاص الخاص ، ١٧٠ .
(١٣٤) لباب الآداب ، ٢/٢٧ ـ ٢٨ ، أي دقت خاصرتها ، وجلّت عجيزتها ، وامتد قوامها ، واسود شعرها ، فلو كان إنسان يجن من فرط الحسن لجنّت هذه .

وقال عن عينية لقيط بن يعمر الإيادي : و (أمير شعره قصيدته التي كتبها الى قومه يحذرهم جيش كسرى ، ويحرضهم على الجد والتشمير للممانعة والمقارعة ، فمنها :

قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم
ثم افزعوا قد ينال الامر مَنْ فزعا)[١٣٥]

وقال عن بائية قيس بن الخطيم : و (أمير شعره قصيدته التي أولها :

أتعرف رسماً كاطراد المذاهب
لعمرة وحشاً غير موقف راكبِ)[١٣٦]

وقال عن عينية أبي ذؤيب الهذلي في الرثاء : و (أمير شعره وغرة كلامه كلامه قصيدته التي أولها :

أمن المنـــون وريبـــه تتـــوجـــع
والـــدهـــر ليس بمعتب مَنْ يجـــزع)

وبيت القصيدة قوله :

والنفس راغبـــــة إذا رغبتهـــــا
وإذا تـــردّ الى قليـــل تقنـــعُ[١٣٧]

وقال عن رائية الاخطل : و (أمير شعره قوله من قصيدة في بني أُمية :

شمس العـــداوة حتى يستقـــاد لهم
وأعظم الناس أحلامـــاً إذا قدروا)[١٣٨]

---

(١٣٥) نفسه ، ١٩/٢ .
(١٣٦) نفسه ، ٢٨/٢ .
(١٣٧) خاص الخاص ، ١٠٤ ،ولباب الآداب ، ٣٩/٢ ، والإعجاز والإيجاز ، ١٤٦ .
(١٣٨) الإعجاز والإيجاز ، ١٥٠ .

وقال عن ميمية أشجع السلمي : و (غرة شعره وأمير كلامه قصيدته الرشيدية ، وأحسن ما فيها قوله :

وعلى عـــدوك يـــا ابن عم محمــدٍ
رصـــدان : ضـــوء الصبـــح والإظـــلام
فـــإذا تنبّـــه رعتـــه وإذا غفـــا
سلّت عليـــه سيوفـــك الأحـــلام)[١٣٩]

وقال عن شعر عتاب بن ورقاء : و (أمير شعره قصيدته التي أولها :

أمَا صحـا أمَـــا انتهى مـا ارعـــوى
أمَـــا رأى الشيب بفـــوديـــه بـــدا

وأمير هذه القصيدة قوله في التأسف على الشباب :

سقيـــاً لأيـــام الشبـــاب ولـــه
غـــادرني من بعده بـــاديَ الأسى)[١٤٠]

وبمناسبة الحديث عن التأسف على الشباب ، قال الثعالبي عن شعر منصور النمري : و (غرة شعره ، وأمير كلامه ، وأحسن ما قيل في التأسف على الشباب ، قوله من قصيدة في الرشيد :

مـــا تنقضي حســـرة مني ولا جـــزع
إذا ذكـــرت شبابـــاً ليس يُـــرتجـــعُ)[١٤١]

ولم يكتفِ الثعالبي بالحديث عن إمارة شعر كل شاعر على حدة ، وإنما ارتأى أن يؤمر شعر امرىء القيس على شعر الشعراء كافة ، فقال :

---

(١٣٩) نفسه ، ١٦٨ .

(١٤٠) الإعجاز والإيجاز ، ١٩٣ .

(١٤١) لباب الآداب ، ٢/٦٥ ، تمثل بثلاثة أبيات ، وانظر تعليق الرشيد على البيت الثالث .

(ويقال ان أمير شعر الشعراء قوله :

اللّـــهُ أنجـــح مـــا طلبت بـــه

والبـــر خيـــر حقيبـــة الـــرحـــل

فان فيه الاستنجاح بالله عزّ وجلّ ومدح البر والحث عليه باحسن لفظ وأوجزه)[١٤٢] .

* * *

أما إمارة الشعراء فكانت النصوص الواردة فيها أقلّ بكثير من تلك التي جاءت في إمارة الشعر . ولعل أقدم نص في هذا الشأن ما جاء على لسان أبي تمام ، فقد روى الصولي ان أبا الغوث يحيى بن البحتري حدثه قائلًا :

(قال أبي : أنشدت أبا تمام شعراً في بعض بني حميد وصلتُ به الى مال له خطر ، فقال لي : أحسنت أنت (أمير الشعراء) بعدي ، فكان قوله هذا أحب إليّ من جميع ما حويته)[١٤٣] .

ولقب بهذا اللقب شعراء آخرون كامرىء القيس والمتنبي وأبي الفرج بن هندو .

جاء في الإعجاز والإيجاز : (يقال ان أمير الشعراء امرؤ القيس وأمير شعره قوله ...)[١٤٤] .

وجاء فيه أيضاً : (وكان أبو بكر الخوارزمي يقول : أمير الشعراء العصريين أبو الطيب وأمير شعره قصيدته التي أولها :

---

(١٤٢) خاص الخاص ، ٩٥ ـ ٩٦ .

(١٤٣) أخبار البحتري ، ٦٩ ، وورد الخبر في مصادر أخرى ، وفي الوفيات ، ٢٤/٦ ، طبعة د. احسان عباس (أنت أمير الشعر بعدي) ، وفي طبعة محيي الدين عبدالحميد ، ٧٦/٥ ، كما في رواية أخبار البحتري .

(١٤٤) ١٣٦ .

من الجـــآذر في زيّ الاعـــاريب

(حمـــر الحلى والمطـــايـــا والجـــلابيب)

وأمير هذه القصيدة قوله ..

ازورهم وسواد الليل يشفع لي ...)[١٤٥]

وجاء في دمية القصر في ترجمة ابن هندو ـ من شعراء القرن الرابع الهجري ـ (.. فهو أمير النظم والنثر بخيله ورجله)[١٤٦] .

يتضح مما تقدم ان أرفع منصب تبوأه الشعر والشعراء ـ عبر العصور الادبية المختلفة ـ هو الإمارة ولم يتجاوزه الى منصب أرفع كالملوكية والخلافة مثلًا[١٤٧] .

ولنا ان نتساءل في أعقاب هذا البحث عن حقيقة هذه الإمارة والتامير ، وهل كان أولئك الشعراء وشعرهم جديرين به ، أو انه كان نتيجة نقد عابر ، واعجاب آني ، ومحاباة ليس غير !

---

(١٤٥) ٢١٥ .

(١٤٦) ٢/٣٥ .

(١٤٧) من الجدير بالذكر ان الإمارة والتامير لم يقتصرا على الشعر والشعراء ، وإنما امتدا فشملا أموراً أخرى كإمارة الكتب (دمية القصر ١/١٢٣) ، كما كانت هناك ألقاب أخرى غير الإمارة كفخر الكتّاب (الخريدة ، قسم العراق ، ج ٣ ، م ٢/٨) ، ورئاسة الكتّاب (الخريدة ، ج٤ ، م ١/١٠٩) ، وإمارتهم (المرقصات والمطربات ، ١٠ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧) ، وملوكية النحو (الخريدة ج م م ١/٨٩) .

ويبدو ان الشعراء في هذا العصر قد أمروا عليهم الشاعر أحمد شوقي في حفل أقيم له ، أنشد فيه عدد من الشعراء شعراً لهم بهذه المناسبة ، ومنه قول حافظ ابراهيم :

أميـــر القـــوافي قـــد أتيت مبـــايعـــاً

وهـــذه وفـــود الشعـــر قـــد بـــايعت قبلي

وهل بمقدور الشعر والشعراء تحمّل أو تقبّل مثل هذه الإمارة؟ قدّمنا ان الكثير من النماذج التي تمثل بها كانت من النوع الجيد المختار لدى النقاد والادباء والشعراء، وعلى هذا فهي جديرة بالنعت واللقب الذي خلع عليها وعلى أصحابها!

غير اننا نرى أيضاً ان بعضاً قليلًا من تلك النماذج والأحكام عليها خارجة عن السمات العالية التي ينبغي أن تتحلى بها المُثُل المجتباة التي تتميز عن سواها، وتبز أمثالها بما يؤهلها لتكون في المرتبة التي وضعت فيها. وكذلك ينطبق هذا على بعض الشعراء أيضاً. فآبن هندو - مثلًا - لا يمكن ان يطاول بشاعريته شاعرية الكثيرين من الشعراء الكبار عبر العصور: كامرىء القيس والأعشى وزهير وجرير والفرزدق وبشار وأبي نواس وأبي تمام وابن الرومي والشريف الرضي وسواهم، وعلى هذا فعده أمير النظم غير دقيق، واعتباره أمير النثر غير سديد أيضاً، فهو لا يمكن أن يُقارن بحال من الاحوال بكبار الكتّاب الذين سبقوه: كالجاحظ، وأبي حيان التوحيدي، والبديع الهمداني، على سبيل المثال، وعلى هذا فرائحة المحاباة فائحة في ألفاظ النص المتقدم.

والملاحظ من خلال النصوص حول إمارة الشعر والشعراء ان أحداً من النقاد والأدباء والشعراء لم يعترض على ذلك، وكأنهم يعترفون بصحة هذه الاحكام وصوابها، وهذا دليل آخر على ان الكثير منها كان وليد النقد السليم القائم على أُسس علمية، ونظرة ثاقبة، وتحليل دقيق، ومقارنة صحيحة! وهذا - دون شك - غاية ما يسعى اليه النقد العلمي السليم في كل حال!

فهرس المصادر والمراجع

- أبحاث في الشعر العربي ، د. يونس أحمد السامرائي ، مطبعة الموصل ، ١٩٨٩ .
- أخبار البحتري ، للصولي ، ت. د. صالح الأشتر ، ط (١) ، دمشق ، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٨م .
- أخبار أبي تمام ، الصولي ، ت. عسكر وجماعة ، ط (١) ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م ، القاهرة .
- الشعراء نقاداً ، د. عبدالجبار المطلبي ، ط (١) ، بغداد ، ١٩٨٦ .
- الشعر والشعراء ، ت. أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦ .
- الإعجاز والإيجاز ، للثعالبي - بيروت .
- الأغاني ، لأبي الفرج ، مصور طبعة دار الكتب .
- البصائر والذخائر ، للتوحيدي ، ت. د. ابراهيم اليكلاني ، دمشق ، ١٩٦٤ .
- حلية المحاضرة ، للحاتمي ، ت. د. جعفر الكتاني ، بغداد ، ١٩٧٩ .
- خاص الخاص ، للثعالبي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٦ .
- خريدة القصر ، القسم العراقي ، ت. بهجت الأثري ، بغداد ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .
- خريدة القصر ، قسم شعراء المغرب ، ت. محمد المرزوقي ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٣ .
- دمية القصر وعصرة أهل العصر ، للباخرزي ، ت. د. سامي العاني ،

بغداد ، ١٩٧٠م - ١٣٩٠هـ .
- رسائل الجاحظ ، ت. عبدالسلام هارون ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- طبقات الشعراء ، لابن المعتز ، ت. عبدالستار أحمد فراج ، مصر .
- طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ، ت. محمود محمد شاكر ، مصر .
- العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، بيروت ، ١٣٧٥هـ - ١٩٦٥م .
- العمدة لابن رشيق ، ت. محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط (٢) ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .
- لباب الآداب ، لاسامة بن منقذ ، ت. أحمد محمد شاكر ، القاهرة ، ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م .
- المرقصات والمطربات ، لنورالدين علي ، ١٩٧٣ .
- مَنْ غاب عنه المطرب ، للثعالبي ، ت. د. يونس أحمد السامرائي ، بيروت ، ط (١) ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .
- نقائض جرير والفرزدق ، بيروت .
- نكت الهميان في نكت العميان ، لصلاح الصفدي ، ط (١) ، مصر ، ١٣٢٩هـ - ١٩١١م .
- وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، ت. محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط (١) ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .
- وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، ت. د. احسان عباس ، بيروت .
- يتيمة الدهر ، للثعالبي ، ط (٢) ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .

الفهارس

١ - فهرست الاعلام

---

(١) المراد بالرمز (ح) الحاشية .

٣ - فهرست الاماكن

٤ ـ فهرست القوافي

الفهرست

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة - شركة عامة

طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

العنوان :
العراق - بغداد - اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد ٢٠٠٠

تصميم الغلاف : ابتسام سيد حسين
السعر : ١٥٠٠ دينار

طبع في دار الشؤون الثقافية العامة - (شركة عامة)